عطر نسائی

روایة



عماد براكة

عطر نسائى

تأليف: عماد برّاكة





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر اعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ادارة الشئون الفنية.

براكة ، عماد

عطر نسائى ... عماد براكة – ط.٢.– الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦

...... ص ؛ ١٥سم

١ – القصص العاطفية ٢ – القصص العربية

أ – العنوان ٨١٣,٠٨٥

الكتاب : عطر نسائى

المؤلف : عماد براكة

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/١٩٩٦٢م

تاريخ النشر : ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م الطبعة الثانية

ردمك : ٩٩٩٤٠ – ٥٤ – ٠٠٠٧٥

الناشر : دار عزة للنشر والتوزيع

الإدارة : شارع الجامعة – الخرطوم – جنوب وزارة الصحة .

ت : ٨٣٧٨٧٢٠٠ فاكس : ٨٣٧٩٧٠٨٤ (١ – ٢٤٩ +)

التوزيع : دارعزة للنشر والتوزيع ت : ٨٣٧٨٧٢٠١

السودان – الخرطوم . ص.ب : ١٢٩٠٩

بريد إلكترونى azza ph @ yahoo.com

تحذير ثقافي ....

أرجو الاحتفاظ بهذه الرواية بعيداً
عن متناول أيدي المراهقين وأبناء جيلي

المؤلف

الإهداء

إلى روح أبي وأمي

وأيضاً

إلى

صديقي وامتدادي الطبيعي

سرمد عماد الطيب

النكهة الأولى

رائحة الخبز الحار

اضطراب ورعشه فظيعة .. أصابع يدي ترتجف أثناء انزلاق قلم الروج على ممشى شفتي لأمحو باللون القرمزي الداكن أثار قبل زوجي الأنيقة بلا فائدة .. اشعر بالارتباك والقلق .. متلهفة لرؤيته بعد هذه السنين الطويلة وخائفة من مواجهته حدّ التوتر .. لقد انتظرتُ هذا اليوم على عتبة تنبؤاتي.. أبعزق في ارتباكي .. أتأملني في مرآة غرفه النوم .. أمد راسي للأمام أميل باتجاهي .. كأنني أريد أن أفشي سري أبوح لصورتي .. أو ربما لنفسي .. رجعت أفرد رموشي أقوّسها .. قلم الكحل يهتز أيضاً فى يدي .. أحدّق فى نفسي جيّداً .. أرى بعض تجاعيدي .. أتبرّم أضم شفتي ثم أضع بدره خفيفة بلون المشمش .. ولا انسي شعري فأعدله بلمسات خفيفة وأصابع مرتعشة . وللمرة الرابعة أضع خلف أذني ذلك العطر الذي يحبه . ذات مره اعترف لي : انه حين يستحضرني في ذهنه .. كان يشم حتى رائحة عطري .. وفي نفس الأسبوع كتب لي قصيده عنوانها (عطر امرأة) .... [: ورغم ذلك سيظل شعري خشن مثل لحيتي] هكذا كان يقول لي .

ابتسمت لنفسي في المرآة وغمزت لها بعيني اليسرى ابتهاجاً بومضه ذكري انعشت أنوثتي .. نهضتُ من مقعد التسريحه برشاقة و تأملتني في المرآة للمرة الأخيرة أهديتني قبله في الهواء ثم حوّصت بعينيّ ربما اهرب من اضطرابي .. ذهبت إلى المطبخ بخطوات سريعة كي أتمرّن على رشاقتي ..اطمئن علي الأكل.. ثم أعود إلى الصالة لأتأكد من أناقة الديكور.. أتأمل الأثاث ومدي انسجامه .. أقوم بتعديلات طفيفة أبدد بها بعض ارتباكي .. أزحزح الاباجورة من مكانها قليلا كمضيفة طيران أنيقة أدور حول طاوله السفرة .. اجلس علي كنبة

الجلد السوداء .. اربط حزام بهجتي لحظة هبوط القلق .. ارمي بتوقعات أماكن جلوسه.. اقترح له الكرسي الذي يقابلني
أتذكر منفضه السجائر .. أضعها على طاولة زجاج ذهبيه بجانب مقعده المقترح.. افتح الثلاجة أتأمله خلسة في غيابه أحاول أن أجد له ملامح مبتكره .. فلابد أن يكون شكله قد تغير .. أخربش بأظافري علي باب الثلاجة أخمّن له وجها يرضيني أجسده على كرسيه الفارغ .. اشعر ببرودة الثلاجة .. اقف برهة أحاول أن أتذكر ماذا أريد منها !! انظر لساعتي مازال الوقت مبكرا لزيارته .. يزداد قلقي اشعر بنفسي مبعثره ومضطربة.. ذهني مشوش .. اقف علي البلكونة أتأمل "واشنطن" وازدحامها .. أتذكر أنني امسك فى يدي عصير برتقال ارتشف منه.. تنطبع آثار الروج القرمزي .. وفي نفسي ينطبع سأم وكآبه .. أخاف أن لا يأتي أو يعتذر فأنا أتوق لرؤيته وخائفة أيضاً .. أرجع للمرآة مره أخرى لترتجف وتهتز أصابعي أثناء حركة قلم الروج .. أحس بشيء جاثم على صدري .. مشروع رغبه أكيدة في البكاء .. حوجه عنيفة لعناق وافي .. العبرة تحتشد فى حلقي فأقيّدها واصلبها علي جدار اللهاة ثم كعادتي اسحقها بقوه أسناني .. تتثاءب رموشي ورغماً عني دمعٌ ثرٌ يمطر الحزن ويرتل بداخلي .. وإذا المشاعر بُعثرت والمرتبكة سُئلت بأيّ ذنب أدمعت!!
شاهدتني أتأرجح كطفلة يتيمة بين الأزمنة .. أبعزق فى توقعاتي .. امسك بتميمة الماضي بيدي واصهرها بتوابل الحاضر .. ادفع بخيالي للأعلى واحلق في حذافير الماضي وحتف الأمنيات .. ينفش الهواء فستان ذاكرتي ولا استحي .. أرى مراتع خريف ذاكرتي تهطل فوق رأسي وينّدى ذهني .. أخاف أن تعود بي مراجيحي للأسفل و أتحسرّ علي انقطاع المدّ .. وأخاف أيضاً انزلاقي علي طين لزج .. أجدني انتف مخاوفي وأتصفح حواراتي في سيناريو الماضي .
فاللحظه الأولى للقائنا ستظل محايدة وللأبد .. فهي لحظة خارج زمن العشق تظل صبية ولا تشيخ .. لحظه منحرفة عن شارع التوقع .. ودهشة أنيقة في

معرض تراث العادة والملل .. تحتفظ دوماً بأزيائها الكلاسيكية ولا تحرد أناقتها من اجل أحد .. وتلبيّ الدعوة لداخل أذهاننا مهما حدث وتظل محتفظة بزينتها حتى لو استدعتها أرمله.. وهي لحظة لا تفتر من زيارة العشاق.. يتذكرونها حينما يزحف الملل برماله الشمطاء نحو براعم عشقهم الخضراء أو عندما يختلف العاشقان من فيهما أوقد شرارة الحب !!
كثيراً ما كنت استرجع معه لحظة لقائنا ونختلف في التفاصيل فلن أنسى يوم أدهشني إحساسه .. دهشة لم يخدش نقاؤها كل ما حدث بيننا من دمار .
يومها كنت أتجول داخل فناء جامعة الخرطوم .. طالبة جديدة في أسبوعها الجامعي الأول .. تتعرّف بحذر علي مبني الكليّة العتيق وفي خاطرها غردون باشا باني هذه الأقواس والعقد نصف الدائرية .
داخل هذه الأروقة .. أبطيء وأحياناً اقف مستمتعة ببرودة ظلها .. نفس طوب بيوت السكة حديد التي ترعرعت فيها و تذكرني دائماً بشاي اللبن .. أجس نكهة الكافيتريات و أدمن عصير الليمون.. أتحرك بتلصص ورعب إقليمي حول الأماكن المزدحمة .. دائما تربكني و أهابها .. أتهجّى العناوين البارزة علي الجرائد الحائطيّة .. أخجل و أتحشم من نظرات الطلاب حتى زملاء دفعتي كنت متوجّسة منهم .. لا أتعامل معهم مطلقاً .. اشعر بهم اكبر مني بسنوات .. أرد علي أسئلتهم بعنجهية وجفاء و أحياناً بلا .
لازلت في أسبوعي الأول فلقد التحقت بالجامعة متأخرة .. لم أتعرّف إلا علي زميلات حجرتي في الداخليّة .. تعاملت بشراسة مع أبناء دفعتي .
ففي هذا اليوم كانت المحاضرات شبه متوقفة .. لم يتردد علي القاعات سوانا نحن الطلاب الجدد , بدت لي الجامعة فوضوية وليس هناك ناظر يمسك بزمامها ويزجر هؤلاء الطلاب المضربين عن الدراسة وملتفون في جماعات و شلليّات متعددة تحت أشجار اللبخ ..
أصوات بحت من الاعتراضات والانفعالات .

زحمة مصطلحات سياسية لم اسمع بها من قبل .. لعنات غاضبه في اتجاه الحكومة تصطدم بالدرابزين .. صداها ينتقل بين الأشجار كالطيور .. همهمات استحسان واستنكار بصفافير مزعجة

.. ورغم فرحي وسعادتي بأنني طالبة جامعية وابتهاجي بالداخلية والحرية التي انتزعتها من منزلنا بالقوة .. إلا أنني شعرت الآن بالإحباط من جراء هذه الفوضى والزوبعة ولا ادري ما سبب كل هذه الزحمة والهيجان , وهل الجامعات دائماً هكذا ؟! فوضي ودربكة وزحام .. وتبدأ منها المشاكل السياسية !!

أبي حذرني بأن لا أتدخل في هذه الأمور وأداوم علي دراستي فقط .. و أن امشي محاذاة الضفة وفي اتجاه التيار .. غير عابئة بلزوجة الطمي .. وأحذر انزلاق قدمي في الماء فحتماً سيجرفني تيار قوي في اتجاه الضد .

هكذا جئت احمل محاذير والدي داخل حقيبة يدي وحتى في غرفة الداخلية إذا رأيت دخان سياسي بدون جذوة أو لهب فما علي إلا أن اكتم أنفاسي واخرج من الغرفة .. احتضن وصاياه جيداً واحرص عليها فقد انحاز مع رغبتي ضد أخي كمال يسن الذي رفض مواصلتي لدراستي ومزق شهادتي الثانوية مما جعلني ألتحق متأخرة عن دفعتي .

لم اهتدِ إلى إجابة سريعة ومقنعة لهذه الزوبعة سوى أنها مظاهرة طلابية في طورِ الشرنقة .. فيجب علي أن انصرف إلى مبني الداخلية قبل أن يكتمل نمّوها .. فتحركت صوب البوابة الرئيسية والمقابلة لمبني داخليتنا .. أتلصص يمنة ويسرة علي انفعالات طلابية حمقاء .. تشنجات تصلُ حافة اللعنة وتختنق في توازنها .. صرخات مفزعة تنحرف عن الشارع السياسي وتهشم مصطبة الأخلاق الجانبية .

كنت امشي بخطوات مرتجفة وخائفة أشم رائحة حزازاتهم وغضبهم .. أدعو ربي أن يخرجني من هذا المأزق قبل أن ينفجر . العرق لم يتخل عن سلالته وينز من كفي أحس به منطبع علي دفتر محاضراتي .. أصبحت في

مواجهة البوابة الرئيسية واشعر بخطواتي (حارنة) في مكانها .. أسير محاذية للرصيفً المقابل لكافتيريا النشاط .. أحاول أن أسرع ودقات قلبي في بندولية متسارعة . رفّت عيني اليمني بشده .. هل هذا وقت التنجيم !! ؟ صراخهم ولعناتهم تصم أذني .. فكرت في أن أجري وأهرب .. بدأت لي الفكرة إقليمية وساذجة ربما تلاحقني سخريتها !! كنت أسير لحظتها بالقرب من جمهره طلابية تحت شجره لبخ جوار الكافيتريا .. التصفيق كان عاليا وصاخبا سرق انتباه المارة فانضموا لركن النقاش لإشباع حب استطلاعهم.. وجدتني انجذبُ خاضعة لنفس القانون وأقف خارج محيط الدائرة البشرية يطولني جزء من ظل الشجرة ويسقط علي ملامح وجهي .. أقنعت ضميري بأن افهم ما يحدث وأعود إلى غرفتي متأبطة الوصايا بحذر .تابعت حديث الطالب الواقف علي كرسي في منتصف الدائرة .أحاول استيعاب كلماته .. صعدتُ علي أمشاطي لأراه جيداً .. أحملق وأجتهد مع أذني .. كنت حريصة علي أن افهم ما يدور و أنصرف .

وضح لي من مفرداته انه طالب قانوني لبق .. تحدث عن بطش الحكومة وجسارتها وفساد القضاء وانهياره واعتبر المحكمة صوريه وكاريكاتيرية ولا يحق لها أن تعاقب شخصاً بالإعدام بتهمة كتابة منشورات معادية للسلطة .. كنت ارصده بكل أحاسيسي .. تحدث بطلاقه وفند كل القوانين التي لها الحق في معاقبة الأستاذ .. واثبت بالدليل القانوني الذي يحمله في يده .. ليست هناك مادة قانونية واحدة لها الحق في ان تزرد حبل المشنقة علي رقبة هذا الأستاذ .

تابعت حديثه بشغف مبددة ومتجاهلة ضميري والوصايا .. حب الاستطلاع راح يتغلغل اكثر لمعرفة هذا الأستاذ ولماذا حُوكم بالإعدام ؟! وهل هو أستاذ جامعي ؟! بدا لي برئ فتعاطفت معه فقط من خلال هذه البراهين والحجج التي أتى بها الطالب القانوني و كلما حاولت الانتباه لينطق أحداً باسمه أو أجد معلومة عنه كان الغموض يبتلعه مني كالحوت .. أخمن

لذهني بعض الافتراضات ربما هو أستاذ بهذه الجامعة ومختلف مع الحكومة !! لذلك يجب علي ان أتعاطف مع أستاذي .. أشعل طالب القانون حماس الجميع بخطبه عصماء .. ركز علي مشاعرنا ورفع صورة الأستاذ عالياً .. لحظتها صفقوا له بقوه .. أحسست بشوك الكتر ينمو علي جلدي وتعثرت عبره في لهاتي شددتُ عليها بقوه أسناني .. شعرت أنني سأبكي وأنا أتأمل صورته لا أدرى لماذا تخيلته أبي ؟؟ .. دموعي تجمعت كسحب خريف طارئ فابتلت رموشي .. أخرجتُ من حقيبة يدي منديل ورحت ألاحق دموعي التي انهمرت وارصدها .. ولازلت شغفة لمعرفة هذا الأستاذ أو منصبه !! صعد طالب أخر ذو شعر أغبر ونحيف مهدنا الجميع ومصوباً لعناته نحو الحكومة بصوت مبحوح مخطئاً هدفه . وبينما كنت أتابع نتائج لعناته ومدي صحتها في ذهني أو اقترابها من دائرة الهدف . فإذا بصوت يهمس خلف أذني

— ها نحن نلتقي أخيراً ..

— نعم !!

— لماذا اخترت هذا اليوم المؤلم ؟!!

أزحت عنه وجهي وضحكتُ رغم رقراق دموعي .. اعتقدتُ انه مجنون .. فمنذ صغري ارتبط المجنون في ذهني بجامعه الخرطوم .. كل المجانين الذين شاهدتهم في حياتي يقال لي انهم كانوا طلاب أذكياء وشيئاً ما خبلهم.. تيقنت أن هذا واحدٌ منهم وتلصصت رغم ذلك لأتأكد واطمئن اكثر.

- هل هذا ما يسمونه منطق الصدفة ؟
- شنو ده !؟
- أن ألتقيك وأنت ابعد ما يكون عن ذاكرتي اليوم .

ملامحه لا تنسجم مع أبناء دفعتي .. شعره ملفلف وله لحيه عشوائية وعينان غائرتان وجاسرتان أنفه حاد وملابسه قذرة قررت أن ابتعد عنه لقد تطابقت ملامحه مع المجانين ولمحت في يده مسطره كالتي يحملها طلاب

الهندسة تلتف حولها رزمه خرائط شفافة ولم تعفيه من حكمي عليه , تركت محاذاته.. حاولت أن أزوغ منه داخل الحشد ولكن نتوءات طالبه مكتنزة حالت دون انزوائي فوقفت خلفها اتابع صاحب الصوت المبحوح وهو يتحدث عن الأستاذ ولا يذكر اسمه .. كأنه يعاندني ويراوغني وأنا ركبت رأسي لأمحو حيرتي فداومت علي خطبته ولكنه ضللني اكثر فشعرت بالقلق وانتابني إحساس البحث عن إجابة مختصره عناء تفكيري واحتمالاتي و وقفتي المزعجة . المجنون يتزحزح من مكانه ويحاذيني مره أخرى فارمقه بعين حوصاء .. اشعر به يتربص بالهدف الذي اصطفاه بعناد.. رائحة عرقه تقصدني .. زفرت أنفاسي في الجهة المعاكسة وقررت الانسحاب .. شعر بأني اقصده بالتنهيدة أو ربما شاهد دموعي !!

— لا تخافي لن يُعدم !!

— من ؟!

— الباشمهندس .

هذه المرة ضحكت في وجهه بلا خجل .. ففي اللحظه التي زعمت انه سيفك لي شفرة الأستاذ وينطق باسمه وجدته يعيدني لرصيف متاهتي .. تيقنت انه معتوه .. الجميع يتحدثون عن الأستاذ وهذا المجنون يعينه مهندساً .

— لن يُعدم شخصاً تجاوز السبعين .. الحكومة تريد فقط تضليل الرأي العام عن أفعالها الأكثر نتانة .

شعرت به يتصفح أفكاري ويصبح اكثر جديه وصرامة .. بصق علي صفحه وجهي آراءه برذاذ حزين .. خرجت من فمه الكلمات حارة كالخبز وسرقت انتباهي وأعاقت فكره هروبي .. ظللت مشدودة له بأذنين واما عيناي ورموشها المبتلة تتابعان ذو الصوت المبحوح كأني أشاهده من خلال عدسة سينمائية قديمه بلا صوت أري حركاته وانفعالاته وذهني مشدود نحو هذا المجنون .. مصطلحاته الغريبة تجوعني .. لها رائحة الرغيف الحار .. رائحة عرقه تستفزني ولا اصل إلى رأي قاطع يدين نكهتها .. فشعرت باني

في حيص بيص ووددتُ لو ارمي بسنارة سؤالي علي ذهنه بلا طعم ولكن خوفي المتربص وإقليميتي الشرسة جعلتاني اتردد في قراري وارفض أن أخصه باستفساراتي .. فهمس لي مره أخرى :

-- هيا نغادر هذا المكان ..أشم رائحة نتانة قادمة

-- إلى أين؟!

-- إلى أي مكان نسمع فيه إيقاع خطواتنا فقط .

لم أجد قوة تمنعني عن رائحة خبزه الحار وتحوشني .. وجدتني خنوعة وخاضعة أتابعه كأني مَخدّره .

لقد استطاع خالد عز الدين اعتقال ذهني مُنذ تلك النكهة وتجسس على مشاعري ورمى شباك توقعاته على آخر معاقل الاحتمال ,جعلني زبونة إحساسه الأولى .. و سيصبح فيما بعد مصدر أحلامي .. جرفني من ضفة النهر حيث مقابر الطمي اللزجة إلى عمق الدوامة وسيعلمني كيف اسبح وضد من !! وكيف أغوص في أعماقي واغرق !! ثم أطفو على سطح النهر لاستنشق بعض المبادئ ورائحة الخبز ونعانق الماء ونعتلي أمواج الفرح لحظة تلوح لنا اليابسة .

لا أدرى شيئاً ما جعلني طيعة واخمد شراستي التي تقوقعت في مكمنها .. ظللت مندهشة إزاء هذا الطالب بمصطلحاته الغريبة .. لا أدرى ما سر هذه القوة الساحرة التي جعلتني أسايره بلا خوف في اتجاه بوابة الجامعة الرئيسة .. سرنا متحازيين فعرفني على نفسه مستخدما مفردات زادت من حيرتي ودهشتي أحس بها اكبر مما يستوعبها عقلي

-- يا أستاذة الدهشة ملل كامن داخل قوقعة سرعان مانعتاد عليه .

وتبقى كلماته مثل الخبز الحار تستفز ذهني وتجوعني لمعرفةٍ ما .

عرفته على نفسي بلا خوف وراح يلقبني بكلمة "أستاذة" .. رتقتُ كلماتي ببعضها البعض لأكون رأى أو جملة مفيدة حول فوضى الجامعة من باب المشاركة في الحوار ليس إلا .. ثم سريعاً ما لذتُ بصمتي بعد أن فاحت سذاجتي واستمعت له بأذن صاغية مخبئة جهلي عنه

-- هل تعلمي أن مفردات الحوار السياسي منغلقة على معنى ثابت ولا تستطيع أن تنفتح على معاني متصارعة .. فطوبى للمفكرين و الأدباء .

بدأت أتقبل ملامحه .. حدثني عن إعجابه بالمهندس (محمود محمد طه) (١) ولم اعد متعاطفة معه مثل أول .. فوالدي يقول انه زنديق وكافر .. ورغم ذلك قرع داخل ذهني جرس المزاد حول التحف والقناعات النادرة .. فوافقت على مواصلة الحوار ولكن تحديداً داخل الكافتيريا المقابلة لمبنى داخليتنا رافضة بذلك مبدأ الأماكن التي يرغب أن نسمع فيها خطواتنا فقط .

- لا تسمعي هذا اللغو انهم لا يستطيعون تغيير أحذيتهم .

اضطربت خطوتي وفزعت وتبعزقت أفكاري عندما رأيت سور كاكي خارج البوابة الرئيسية ويمتد على طول شارع الجامعة . مجموعة من قوات حفظ الشغب متمترسة على طول الطريق .. حتى الممر الذي يؤدي إلي مبنى الداخلية أغلقوه بشاحنتهم وسحناتهم الصارمة .. إرتعدتُ وارتجفت من الخوف .. أحسست بقدميّ (حارنه) .. كالجنين برفس قلبي داخل صدري.. ذهني بصق في وجهي وحمّلني مسؤولية مأزقي وأوصد علي المخارج وأغلقها .. حتى بلوزتي جفلت ملامحها وبلها العرق .

تبخرت متعة حواره , فقدت نكهة كلماته فالموقف بدا لي اخطر من أي لغة.. قررت الهرب والعودة إلى داخل الجامعة ولكن ثمة هدير وهتافات أفزعتني من الخلف فبلا سيناريو مسبق وجدتني احتضن كف خالد عزالدين والتفتُ خلفي لأشاهد طور المظاهرة يكتمل ويأتي زاحفاً كحيوان خرافي يتدفقون بقوة ديناصورية ودفعونا معهم للأمام عبر البوابة الرئيسية وأجسادهم ملتحمة ببعضها البعض وجوههم متوترة .. قبضة أياديهم تمسك على شيء ما يريد أن يفلت .. كأسراب النسور هتافاتهم تحلق في الفضاء .. تجاسروا على السور الكاكي واستفزوه بهتافاتهم .. مجموعات طلابية متعددة الجينات تتسرب من البوابات الأخرى وتنضم للمظاهرة .. أبكي مع وتيرة اللعنات

وابحث عن مخرج .. إنتبهتُ لنفسي مازلت متمسكة بيد خالد عز الدين فسحبتها بسرعة (بمساعدة من العرق طبعاً) .. أحسني مخنوقة من التوتر وخائفة من السور الكاكي الذى يقابلني .. هل أذهب في اتجاهه ؟! ربما أجد ثغرة عاطفية بين ملامحهم الخشنة أتسرب منها لمبنى الداخلية !!

.. أتذكر محاذير أبى و الوصايا .. أحاول أن اهتدي لمخرج من الخلف .. فأصطدم بجدار غاضب لا يحتمل فكرة التراجع . شعرت بنفسي داخل أحشاء المظاهرة تائهة بين انفعالاتهم المعوية . صرختُ في أذن خالد عزالدين طلبت منه أن يخرجني من هذا المأزق .. راح الطلاب ينشدون أغاني وطنية في تحدٍ من نوع آخر لإثارة حفيظة السور الكاكي الذى ظل محافظاً على صرامته .. متفادياً كل اللعنات بدبلوماسية بيات النيّة .

متمترسين خلف دروعهم الزجاجية .. متحصنين بتميمة الغاز المسيل للدموع . الهتافات تنقر علي خوذاتهم الحديدية وتستفز أذهانهم .. أصابعهم الخشنة تلاعب غمّاز العصا الكهربائية .. متلذذين بأنهم يملكون داخلها تيار كهربائي معتق .. وسيستردون كرامتهم في خطوة قادمة .

طمأنني خالد عز الدين بأنها مسيرة استنكار سلميه وبمجرد تحركها سأجد فرصتي وأعود إلى الداخلية .

تابعت الأناشيد الوطنية .. أردد معهم في سري المقاطع التي احفظها .. الخوف يتسرب وخالد عزالدين يستلف كفي .. حاولت سحبها ولكن قبضته كانت أقوي .. معاني الأناشيد تزحف علي جلدي .. أقشعر وساعديّ يصبحان كشجرة الصبار .. تزورني قوه إضافية فأضغط علي يده بقوه واستصغر هذه المجازفة .. تبدو لي اصغر من طموحاتي .. أرى فساتين التضحية تناسب مقاسي وأبدو أنيقة في المواقف البطولية . (حكت لي إحدى زميلاتي في الداخلية أنها كانت تستحم في الشتاء بماء بارد علي أنغام الأناشيد الثورية) ..

بقي الحاجز الكاكي في مكانه مانعا المسيرة من التقدم .. يد خالد عزالدين تسرب لي أسرار شجاعته .. حماس الطلاب يتفاقم وإصرارهم يزداد عنادا وفوضى . وترى الطلاب سكارى وماهم بسكارى ولكن الانفعال شديد .. بعضهم استبدل الأناشيد بحجارة من طوب وقذف بها السور الكاكي .. وقف خوفي علي أمشاطه صرخت وحاولت الانفلات والهرب .. ولكنه ضغط علي يدي بقوه .

أطلقت قوت الشرطة عيارات نارية في الفضاء كأنها تصطاد صدي الهتاف .. رأيت اللعنات تسقط ميته علي رؤوسنا وتسمم الجو بغاز خانق .. رحتُ اصرخ وارتعد في مكاني ..أحس بهيجان في عيني و أدمعت بغزارة .. زوبعة وفزع وصراخ حولي .. صوت ضربات علي العظام أسمعها واصرخ بتشنج . لقد انتهكوا الكتلة الطلابية بعصيهم .. ضرب وركل .. اختلطت أجسادنا وتزاحمت .. يدي انسلخت من كف خالد عز الدين لا أرى أمامي سوى سواد .. اصرخ بأعلى صوتي .. أتخبط في أجساد ووطأت بعضها فتعثرت وتكورت علي الأرض .. صوت الرصاص يخرم طبلة أذني .. اصرخ ولا اسمعني .. تعبرني أجساد وتطأني أقدام وتدهسني .. يزداد هيجاني وأصرخ بعصبية . (اعتقد الآن جازمة أننا كفتيات كنا السبب الرئيسي في فشل العديد من المظاهرات الطلابية فبخلاف خوفنا علي البلوزات والفساتين كنا نجهل نوعية المكياج المناسب في مثل هذه المواقف فما أن تطلق أول رصاصه حتى نشرع في شد حبالنا الصوتية مفزعين كل الحجارة التي يحملها الطلاب) .

حكي لي أحد طلاب دفعتي بأنه دائماً يمشي في مؤخرة المسيرات والمظاهرات ليتمعن الهتافات السرية (مؤخرات الطالبات) .. ظللنا نعاقر هذا المصطلح لفترة من الزمن .. وكلما نشاهد طالبة لها مؤخرة وثيرة ومرتجة نضحك !!

سمعت صوت الهتافات يأتي من بعيد كأنني داخل بئر .. هل هذا كابوس وأنا احلم !! حاولت أن أستيقظ .. جسدي مهشم .. يوجعني ويؤلمني .. فتحت عيناي بصعوبة وألم .. فوجدتني مستلقية داخل شاحنة مع عدد من الطلاب مطوقين بمجموعة من العساكر .. جالسين ومتراصين بمؤخراتهم علي حافة الشاحنة ووجوههم عابسة وصارمة للابد . عدلت بسرعة من جلستي وبيدي لملمت فتحات الأزرار المفقودة لبلوزتي . مازالت الشاحنة واقفه أمام الجامعة وأخمدت نيران المظاهرة الأساسية وبقيت هناك جذوة هتافات عشوائية تصارع رجال الشرطة .. وكاللهب تنزوي من الريح في مخابئ الجامعة .

وجدتني الفتاة الوحيدة المعتقلة مع هؤلاء الطلاب ولم أري خالد عز الدين بينهم .. أما الشيء الذى رفع فستان حسرتي فوق الركبة عندما تذكرت وصايا أبي والمحاذير .. رحت أبكي وألعن نفسي .. وماذا سأقول لأهلي ؟! افرك عيني من شدة الرمد ودموعي منهمرة بلا توقف .. آلام حادة فى مفاصلي وأطرافي ولا أقوي علي دلكها وتفقدها .. انظر خائفة وخاضعة لسحنات السور الكاكي من حولي استدر عطفهم بلا جدوى .. يزداد بكائي مرارةً .. رأيت خالد عز الدين يصعد داخل شاحنة الاعتقال ويجلس بجانبي.. أحاول أن استنجد به فلا أجد صوتي (الغضب تجاه ظلمك يجعل صوتك مبحوح) ربت علي يدي .. ربما لم يجد في قاموسه الغريب كلمات تسعفني وتطمئنني .. أتابعه من خلف دموعي ولا اجرؤ علي الحديث .

ــ ألم اقل لكِ لماذا اخترتِ هذا اليوم المؤلم !!

انتهره أحد أفراد الحائط الكاكي وأمره بالابتعاد عني وركلوه باحذيتهم الضخمة فصرخت من شدة بطشهم وتكورت علي نفسي في ركن الشاحنة وجسدي يرتعد من الخوف .

صعد ضابط شاب فوق الشاحنة وتأملنا بازدراء وتكبّر ثم قذفني بأسئلة استفزازية متجاسراً علي تربيتي وأخلاقي .. شعرت بالعبرة تطوقني

بكلتا يديها .. لم استطع الرد فواصلت البكاء مذلولة وخنوعه .. امرني بمغادرة الشاحنة فلم اقو على ذلك .. رحت ألملم في بلوزتي ودموعي .. حاول خالد عز الدين مساعدتي فركلوه حتى ارتطم بصندوق الشاحنة .. ومن خلف زجاج مبتل كنتِ انظر لهذا المشهد .

(٢)

مسحت دموعي وتأملت نفسي في المرآة .. أعيد صياغة مكياجي أضع قليلا من البودرة علي خدىّ وانثر رذاذ العطر علي صدري وفستاني .. تبدو لي أقراط أذني غير منسجمة مع تسريحة شعري فأستبدلها بأخرى اكثر تحرراً واهتزازاً .. احسها لا تناسب سني ولكنها تنسجم مع اللحظه الراهنة والفستان البني الطويل .

تذكرت البن !! (وغالبا ما يكون مشتهي قهوة سودانية) . اذكر أول مره اشربها معه فى إحدى لقاءاتنا الأولى عندما جاء يسأل عني فى الداخلية والوقت عصراً والخرطوم حارة كعادتها وطقسها (غيّاظ) . جلسنا تحت شجره لبخ كبيره ذات ظل عامر بالقرب من مبني داخليتنا ومحاذية لمبنى الدراسات العليا .. أجلسني علي (بنبر) وعرفني علي " حاجه آمنة" أعجبتني علاقته بها مازحها وداعبها بنكد وبشاشة وناكفته بأمومة مفرطة وضحكت بصوتها الغليظ .. وجذبته عليها بدهشة ممسكة وجهه بيديها الخشنتين وكطفل عاق انكفأ علي حجرها بخجل وهى تتفحص باحتجاج إحدى جروح جبهته .. شعرتُ بأنني أجحفت في حقه . راح يتملص من بين فلجات حنانها .. عاتبته على إهماله وصبت لنا القهوة تحت همهمات الضيق .. ابتسمت ليِ عندما ضبطتني أراقبها .

ارتشفت قليلاً من القهوة ثم سألتني عن مزاج السكر والنكهة .. كنت مرتبكة من نظرات خالد عزالدين فرددت عليها بهزة رأس فقط وابتلعت توتري ..

لقد اقتحمت قلبي منذ تلك القهوة بملامحها الرجالية وإحساسها المرهف .. (وستصبح فيما بعد صديقتي وملجأ أسراري) .
سألني عن أهلي وأخوتي .. تمنيت لو كنت احمل صورهم في شنطة يدي .. لقد تحدثت معه هذه المرة بلسان أطلقت سراحه الأقاصي وجوعتني رائحة الخبز الحار في فمه .
هذه أول مرة يزورني أحد في مبنى الداخلية لذا أخفيت عنه أجنحة فرحتي .. كنت مستلذة بجلستي معه وزيارته لي .. تذكرت زميلاتي اللاتى يقضينَ الأمسيات مع زملاء وأصدقاء وعشاق .. تحت هذه الأشجار والإضاءة الباهتة .. يثرثرن ويضحكن بغنج ودلال .. ثم يعدن مع مواعيد إغلاق بوابة الداخلية وهنّ يتأبطن أحلاماً وردية .. وينفضن عن ثيابهن صفق الخجل .. وضحكاتهن تشعل صمت الليل وتخدش سكونه.. تعود الواحدة منهن إلى سريرها تجرجر خلفها أنوثتها ككلب اصبح أليف بعد أن كان مسعوراً قبل قليل . تضطجع على سريرها وتراجع سيناريو ما دار بينهما من حوار وتندم على إخفاقاتها وتستبدلها في الخيال .
سألني عن الكتب والروايات التي قرأتها لم يأت بذهني سوى "إحسان عبد القدوس" لم اقرأ له ولكن سمعت عنه من بعض الزميلات وخفت أن يسألني ماذا قرأت له !! ويكتشف سريعاً كذبي وسذاجتي ولكن لحسن بَختي استرسل لوحده يتحدث عن "إحسان عبد القدوس" حكى عنه كما يحكى عن أحد زملاءه في كلية الهندسة وبخس لي كتاباته وثرثرة قلمه الفارغة .
– مادام ليس لديه ما يقوله فليصمت مثلي !!
ووعدني أن يعيرني روايات جيدة وأذكر أول رواية أعارني إياها كانت موضة في تلك الأيام "الحب في زمن الكوليرا" قرأتها ولكنى لم استوعبها ولم اخبره بذلك . أخبرني انه يفضل العيش مع أصدقاءه اكثر من أسرته ولديه أخ اكبر مقيم بالسعودية وشقيقتين إحداهما متزوجه تشاركهم بأطفالها المنزل .. والدته مصابه بداء السكر وقد ترملت قبل سنوات . اخرج من

جيبه قصيده تحكي عن لقاءنا الأول جاءه إلهامها اثنا استجوابه في المعتقل ثم كتبها فيما بعد .. قرأها ببطء شديد .. أعجبتني طريقة قراءته وأوصافي التي انتقاها بحذر فاستحييت منه وتواريت خلف فنجان القهوة وحاولت أن أغلف نفسي ولم انجح فرسمت بعود صغير دوائر علي الأرض .. سلمني الورقة – القصيدة – مسكتها بيد مرتجفة .. كنت سعيدة بعربون العشق وسأصبح فعلا زبونة اتردد عليه لشراء خبزه الحار .
اكتشفت انه يكتب قصائد جميلة ومدهشة ولكنه لا يتعامل معها بجديه ورأفة .. متوتراً دوماً حيال كتابته .. لا يثق فيها كرجل عجوز متزوج من صبيه .. يتذمر ويطنطن حتى من مكياجها والإيقاع الداخلي . يكتب القصيدة في الليل ويتركها تنام تحت وسادته وعندما يراها معه الصباح في زحمة المواصلات يمزقها أو يلوكها علي الريق .
أذكر في إحدى أيام وهج علاقتنا وذروتها كتب قصيدة داخل البص وكعادته وقع اسمه في نهاية الورقة .. أعاد قراءتها أثناء زحمة البص وأعجب بها نوعاً ما .. ولكن بمجرد نزوله من البص أهداها إلى أول بائعة تسالي صادفته شعر بحاجتها للورقة اكثر من مفرداته . (: الشعر فرض كفاية إذا كتبه أصدقائي سقط عني) والمفاجأة كانت أثناء جلوسنا مع بعض مسندين ظهرينا علي حائط مبنى الدراسات العليا ونتبادل غزل فاضح .. فإذا بأحد زملاءه يعيد له الجزء الأخير من القصيدة بعد أن أكل ما بداخلها من تسالي .. أخذها منه ومضغها بغضب وبصقها مع أذيال من اللعنات اللعابية .. كأنها أساءت لشرفه الإبداعي . حدثني عن الشعر الحديث .. أمل دنقل وأدونيس .. وكيف يبدو متوتراً وهو يحاول أن يتحكم في نواتج مفرداته .. ويلح علي وضع أفكاره في ثنايا لغة تعتبر اكبر منه عمراً ولا سبيل له إلا السيطرة علي دلالاتها .. إلحاحه الدؤوب يجعله يبعث الحياة فيها .
سألته :
- من أين تأتى بهذه المفردات ؟

- ما ابشع أن نري الكلمات عارية لا يستر عريها حتى قميص الحبر الناشف !!
- ولكن من أين تأتى بها ؟!
- الكلمات العادية اتذوق طعم صداها في فمي .. هل تعلمي أن اللغة فضحتني أمام رجال الأمن

ابتسمت بتلذذ وأنا أشم رائحة الخبز الحار واشتهي أن ألوك مفرداته و اسمع منه الكثير .. داس بسبابته جرح جبهته الدامي جعلني أحس بطعنه في ظهري فسألته :

- يؤلمك ؟!!
- لا .. فقط اطمئن علي آثار الصدفة التي جمعتني بكِ !!

دائما رده يخجلني وإجابته تجعلني كسلحفاة أختبئ تحت أنوثتي المتحجرة أخربش بأظافري علي شنطة يدي وأحيانا أرسم بسبابتي المرتعشة علي التراب دوائر لا تعنيني .. بصعوبة بالغة كنت اعبر شارع منولوجي الداخلي بعد أن يرسم لي خطوط عبور المشاة فأعود مرتاحة البال رغم انه كان مهذباً جدا في كلماته ولكني اضطرب عندما يعبر بوضوح عن أحاسيسه .. ففي إحدى جلساتنا خلف كليه الهندسة في مكان مهجور كان يتحدث معي عن الأنظمة العسكرية ومهما بدأت عاقره فلا زال رحمها خصب .. فشعرت بكلمه (رحم) هي بداية انحطاط لغوي نحو الصعلكة ربما فسرتُ المعني بخلفية المكان لا ادري !! لكن ساعتها استنفرت شراستي فالأمريكان يقولون : إبليس يأتي مع التفاصيل (Devil behind the details) ولكنه خذل توقعاتي وظل مهذبا دائما .

رجعت إلى الداخلية وبي رغبه أن اسبق حذائي من شدة الفرحة .. احمل في يدي قصيدته قابضة عليها بقوه وحذر كأنها تعويذة ضد الشر .. ورائحة خبزه عالقة بأنفي . رويت لصديقتي "منال الطيب" عنه

وعن مفرداته المدهشة وكلماته الغريبة ورائحتها وأسماء شخصيات يستنجد بهم كمشايخ أمي .. أسماء لم اسمع بها ولكنهم حتما كتاب وفلاسفة عظماء . قرأت لها بفرح وارتباك طفولي قصيدته لي وحاولتُ تقليد نبرة صوته وطريقة نطقه للخبز الحار ولكي اعظم لها الدهشة واصيبها بعدوى الفرحة أضفت للقصيدة جزءاً من حكاويه و سلوكه في التضحية من اجلي .. ورحتُ احذف بورقه القصيدة في فضاء الغرفة وألف دائرة حول نفسي واحتضنها واضحك .. تعاملت مع القصيدة كزغاريد غرامية متوقعه في الأيام القليلة القادمة أن يقدم لي أوراق اعتماده كحبيب في قنصلية مشاعري ويقتنص عصافيري واصبح زبونته الدائمة ..

نصحتني "منال الطيب" أن أتريث قليلا ولا داعي لأي تهور عاطفي الآن .. لان انجرافي خلف مشاعري بهذا التسرع لن يدع لي مجالاً لفهمه .. و أكدت لي أن الشباب لا يعشقون إلا الفتاة التي تتمنع وتصعب عليهم وحذرتني بان لا اصبح فريسة سهله .. ولأول مره تترجل عن صهوة غيرتها واعترفت لي بأنني اجمل طالبات الداخلية ودفعتنا أيضاً فلا يصح أن أتعثر في أول علاقة تصادفني فالأجدر بي أن انتقي حبيب برتبة فارس أحلامي .

شعرت أن منال الطيب غير سعيده بدهشتي وحسدتني علي هذا البرعم قبل أن يصبح ورده .. فهي صديقتي الدائمة افهمها جيداً ونحفظ سلوك بعضنا في لا وعينا كسورة (الفاتحة) فعلاقتي بها منذ أيام المدرسة الثانوية فى ود مدني ونسكن في حي واحد ولا نفترق .. وهي مخزن أسراري وأنا كذلك .. تعتبرني اكثر حظاً منها وتنتقد دائماً سعادتي وتغلفها بإرشادات ونصائح تصل مرحلة الروشتة .. اشعر بغيرتها طافحة كالزيت الأسود .. وتصبح متوترة وحمقاء إذ ما أعجبت إحدى الطالبات برموشي .. فأحس بها منفعلة ولها رغبه في أن تخمش وجهي

وتمزق رموشي و تلعنني سراً .. ورغم ذلك لا أطيق أن أعيش بدونها .. وعندما يأتى الليل ننام في سرير واحد ونتصفح أسرارنا .

لم اكن منزعجة وهى تعاندني في علاقتي بخالد عز الدين منذ بدايتها وتحبط لي فرحتي و تتهم المثقفين أمثاله بعدم الجدية والفلسفة الفارغة والسعي وراء سراب كاذب (لا فائدة ترجى منهم !!)

اشعر بحسدها أثناء محاولتها لإخفائه عنى .. ومهما كان يحدث بيننا من تبادل حسد فأنا احبها للغاية فهي توأم روحي وأمينة مخزن أسراري وحتى القطن الطبي نشتريه في توقيت واحد .

لقد أصبحت منزعجة من زيارات خالد عز الدين المتكررة أمام الداخلية وعندما شعرت بأنني غير مؤمنه بخزعبلاتها وأنها عجزت عن لي عنق مشاعري .. اكتفت بتزويدي بنصائح وروشتات عشقية معتمدة علي تجربتها مع ابن خالتها .. علمتني أن لا اكشف مشاعري إلا عند اللزوم و أظل أداوم علي جرعات أحاسيسه دون أن ينتبه وأحاول أن انتزع منه صور أشعة تفضح لغة العظام و أدمن مفردات التغذية الوريدية فلا بد لي أن أتعود علي أنواع المشاعر المختلفة .. أحياناً أتقيد بوصفتها العلاجية عندما استلذها وفي الغالب لا .. ظلت رائحة الخبز شهيه ولم يطرح لي نفسه كحبيب أو يطلب علاقة عاطفية كما كنت أتوقع . لقد كان هذا هو مفهومي سابقاً عن الحب .. طريق واحد لا يستطيع تغييره أحد ومحكوم بقوانين صارمة يجب الانصياع لها ومن يخالفها سيعرض حساسية مشاعره للضوء وحتما سيحترق .. تبدو لي الآن فكرتي عن الحب مضحكة وساذجة ولكن هذا هو مستوي تجربتي وفهمي في تلك المرحلة كنت أتخيل أن الشاب عليه أن يعترف للفتاة بأحاسيسه كاملة شفاهة أو كتابة .. كلاً حسب جرأته ـ إنما العشق بالإحساس ولكل عاشق ما نوى ـ وللفتاة الحق في أن ترد عليه بعد أن تستشير صديقاتها فإذا صادف انه مرح ومحبوب فسيجمعن علي

الموافقة وهي طريقه مثلى لموافقتها هي .. لذلك تفشل كل العلاقات العاطفية في مراحل السن المبكرة .

ورغم ذلك تبدو لي فعلا العلاقات العشقية تحتاج لدعم وتأكيد .. فزيادة علي تبادل الصور والالتزام اليومي بكلمة السر المستهلكة .. فالعلاقة تظل في حوجة لدعم الأصدقاء ومعجبي العلاقة و الوفد المرافق لها .. لتستمر بأسيادها للأمام .. فكنت أتمسك بخالد عز الدين اكثر عندما تمتدحه إحدى زميلاتي أو يصفنا أحد أصدقائه الشعراء بأننا مقياس رسم للعلاقات العشقية .

بدأت اشعر به يتصرف ضد مصلحته الأكاديمية وهي أول مراحل اعتناق العشق .. مهملاً محاضراته ورسوماته الهندسية فوق بعضها ليحافظ برشاقة علي وتيرة لقاءنا . فقررت أن اهتم بخصوصياته .. اكتب له روشتات يوميه تعلمتها من منال الطيب اطلب منه تخفيف التدخين واحسب له عدد اللفافات التي يدخنها في اليوم الواحد .. اضغط بقوه علي أنانيتي وعشقي الدائم لوجوده بقربي .. انهي لقاءاتنا بسرعة وادفعه نحو رسوماته الهندسية .. أشاهد في خيالي خلف أوراقها الشفافة مستقبلنا واضح وبدأ يتحقق برائحة الخبز .

أعود لغرفتي متألمة لفراقه .. كنت اكره حتى العطل الدراسية لأنها تحجبني عنه .. جعلني اكره حتى مدينة (مدني) وغرف بيتنا أحسها تخنقني .. و أظل متلهفة لرؤيته وارغب في دفع أيام العطلة إلى الغروب .

وصلنا محطة الإدمان الرئيسية دون أن نستبدل قطارنا أو نطلع على بوليصة شحن الأحاسيس وأيضاً لم يصرح لي بعشقه علانية كما كنت أتوقع .. وجدنا أنفسنا مقحمين في عشق لا فكاك منه فضحتنا مشاعرنا دون أن ننتبه لها .. وتسمية العلاقة جاءت مِمن هم حولنا .. ولم نخيب ظنهم .. تعاملنا كعشاق بلا قيود أو مماطلة .. علمني أن أتحدث عن

حبي بجرأة .. واستنشق معه دخان سيجارته بصراحة أناقشه في (تلك الرائحة) (٢) و (نجمة أغسطس) (٣) علمني كيف اتحدي صعوباتي وأتعامل ضمن روىً أخلاقية ولا أكون محايدة مطلقاً

- حيادية المثقف يا حبيبتي .. تعني موافقته علي إبقاء حالة التخلف كما هي !!
- طيب !! أين هو المثقف الغير محايد!! مادام التخلف لا زال قائم ؟!
- أنا أتحدث عن المعرفة بمعناها العميق .. إن اركيولوجيا المعرفة عند ميشيل فوكو تعنى أن الأيديولوجيا تتسرب في كل أنواع الممارسة الخطابية .. وأنا اعتقد لا فرق الآن بين خطاب السلطة وخطاب المثقف !!
- ماذا تعني ؟!
- اعني أننا نحتاج لمعرفة لها استراتيجية تميز أفكارنا لثقافة خاصة بنا .. فمثلاً الأطباء لهم خطاب خاص بهم جاء نتاج لتكيفهم مع أفكارهم .. فمصطلحاتهم العلمية انبثقت من خلال فصل الأعراض عن المرض أو فصل الدال عن المدلول والله اعلم .

لقد علمني أن الإنسان الصامت يدعم في الظلمة باستمرار وأصبحت أحدق في المعرفة جيدا قبل أن اعبر شارع الأفكار المتسارعة .

أصبحنا من أميز العشاق في الوسط الطلابي وزحفت علاقتنا ومدت براعمها خارج نطاق الجامعة .. لأمسيات ثقافية شيقة في اتحاد الكتاب وعروض سينمائية بالمراكز الثقافية .. حفلات صاخبة وجلسات استماع بكلية الفنون الجميلة عروض مسرحيه بقصر الشباب والمعهد العالي للموسيقي والمسرح .. يقدمني لأصدقائه بطرق مختلفة .. خطيبته .. صديقته .. وأحياناً يصفني باني إحدى إنجازاته المهمة في فترة ديمقراطية غير

مهمة .. فهو يعتقد ويؤمن بأن العمل الحزبي في فترة الدكتاتورية اكثر متعه ويعجبه النضال في الخفاء والسرية تستهويه ويستلذ بها .

عرفني بأصدقائه الشعراء الشباب ..

- هذه حبيبتي الاكبر مني إحساساً .

ملامحهم متشابهة مثل لغتهم .. أجسادهم بائسة ونحيله .. ضلوعهم بارزه كمفرداتهم عقولهم نشطه وفي حالة نحل جائع وتنقيب مستمر .. ألاحظ أزرار قمصانهم العلوية مقطوعة .. لا ادري هل يتعاركون في الأمسيات ؟!

حتى خالد عز الدين له نفس الخصلة مما جعلني اسرح دائماً في شعر صدره (وفيما بعد سأكتشف زحمة مواصلات أحياء الكلاكلة وامبدة) لقد توطدت علاقتي بهم واصبحوا أصدقائي استمتع برفقتهم وشهرتهم في الأوساط الطلابية واحكي عنهم لزميلاتي في الداخلية مستلذة بصداقتهم وأنني علي علم بمغامراتهم الخفية .. كنت منتشية وأنا أروي عن حياتهم المستترة لزملائي في الكلية لأؤكد عمق علاقتي بهم وأهميتها .

عندما يأتوا لزيارة خالد عز الدين في الجامعة كنت أتوسطهم عمداً واجلس معهم في نصف دائرة حول حاجه امنة مستمتعة بمناكفاتهم لها وأراقب نظرات معجبيهم من طلبه وطالبات .. احسهم يحسدوني علي جلستي .. فأغيظهم اكثر بمشاركتي في المناكفة والنقاش . واشعر بسعادة مفرطة والطلاب يسألونني عنهم وعن أخبارهم وأصبحت الناطق الرسمي باسمهم واعلم بأماكن وتواريخ قراءاتهم الشعرية .. ويبدو لي أنني استمتعت بشهرتهم اكثر منهم .

وكنت أيضاً أتعاطف مع فقرهم وعوزهم .. يستدينون مني مبالغ مالية بلا رجعه وبدون علم خالد عز الدين ولم اكن ابخل عليهم مطلقاً .

في إحدى المرات حبست دموعي وضغط علي عبرتي بقوه عندما سمعت أحدهم يفكر بصوت عال دون أن ينتبه لوجودي بقربه.

- (عدم الأكل ما بحرجنا .. لكن عدم القهوة بذلنا ....)

يقف أمامي مغلفاً انكساره بمفردات رشيقة ونكهة تمني .. وعيناه المختبئتان خلف رصيف جبهته تتلصصان علي أناملي لحظه فتح شنطة يدي .. أصابعي تغوص وسط أدوات المكياج ومفتنياتي الفضية . أحسني انبش في أحشائي وارغب في إلقائها بعيداً عني .. ومواصلة في ذات اللحظة اعتقال دموعي بتعذيب وسادية أمد له كل ما املك .. فتتلألأ عينيه و تختفي الكآبة ويرسم في مكانها ابتسامه اكبر من سنه .. احسه يضحك كان العالم كله يصفق لقصائده .

(فالابتسامات لا تتنصت بأذنها علي أخبار الفاجعة) شكرني بدمدمه شممتُ فيه رائحة البن وانزوى في أحد أزقة المقاهي .

منفعلة ومندهشة بحياتهم ورغم عوزهم تمنيت أن أحياها و أعيشها حقيقة . لياليهم مثمره وأماكنهم مختلفة .. إنتاج مفرداتهم الحديثة لا يتوقف حتى أثناء العقوبات الاقتصادية ولغتهم لا تتجمد ضمن الأرصدة . ظروفهم متساوية كمرتبات عمال (الدريسه) .. لقد اصبحوا أصدقاء مسجونين في فكرة بحثهم عن بعض .. خطواتهم لا تحفظ دروب منازلهم الخاصة .. منزوين دوماً في علاقات معقده .. فقراء أصحاب متربة .. لا يفترقون الا عندما يعتلي الملل ربوة أذهانهم أو يندس بينهم جوع منافق ويفتتهم .. فيحتموا بطعام أمهاتهم .

حكي خالد عز الدين عن أحدهم عندما رجع إلى منزل أسرته بعد فتره غياب طويلة قضاها متنقلاً بين الأصدقاء والأمسيات .. ليفاجأ أن والده قد دفن جثمانه منذ أيام ولم يجدوا أحداً ليخبره بذلك .

بكيت ساعتها بألم وحسره كأن المتوفى هو والدي .. أصبحت احبهم اكثر وأتوق لأتواجد بينهم .. ولان خالد عز الدين جزء منهم حاولت أن أتطبع بسلوكهم وأقلدهم حتى في رسم التجاعيد .. احفظ أشعارهم وأتقمص مفرداتهم واحمل شنطتي علي ظهري مثلهم .

كنت اعتقد أن الحرمان والعوز وتلك المعاناة هي التي أنجبت إبداعاتهم .. ولكني اكتشفت الآن أن الفراغ وعدم المسؤولية مع قليل من المعرفة كفيلة بإنتاج اضخم أنواع الإبداع .. وأتساءل لماذا أدهشتنا إبداعات اليسار فقط ؟! هل لأنها كانت تنتصر للفقراء في خيالهم !! أم هي مجرد صدفة !! فأصحاب الأموال والكروش الكبيرة ليس لديهم الوقت للإطلاع على الإبداع أو إنتاجه .. فهم في نمل دؤوب لزيادة أموالهم .. أما الفقراء فهم فقراء لذا يكدسون المفردات ويحتكرونها .. يدخل جمل من ثقب إبرة ايسر من أن يدخل غني في ملكوت الابداع .

(٣)

سمعت جرس التلفون .. فخرجت من المطبخ بخطوات سريعة ورشيقة .. ربما هو !! ترددت في رفع السماعة .. ماذا سأقول له ؟! ربما رفض تلبيه الدعوة ؟ .. فكرت في تغيير نبرة صوتي .. اعتقد انه لن يتوه عنها .. فوجدت المتصل زوجي .. وخمنت انه يحمل خلف جرسه اعتذار الضيف عن وجبه الغداء .. ولكنه اخبرني : (سنلتقي بعد قليل وربما نتأخر قليلاً .. فأنا انتظر رسائل عبر الفاكس) .

أعرف خالد عز الدين جيداً لا تعجبه الأماكن والمكاتب الأنيقة سيسلم زوجي الوصايا التي يحملها ويعتذر عن تلبية الدعوة , وزوجي استبدل الكرم السوداني ببرود أمريكي ماركة كنتكي .. ولن يلح عليه كثيراً سيتركه علي راحته .. لذلك أكدت علي زوجي أن يصر عليه فوصية ابن خالة زوجي واضحة يجب علينا إكرامه حتى ولو بوجبة غداء .

وضعت السماعة ورحت أتصفح خططي ويزداد توتري وتصطف الأسئلة : أسباب زيارته للولايات المتحدة ؟ وهل تزوج من هولندية ؟ .. سرحت مع ملامحه القديمة .

لقد كان المبرر الاساسي لوجودي في الجامعة واستمراري بها .. اقضي معه معظم الوقت .. تفصلنا فقط مواعيد إغلاق بوابة الداخلية التي كرهتُ حديدها المتعارض مع أحاسيسي .. أظل في سريري أتابع بخيالي خطوات رجعته للمنزل أو لأحد أصدقائه .. حتى ساعات النوم التي تفصلني عنه كنت لا أطيقها وامقتها .. أتمناها أن تنجلي بسرعة لأسأله في صباح الغد عن تفاصيل ليلة أمس .. ولا ادعه يكنسني بعموميته .. ألح علي التفاصيل ليحسب لي حتى عدد كاسات الخمر التي تجرعها .. واهدده بأن اشتكيه لحاجه آمنة فهو يهمل صحته ودروسه .. فأخاصمه في بداية اليوم ولكني لا أستطيع لذلك صبراً .. فاحلم أن أكون معه حتى في الليل لأمنعه تعاطي الخمر .

اذكر في إحدى الليالي نصف القمريه كنا بالمركز الثقافي الفرنسي .. لمشاهدة فيلم سينمائي عظيم (مقتبس من احدى روايات الأدب الروسي) .. تأخر الوقت وتعذرت عودتي للداخلية .. لم اكن مضطربة أو متوترة مثله .. فأنا معه لم اكن أخاف أو أهاب أي عواقب .. ولكنه استاء من نفسه وشعر انه زج بي في موقف حرج

يومها ذهبنا مع صديقه وزميله بكلية الهندسة " ياسر فقيري " .. شاب مرح تبدو عليه آثار النعمة والراحة .. لونه اسمر فاتح وحواجبه متلاصقة .. يختار ملابسه بعناية وداخل سيارته شعرت بفرحة مخرج الطوارئ عندما عرفت انه يعيش في منزل أسرته لوحده .. وها هي الصدفة تخطط معي لانفرد بخالد عز الدين لليله كاملة .. جلسنا في حديقة منزل "ياسر فقيري" الذي عاملني بلطف واحترام بالغين ولم يسمح لأعصابي أن تتوتر ولم يفهمني بطريقه خاطئة أو يحدد لنفسه موقف مشين تجاه اقتحامنا لوحدته .. تربطه علاقة صادقه متينة مع خالد عز الدين منذ أيام المدرسة الثانوية .. بدت لي مثل علاقتي بمنال الطيب مازحنا بلطف وتركنا نتسامر في حديقة منزله ونحلم بمستقبلنا القادم وبيت الإيجار المبدئي ونختلف في عدد الأطفال وأسمائهم وأخيراً ترك لي حرية اختيار الأسماء حسب ذوقي (لم اكن أتخيل أنني سأسمي ابني البكر علي اسمه) فالحب يجعلنا اكثر انفعالاً بالأشياء .. يمنع تسرب الإحباط إلى أوردة الأمل ونظل نربيّ أحلامنا ونشاهدها تحبو وتتهجى في صعوبة الواقع ولا تخطئ في قراءته.. نرى الأشياء سهلة المنال وفى متناول أذهاننا ولا مجال للواقع إلا أن يحتل مكانها بلا تذمر أو غضب .. هكذا كنت أرى أحلامي في تلك الأيام و خالد عز الدين يفتح لي نوافذ مسائية أشاهد من خلالها انعكاس وميض النجوم داخلي .. اشتبه في السحب إذا حاولت تضليل عدالة السماء وأنكر ذلك على نحو قاطع .. ارفض رؤية النجوم من خلال جدار شفاف .. أريدها صافية كقلبي .. كي ابني على ضوئها مداميك من التضحية .. حتى رفة حاجب عيني اهتم بها وأضمها إلى فصيلة الأمنيات متيقنة للابد أن يصبح التوقع في صفنا ونمدد صلاحية التفاؤل .. جاءتني لحظة اعتقدت فيها أنني سأموت إذا فقدته وأبكي عندما يقفز هذا الإحساس إلى عتبة بالي .

قضينا تلك الليلة نتأرجح بين ذكرياتنا والمستقبل .. صديقه "ياسر فقيري" نام مفسحاً لسواعدنا المجال لتتشابك في رعشة أناملها وتنفخ الروح في مومياء عشقنا المحنط وتدفئ كفي .. ثرثرنا كثيراً حول لقاءنا الأول ونسترجع حلاوة الدهشة وندعم بها طعم التفاؤل .

كانت أول ليلة اقضيها معه شعرت فيها بأهمية أناملي .. ليلة مدهشة أكملنا فيها النصف الآخر من القمر ولكنها لم تضء أنوثتي.

في الصباح جئت معهما للجامعة بسيارة "ياسر فقيري" وذهبت مباشرة إلي الداخلية أسابق خطواتي من الفرح .. أحس بأقدامي تغادر حذائي .. أرتب في ذهني أحداث المغامرة لأسردها بالتفصيل لصديقتي "منال الطيب" ولكنها كالعادة غربلت لي فرحتي بمحاضرتها الأبوية العصماء وجعلت

سعادتي تتكوم تحت اقدامي .. ورغم ذلك واصلت في لقاءاتي السرية معه وخاصة أيام امتحاناته أزوره في منزل صديقه وهما معتكفان في مذاكرة جادة .. اخفي لهفتي عن صديقه خلف اعذار واهية أدخل المطبخ اصنع لهما طعام أسبوع كامل .. أحياناً أخرجهما من أجواء المذاكرة أتعرف علي أسرة "ياسر فقيري" من خلال الصور ويحكي لي عن خطيبته إيمان واختلافه معها في إصرارها علي أن يترك السودان بعد التخرج ويلتحق بها في دولة الإمارات العربية المتحدة .. وعندما يمل رسوماته الهندسية يستأذننا بأدب ليزور شقيقته الوحيدة "هالة فقيري" المتزوجة من رجل أعمال شهير .. يبدو لي انه كان يفتعل هذه الزيارات قاصداً تركنا لوحدنا لمسافة من الحب ولكن خالد عز الدين كانت له آراء أخلاقية لا يتنازل بسهوله عنها و كان لأنوثتي رأي آخر .

وفي إحدى زياراتي لهما قررت أن اقبله بعنف بعد أن يتركنا "ياسر فقيري" لوحدنا كالعادة .. وللأسف لم يفعلها هذا اليوم ظل حبيس دفاتره ومتحركا بين الصالة وغرفه المذاكره غير عابئاً برائحة أنوثتي الفائحة .. فطال انتظاري وتسربت فكرتي .. كنت أتأمل خالد عز الدين وفمي مكتوف الشفتين .. بلعة ريقي اسمعها بمكبر صوت .. شعرت بالقبلة تسقط من عتبة شفتي وتتدحرج علي الأرض كالقنبلة رجعت الداخلية وأنا متوترة .

أحياناً لا ارغب في دخول محاضراتي الصباحية فأذهب وأيقظهما من النوم.. اضرب علي الباب بقوة وأرن علي الجرس مسافة طويلة .. أعرفها حركة مزعجة ولكني أتعمدها .. اصنع لهما القهوة وأشاركهما الإفطار ثم أعود للجامعة .. أذكر في تلك الأيام أطلق عليّ "ياسر فقيري" لقب (سيد اللبن) نسبة لزياراتي الصباحية المزعجة .. واستمر معي هذا اللقب فترة من الزمن .

كنت احكي لـ "منال الطيب" عن تلك الزيارات واختار اللحظات المناسبة لأسرد لها المغامرة .. ورغم ذلك تمتعض وتوبخني كعادتها . أحس بكرهها لخالد عز الدين حتى عندما تجلس معنا في الكافتيريا فلا تعجبها لا حواراته ولا جديته في الأحاديث فتقترح عودتنا للداخلية معتذرة بالمذاكرة .. احيانا كنت أجاملها و أحيانا لا ..

اشعر بها لا تحبه ولكن لم ينقص شيئا في علاقتي بها ننام في سريرها أو سريري متعانقتين حتى الصباح ونسمع تعليقات مقززة من بعض الزميلات ولا تفرق بيننا .

خالد عز الدين كان يفهم جيداً علاقتي بها ولم يعترض لمداخلاتها في جوار العلاقة المباشر ظل يسايسها بهدوء .. فلقد رويت له عن تفاصيل علاقتي بها ولم أخف حتى الحسد الصادر عنها .. فتعامل معها بذكاء لم انتبه له الا مؤخراً .. ففي احدى جلساتنا الثلاثية اشتكينا له أنا وهي من صعوبة المواد الاقتصادية وإحساسنا بأننا راسبتين لا محالة في الامتحانات القادمة .. فما كان منه الا أن عرفنا بطالب نابغة أكاديمياً وجميع أساتذة كليتنا يحترمونه ويقدرونه ويعتبرونه طالباً غير عادي .. وهناك شائعة تتردد في الوسط الطلابي : منذ عشرون عام لم يمر علي هذه الكلية طالب بهذا الذكاء الاقتصادي .. فقد سمعنا بعبقريته منذ بداية دخولنا الكلية .. وقصص اكتشافه لأخطاء بعض اساتذته لها وقع خاص عند الطلاب فيروونها بتلذذ .

عندما عرفنا به خالد عز الدين كنا مندهشتين بشخصية العبقري . وصعب علينا في البدايه التعامل معه .. وهو ايضا لم يكن لديه الوقت ليشرح لنا بعض الدروس فزودنا بمذكرات مختصره ساعدتنا كثيراً في هضم المسائل الاقتصاديه .. وعلمنا كيف نستعير المراجع المهمه من المكتبه ودخل مع "منال الطيب" في جدل اقتصادي كانت تحاول ان تشككني في عبقريته فاخذت منه وقت طويل ليشرح لها فلسفته الاقتصاديه واحيانا يتواصل الحوار الاكاديمي امام الداخليه .. وفعلاً كان عبقري فاستطاع ان يدحض كل محاولاتها في ايقاعه في اخطاء اكاديمية لتضحك علي ذكاءه فاقتحم خصوصيتها وجعلها تتبرأ عن دبلة ابن خالتها وتخوض معه علاقه حب لا تصطدم فيها الانامل الا عفواً اثناء بحثهما عن قلم مفقود .

وتركت خالد عز الدين يتحكم في قياده الزورق لوحده يبحث لنا عن شاطئ مناسب وعندما اشعر بدوّار البحر يشد انتباهي بحكاوي عن طفولته ومشاغبته .. ورغم ان الحكاوي كانت تختتم بضرب مبرح من والده الا انها اصبحت ذكريات مضحكه حفظتها عن ظهر قلب وخططت لاسردها فيما بعد لاطفاله .

هكذا كنت اراجع دروسي كل مساء داخل غرفة الداخلية .. اجلس وسط السرير وافتح الكتاب وقبل ان اقلب الصفحه .. تلتفت لي "منال الطيب" لتجدني منكفئه علي الكتاب المفتوح وميتة من الضحك .. تصيبها جرثومة الضحك .. فتسألني عن السر .. تهز لي شعرها الاسود الغزير .. تستفسرني بلا كلام .. اكون لحظتها قد تذكرت احدى حكاويه المضحكة ايام مصنع سكر الجنيد فوالده كان المدير الزراعى للمصنع لذلك خصص لهم منزلاً ضخماً .. مبني علي الطراز الانجليزي في الحي الغربي .. ومسور باشجار الحنه القصيرة وطابور من اشجار البان المتناطحه تحفه من كل الجهات و تحجبه عن الرؤيه .. ومرفقه به حديقه ارضيتها ناصعه الخضره وتتوسطها شجره مانجو كبيره و ثلاث شجرات جوافه في شكل مثلث غير مقصود .. وبالقرب من بوابه الحديقه شجره نيم عجوزه .

وعندما كانت تكتشف الاعيبه يسمع لعنات والده ويختبئ فوق شجرة المانجو حتى وقت دخول الظلام وعندما لا يفلح والده فى العثور عليه .. يغلق عنه باب الصالة ويمُنع من دخول المنزل .. ولا يجد امامه سوى غرفة الغفير فى اقصى الحديقة ورغم ذلك لم يكن يفلت من العقاب .

وكل ما كان يعاقب تزداد شقاوته ويصبح اكثر تمرداً وفى نفس اللحظة كانت علاقته تزداد عمقاً مع الغفير (واعترف لى ان جرثومة الشيوعية اصابته فى تلك الايام وكان يتلذذ بطعام الغفير اكثر من وجبات امه الدسمة) كان يكره منزلهم الضخم وغرفه ذات السقف العالى وشبابيكها الخشبية الكبيرة وصوت أزيز المراوح يجعله يحس بالكآبة وخاصة بعد مغيب

الشمس يشعر داخل منزلهم بأرواح شريرة تحوم بداخله.. لقد شبه لى تلك الايام بأفلام الرعب التى تدور احداثها فى الريف الانجليزى .. وكلما يداهمه الخوف يهرب الى غرفة الغفير ليحتمى به ويسأله عن الارواح وهل فعلاً تعود بعد دفن الاجساد ؟ .. واسئلة اخرى ميتافيزيقية لا يجروء الغفير على الاجابة عنها . وفي احدى لحظات جلوسه داخل غرفة الغفير سمع صوت والده يشتم ويسب باعلي صوته قرب باب الحديقة .. فخاف ان يكتشف وجوده .. فتسرب ببطء محازياً سور اشجار البان واختبأ خلف شجرة النيم القريبه من الباب وراح يتلصص علي انفعالات والده ليجد مدخل لمغامره جديده .. شاهد خارج باب الحديقه ثلاث رجال من قبيلة الفلاتة .. هكذا خمن من سحناتهم التي عكستها له اضاءة باب الحديقه الصفراء وتاكدت اكثر عندما لمع البرق وتمعن في ثلاثتهم يرتدون جلاليب بيضاء وطواقي لونها احمر .. ألوانهم سوداء وعيونهم كالجمر بلا رماد

فهم من خلال حوارهم مع والده انهم عمال فى حواشات قصب السكر ولاسباب ما هو لا يعلمها تم فصلهم من العمل بقرار من والده ولم يتقاضوا حقوقهم وجاءوا ليطالبوا بها .. ولم يجدوا سوى الإساءة والشتم .. لقد حملهم ما لا طاقه لهم من السب والإساءات .. ابتلعوا تلك اللعنات وتوسوسوا فيما بينهم برطانتهم وتوعدوه بالويل والشوم .. واصدروا علي والده احكام غيبيه وبيتوا له النيه .. واصل في سبهم وطردهم غير عابئ بتوعداتهم واحكامهم التي جعلت قلب خالد عز الدين الصبي اليافع يرفس داخل صدره من الخوف .. شعر ان والده رجل ظالم ورغم ذلك تعاطف معه .

واصبح خائفاً عليه من شر يتربص به .. شعر ان العمال الثلاثه وبسحناتهم الغريبة عبارة عن ارواح شريرة وهى نفسها التى حكى له عنها الغفير وبدا متيقنا ان والده سيصيبه مكروه لانه شتم الارواح الشريرة .. راح يصلي ويدعو ربه ان يغفر لوالده وينجيه منهم .. لقد سمعهم جيداً يتوعدونه بالويل والشوم .. اصبح يتخيلهم سيأتوا مع الريح الخريفية القوية وهى تكاد ان

تقتلع الاشجار .. يحسهم يتسربوا من بين تشققات الشبابيك مع صفير الريح .. بات يكره الخريف ورياحه العاصفه .. يظل مستيقظاً طوال الليل يترقب دخول الارواح الشريره والخوف ياكل فى جسده كالآفة ويعجز حتى عن افراغ مثانته .. اصبح خائفاً على والده و تخلى عن مناكفته والشغب .. يشاهده فى كوابيسه .. واحلامه .. محاصراً بين تلك الأوجه السوداء التى تلمع من الغضب تعكسها له اضاءة بوابة الحديقة ورمش البرق.

حكى لي ان والده فى تلك السنة اصيب بداء السكر وبعد شهور قليلة قُطعت رجله اليمنى بسبب غرغرينة اكلت عظامه واحيّل بعدها للتقاعد الاجبارى ومع نهاية السنة دفنوه فى تلك المنطقة الزراعية مع قصب السكر وعادوا للخرطوم ليشتروا بميراثه منزل متواضع وعربة اجرة .

كنت على وشك ان احكى لـ "منال الطيب" عن هذه القصة ولكن شيئاً ما جعلنى اصرف النظر .. ربما لانها دميعة .. ستحول المذاكرة الى مأتم أو ربما لان منزلهم ذو الطراز الإنجليزى و المسور باشجار الحنة والبان جعلني اسرح .. ذكرني بمنزل (ناس خالد عباس) بمدينة الابيض .. انتبهت لحظتها لتطابق الاسماء لقد كنت احلم بان التقى بـ "خالد عباس" وعندما ادهشنى خالد عزالدين باحساسه ومفرداته تجاهلت حلم المراهقة .. لم انتبه لتشابه الصدفه فى الاسم الاول الا فى تلك اللحظه (ياالله دى صدفه غريبه) كأننى رأيت " خالد عباس " يخرج من بين سطور الكتاب فهو اول من احببت .. لقد دخل لى من باب حديقة المراهقة او بمعنى اصح دخل مراهقتى كلصوص الليل .. طبعا لم احكى ذكرياتى معه لخالد عز الدين فعلاقتى به اصبحت ذكرى جميلة اريد ان احتفظ بها لنفسي واتصفحها عند اللزوم ..ايامها كنا قد سكنا حديثاً فى مدينة الابيض وفى احدى بيوت حي عمال السكة الحديد المتراصة فى طابور شرف .. دائماً تذكرنى بكبابى شاى اللبن .. بيوت عتيقة مبنية بذهنية انجليزية وطوبها متماسك لدرجة الايمان .. نادراً ماتعتريه تشققات فهى قويه مثل مبانى الجامعة . وجدنا الحي مختصر كالعادة وعدد بيوته قليلة وابوابها خشبية باللون الاخضر .. خصص لنا المنزل الاخير لكبر مساحته بعد ان اصبح والدى بدرجة ملاحظ عمال الدريسة .. به حوش امام الديوان نسميه حوش الرجال وغالبا ما تكون به تعريشة ومفصول بحائط عن الجزء الذى نطلق عليه حوش النسوان وبه غرفتان وصالة مسورة بنملى اخضر مُسمر على خشب وهذا حال معظم البيوت التى صممها الانجليز ربما لان عدوهم الاول كان الباعوض

خلف منزلنا كان هناك منزل ضخم مسور بحديقة واسعة بها اشجار لبخ وشجرة مانجو عتيقة كالموجودة قرب داخليتنا .. وهناك مساحة كبيرة مظللة بحشائش خريفية لاتموت ولا تيأس من رحمة المواسير .. تعرفنا انا واختى الهام على اسرة عم عباس مفتش السكة حديد و كان من الصدفة ان نجد لديه بنتان فأصبحت صديقتى "سلافة عباس" اما اخواتها ثلاثتهم ذابوا فى علاقة صداقة سريعة مع اشقائى " احمد يسن " و " كمال يسن " .. هكذا كنا نناديهم بأسماءهم كامله لتكرارها داخل العائله .. اصبحت صداقتنا معهم متينه .. نشترك فى لعبات جماعيه شيقه نتسلق الاشجار .. نجرى ونرتع فى مرح داخل الجديقه وخاصه في الامسيات الصيفيه وايام العطل الدراسيه .. كنت استمتع بتلك الالعاب واللهو في الحديقه الواسعه مستنشقة رائحة نوار شجر النيم وعبق الجوافة .. ناكل الثمار قبل اوانها نقطفها بقوة نستلذ بمرارتها . كنت اكره شقيقهم "خالد عباس" فهو مختلف عن اخوته فى طباعه وشكله لونه اسمر داكن ويقال انه ورث هذه الملامح من جده والد امه .. شعره مجعد وناعم .. له انف حاد وعينين جاحظتين .. وكثير المراقبة والملاحظة ويحكي انه دائماً يجد اشياء ثمينه علي الارض .. له تجعيد في جبهته أثر ضربه قديمه جعلت شكل وجهه كأنه مستاء من شيئ ما. لقد كان يتقدمني بثلاث سنوات وهو في بداية المرحله الثانويه وانا في عامي الاول من المرحله المتوسطه .. تقريباً يكون عمره الآن في نفس عمر خالد عزالدين .. ولسبب خاص بملامحه المختلفه كنت ارفض ان يكون

زميلي في اي لعبه.. لم استطيع ان اهضم ملامحه .. كنت أيامها اخطو حافيه علي عتبة مراهقتي ومستلذه بدخول المدرسة المتوسطه ومنهج اللغه الانجليزيه .. وأرسم لنفسي ملامح فارس احلامي .

ففي احدي الايام رجعت من المدرسه مبكرا وفي ذهني تتأجج فكره التسلق السريع علي الاشجار فلا بد لي ان أقوم ببروفات لوحدي وتمارين شاقه تجعلني انافسهم في هذه المسابقه .. دخلت للحديقه متسربه عبر الباب الجنوبي وهو عباره عن (فلنكه) غائبه من مجموعه فلنكات متراصه ببعضها البعض كالجنود وعادة تستخدم هذه الفلنكات في تماسك قضيب السكك الحديدية .. وبمان ان هذا منزل مفتش السكك الحديديه بمدينه الابيض فخصصت له مجموعه من الفلنكات لتحمي الحديقه من شغب اولاد حي البترول . دخلت من الباب وهو ليس بباب ولكن نحن نسميه باب الحديقه الجنوبي وهو قريب من المبني الخاص بالخدم عباره عن فلنكه اختفت في ظروف غامضه انشاءت حولها عدد من القصص .. " ربيع عباس " شقيق سلافه عباس الكبير حكي انه شاهد في احدي الليالي القمريه خادمهم الاطرش ينزع هذه الفلنكه عمداً ليؤسس بها مخرج طواري لتزوره من خلالها احدي فتيات قبيلته ويقال انها كانت تعمل معهم كخادمه اساسيه قبل فتحيه ولكن طردوها لسوء سلوكها ..وخالتي "سكينه " والدتهم منعتها من زياره عشيقها الاطرش .. لذلك كانت تزوره عبر هذه الفتحه .. هذه الروايه جعلتني امتعض واتقزز .. وفيما بعد سيحكي لي خالد عباس بان خادمهم الاطرش خلع الفلنكه من مكانها لانه ياتي في وقت متاخر من الليل وكثيراً ما يكون مخموراً ويخاف ان يراه عم "عباس" .

تسربت من هذه الفتحه برشاقه واتجهت مباشره نحو شجره اللبخ الكبيره وفي ذهني اصرار لاصل الي اعلي فروعها واشعر انني في تحدّ مع نفسي .. كنا نخاف من سكينه والدتهم فتلصصت اليها من شباك المطبخ القريب من الشجره وعندما نتاكد انها ليست موجوده هناك نبداء العد التنازلي ..

جمعت قوتي بسرعه وبدات في التسلق واصراري يسبقني نحو الفروع .. وبينما انا علي احد الفروع الضخمه اذ بي اشاهد " خالد عباس " فوق فرع موازي .. راح ينافسني بلا سابق اتفاق .. ويبدو انني قبلت هذا الرهان وازداد حماسي .. اجده اصبح اعلي مني فالملم جسدي الذي اصبح يكبرني وينمو بسرعه الاشجار .. ادفع نفسي بقوه .. اشعر بالحر والعرق في يدي .. فاجده اصبح تحتي .. اتخيله مغتاظ مني وفي نيته ان يطيح بي من علي الشجره.. اشاهد الاصرار في عينه .. يتجاوزني ويصبح اعلي مني اختصر بعض الفروع لكي اسبقه .. انفاسي متصاعده .. لم اعد خائفه من السقوط .. قررت ان انتصر عليه .. حتي التقينا في فرعين شبه متلاحمين ويعتبر اعلي ارتفاع للشجره .. فوقنا فروع صغيره واوراق لبخ حديثه .. شاهدت السماء صافيه في تلك الظهيره وشعرت بمتعه الارتفاع والعلو .. لاول مره اتمعن سحنته من قرب .. اعجبتني حبيبات العرق المتلألئة علي انفه جأتني رغبه ان امسحها له بسبابتي .. هزّ "خالد عباس" الفرع الذي اجلس عليه انا فصرخت فيه باعلي صوتي وعدت اكرهه مره اخري وشتمت وجهه الاسمر .. شعرت بانني فعلا سأسقط .. راح يضحك وحرك جسده بمهاره بهلوانيه علي الفرع ثم اقترح ان نتسابق في سرعه النزول .. وقبل ان اوافق علي مبداء المسابقه بداءت في الهبوط بسرعه لافوز عليه هذه المره .. وبينما كنت الهث في حركه النزول مزق احدي الفروع فستاني من الخلف فواصلت هبوطي بانفاس متلاحقه ولم انسحب من السباق .. فوصلنا الي الارض في لحظه واحده فوقفت التقط انفاسي وانظر اليه مبتسمه من قوه اصراري ونجاحي .

احسست بهواء بارد يلاطف ظهري العاري.. فانتبهت لفستاني الذي اصبح عباره عن نافذه مفتوحه من الخلف فعقدت يدي اليسري خلف ظهري بسرعه الملم ضحايا الفستان الممزق وجذبتهم بقوه علي بعضهم البعض في محاوله غير يائسه لاغلاق نافذه فتحتها رياح شتويه عاتيه جعلت ستائرها

تتلاعب ببهلاونيه .. حملت شنطه المدرسه بيدي اليمني .. نهض سؤال كان يجلس في كنبة ذهني الاولى :(كيف سأدخل بيتنا ؟!) شعر "خالد عباس " بصدي الاسئله في ذهني وحجم الورطه التي انا بصددها. اقترح علي ان نخيط الفستان في غرفه خادمتهم " فتحيه " لم يكن هناك أفضل من هذا الاقتراح .. وهذا فستان المدرسه .

فتحركت خلفه محازيان سور الفلنكات حتي لا تشهادنا "سكينه " والدته احمل معي شنطه المدرسه واخفي عنه نافذه ظهري وقلبي يهضرب داخل قفصه .. لم نجد الخادمه في غرفتها تركني مختبأه هناك وراح يبحث عنها . طلبت مني ان اخلع فستاني كي تحيكه بشكل جيد .. فاستحيت من هذه الفكرة وإرتضيت اقتراح "خالد عباس" أدخلني حمام الضيوف المهجور في اقصي ركن الحديقه .. واغلق علي بابه المتأكل فخلعت فستاني بسرعة وناولته له من فتحه الباب .

وقفت داخل الحمام المهجور ارتعد من الخوف ارتدي فقط (تحتي) فضفاض خيطته لي امي بنفسها من قماش الملايات القديمه اضم شنطه المدرسه علي جسدي العاري .. وانتظر بصمت وصبر نافذ عودة فستاني شعرت بالمكان مرعب ومخيف .. الارضيه ممتلئه باوراق الاشجار الجافة .. ربما تحتها حشرات سامه أو عقارب !! .. اردد في سري " يالشيخ الكباشي " امي تقول ان هذا الشيخ يجعل الثعابين والحشرات السامه تتجمد في مكانها .. رغم ذلك كنت اتحرك في قلق .. صوت اوراق الشجر الناشف تحت نعالي اصبح مزعج . أراقب بحذر وخوف شباك العناكب التى غطت السقف وزحفت علي الحائط .. حشرات مختلفه ميته كانها معلقه في الفراغ .. نباح الكلب جعلني اجفل والتصق بركن الحمام .. احس بالعناكب ستهاجمني من كل الجهات .. اضم شنطه المدرسه الي صدري بقوه .. نهض من كنبه ذهني الاخيره اسخف سؤال : ماذا لو دخل احداهم هنا ووجدني بهذا المنظر !! أخفيت سريعا بيدي الجوافتين اللتين فوق صدري

وأراقب خالد عباس من خلال شقوق الباب الخشبي .. اعود للعناكب اتخيلها ستلقي شباكها علي جسدي وتصطادني .. انادي "خالد عباس" في سري ليسرع لي بفستاني .. ترتجف اقدامي .. احركها بقلق .. خشخشه الورق الناشف تزيد من خوفي .

دخل "خالد عباس" معي في الحمام وسد الباب خلفه بسرعه لم اري في يده فستاني .. انحنيت للامام مخفيه عنه صدري .. أهمس له واتوسله ليخرج ويتركني لوحدي ويعيد لي فستاني حتي دون خياطه .. اخبرني انه جاء ليقف بقربي حتي لا اخاف .. صرخت فيه بعصبيه وحاولت ان ادفعه ليخرج و يذهب ليستعجل الخادمه .. لازلت اخفي عنه نتوأت صدري المخجله.. لم يستجيب لتوسلاتي وببرود حكي لي عن علاقاته بهذا الحمام المهجور وكيف يختبئ فيه اثناء لعبه الاستغمايه ولا احد يجروء علي دخول هذا المكان للبحث عنه .. اخوته لا يستطيعون حتي المرور بجانب هذا الحمام وخاصه بعد ان اطلق شقيقه الكبير "ربيع عباس" اشاعه تقول ان هناك نور يضئ داخل الحمام رغم انه بلا كهرباء .. وفيما بعد سأكتشف ان "خالد عباس" هو الذي يشعل أحيانا شمعه داخل هذا الحمام المهجور .. كان عكس اخواته تستهويه الاماكن المظلمه والتي تبدو مخيفه . كان يحكي يهمس وانا أراقب ذبابه سقطت لتوها داخل شبكه العنكبوت وتحاول جاهده الإنفلات من هذه المصيده .. نبحة الكلب كانت هذه المره قريبة جدا من الحمام فجفلت وسقطت مني شنطه المدرسه ورميت نفسي بين احضان خالد عباس .. شعر بجسدي يرتعش فراح يهدئ من سرعه نبضي ومرّر يده علي صدري وهمس في اذني لكي اطمئن واهدأ .

شعرت بانامله تلامس صدري فاجتاحتني قشعريره كأن العناكب تزحف علي ظهري وتشبثت به اكثر .. فوجدها سانحه مناسبه له فضغط باصابعه علي برعم جوافتي .. حاولت الإنفكاك منه لكنه حوانى بيده اليسري وجذبني اليه بقوه محاولاً تهدئتي ومواصلاً بحثه بين اكوام صدري الصغير ويتمهل

عند الحلمات ويدوسها بقوة فاشعر بألم لذيذ .. لا اريده ولكن اريده .. حاولت للمره الثانيه ان ادفعه عني ولم استطيع .. ساقاي يرتجفان .. شيئاً ما يدغدغني فانكمش واتشبث به .. ورغم ذلك دافعت عن ثماري بجدية غفير مزرعه الحكومه الاعور .. صرخت فيه وأمرته ان يعيد لي فستاني حتي بدون خياطه .. خرج مرعوبا من صرختي .

انتظرت عوده فستاني في قلق .. شعرت بالاختناق داخل الحمام المهجور والذي سيصبح لمده عام كامل المكان المفضل عندي .. قضيت فيه اجمل لحظات عمري .. هنا بين هذه العناكب وشباكها الهرمه سأكتشف اهم تفاصيل أنوثتي .. لقد سطا "خالد عباس" علي قلبي ودغدني وغرز اللذه داخل صدري .. احس بنار هادئه تسري في مفاصلي ولا اريدها ان تنطفيئ .. واشعر بالاوكسجين يغادر صدري واصل الي حافه الاغماء .

أرتديتُ فستاني في عجله دون ان الحظ خياطه فتحيه المَحكمه .. مسحت من سواعدي الجير الابيض ونفض "خالد عباس" شباك العناكب الهرمه من على شعري وفي اللحظه التي حملت فيها شنطة المدرسة وهممت بالخروج من الحمام المهجور داهمني بقوة وداسني علي الحائط وقبلني عشوائيا في عنقي وعلى وجهي .. لم استطيع ان احرد .. ماذا علي ان افعل !! هل اصارعه ؟! ام اصرخ؟!

وبينما ذهني يناضل بين الفكرتين وايهما الاجدي في هذه الحاله إذ به يلتهم شفتي ويقتل صرختي امام عتبه فمي قبل خروجها .. صدر عني أنين وآه حاره صاحبتها فرفره وتشنج .. شعرت بلذه لم اتوقعها .. جعلت جسدي ينهار واستند على الحائط .. ووجدتني اغمض عيناي واتركه يلتهمني ببطء.

لم يلاحظ احد في منزلنا ان فستاني قد تمزق ولكني كنت اتخيلهم يراقبون شفتي السفلي .. تبدو لي متورمه فاتحسسها باصابعي واعض عليها باسناني.. تذكرت اول مره اخلع فيها ضرسي .

لم اروي لخالد عز الدين عن ذكرياتي مع "خالد عباس" وحتي عندما كنت اجلس معه تحت شجره اللبخ امام حاجه امنه نشرب قهوتنى اليوميه ويحكي لي

عن طفولته ومغامراته فى مصنع سكر الجنيد كنت اتذكر شجره اللبخ في مدينة الابيض ورائحه نوار النيم والجوافه وبالطبع "خالد عباس" وعندما ألمح في ذاكرتي شيئا مطابقا لذاكرته .. اسرده متفاديه تفاصيلي علاقتي بـ "خالد عباس" الذي اصبح لي ذكرى احنو إليها دوماً وتعرفها فقط صديقتي "منال الطيب" ورغم اني كنت ساذجه ايام تلك المراهقه .. الا انها كانت مدهشه اقضي معه وقت طويل داخل الحمام المهجور .. واقترح دائما لعبه (الدسوسية) لكي اجد فرصتي وألبد معه داخل ذلك المكان الذي يهابه الجميع ولا احد يستطيع ان يدخله سويا .. لم تكن تستهويني فكره اللعبه بقدر ما تعجبني فكره الاختفاء من الاخرين لامارس طقوسنا ببطء .. ألتصق به في ذلك الظلام اتحسس انفه الحاد وامسح له حبيبات العرق .. ابرمج في ذهني الصغير احلام يقظتي .. اتخيل انه سيتزوجني عندما نكبر ووقفتنا اللحظيه تبدو لي كاننا نستعد لالتقاط صوره فوتغرافيه نوثق بها زواجنا .. فابتسم في الظلام لخيال المصور .. واتذكر صور عائلته التي تصفحتها مع شقيقته " سلافه عباس" اضع راسي علي صدره راغبه في صورة زفاف اخري .. لم يكن يشاهد ابتسامتي في تلك العتمه نتعامل باللمس والاحساس والهمس.. يبحث عن شفتى ليقضمها ويدغنني بانفه الحاد واتشبث بشعره المجعد. لا تترك تلك الضلمه الا عندما يعلن اخي كمال يسن بصوته المبحوح عجزه التام في الوصول الي مخبأنا ونخرج لنعلن فوزنا .. وحتي عندما تنتهي اللعبه لم نكن نخبر احد بمخبأنا ..لاننا سنحتاجه غداً .. مثل قادة الاحزاب اليساريه لا يصرحون عن مخابئهم لصحف الانتفاضة .

لم اكن اتوقع ان احلامي ستدهسها وتقتلها قررات هيئه السكك الحديديه .. قبيل بدايه العام الدراسي الجديد رحلنا الي مدينه كوستي بنفس التفاصيل التي نرحل بها سنوياً .. خصصت لنا عربه بضائع ووضعنا فيها امتعتنا وكدسناها علي بعضها البعض في جانب والجزء الاخر حولناه الي غرفه معيشه مؤقته .. اربع اسره متقابله تتوسطها طاوله للاكل خلف الدواليب انشانا مطبخ صغير لامي .

اتذكر لحظه تحرك قطارنا من مدينه الابيض بكت امي مع جارتها وشاركناها انا واختي الهام .. كنت ابكي فراق "خالد عباس" ذلك الصبي الاسمر الطويل ذو الشعر المجعد .. اختلاف شكله عن اخواته جعلني اعشقه اكثر لن انسى انفه الحاد وهو يدغدغ خلف اذني فيقلل نسبه الاكسجين في صدري .. لحظتها افتح فمي لابتلع اكبر كميه هواء ممكنه.. اتشنج .. امسك قميصه بقوه .. اخاف ان يفلت مني .

كان يقف حزينا علي رصيف المحطه مع اولاد حي السكه حديد والجيران مستنكراً سفري وغيابي . وفي اللحظه التي تحرك فيها القطار ونتل عرباته بقوه جعلتني اترنح علي السرير واتابع نظراته وابكي ..عاجزه حتي ان ألوح له بيدي .. احسست به يموت امام عيني ويتلاشي للابد.

حتي الان اشعر بلحظات الوداع علي رصيف محطة القطار هي الاكثر حزناً وكثافه مشاعر .. لحظات مسرفه للحزن والدموع .. حنين دافئ يتملص من بين احضانك .. تري احد الذين تحبهم ونافذته تبتعد عنك .. وتبدو لك عجلات القطار تدوس وتسحق اشياء عزيزه عليك . رحت اقرأ في الصفحه من اول السطر واحاول ان اجتهد في المذاكره وامنع نفسي عن السهر .. جذبني صوت "منال الطيب" وهي تدندن باحدى الاغاني التي احبها فهي تمتلك صوت رخيم .. رددت معها مقطع واحد وزميلاتنا استلمن دفة الكورس .. وتحولت المذاكرة بفعل اغنيه الي حفل نسائي ورقصات (عروس) جذبت طالبات الاقاليم والقري وإزدحمت غرفتنا كعادتها .

(٤)

سمعت صوت كأنه صوت بكاء .. فدخلت غرفة ابني خالد .. واقتربت من سريره وتأكدت انه لازال نائماً .. خرجت بهدوء وتأملت ساعتي .. وقفت اتخيل مره اخري اين سيجلس خالد عزالدين واحاول ان اقترب من شكله

بعد هذه الغيبة .. تصعب علي ملامحه .. اتوتر .. افكر في تبديد الوقت بالقراءة .. اقف امام المكتبه لاختار شيئاً اطالعه .. وبما اني تذكرته قبل قليل بدأت اتصفح مجموعته القصصيه {اصداف مهجوره} مؤلفها " خالد عباس" .. اتذكر عندما رجعت السنه الماضيه الي السودان احمل ابني خالد ولأشاطر امي احزانها .. صادفتني هذه المجموعه القصصيه في احدي المكتبات صادره عن دار نشر مغربيه .. جذبني الاسم وعندما قرأت اسم مؤلفها توقفت !! انه تطابق اسماء ليس الا وعندما تصفحتها سريعاً فأذا بي اجد نفسي في احدي السطور والحمام المهجور . كانت لحظه اكتشاف مدهشه .. كانت علي وشك ان اصرخ .. بحثت سريعاً عن سيرته الذاتيه ولم اجدها مرفقه بالكتاب .. شعرت كانني إلتقيت به حقيقة .. سألتُ عنه صاحب المكتبة ولكنه كمعظم باعة الكتب يتعاملون معها كالايتام .. اخبرني ان الكتاب مطبوع في المغرب وهذه معلومه موجوده في الكتاب اصلاً .. رجعت اتصفحه مره اخري بي رغبه ان ألتهمه الان .. لم يكن هناك اهداء.. وكانت طبعه اولي .. رجعت ابحث عن النسخ الاخري وفي خاطري ان اشتريها كلها .

كانت سعيده وفرحه بهذا اللقاء الذي لم يكتمل تماماً .. ولكني كأني رأيته على الشاطئ الاخر .. وساعانقه بعد قليل .

جلستُ علي كنبة الجلد السوداء وبدأتُ اقرأ في اول قصة قصيرة ولكنى سرحتُ في اول صفحه .. لقد خطر ببالي ان خالد عز الدين ربما تكون لديه ردة فعل مغايرة ولن يسالمني في لقاءنا الذي سيحدث بعد قليل فهو ذكي سينتبه انها ليست صدفه .. وربما ينفعل ويثور وينبش اشياء لا اريدها ان تنفتح .. دائماً تغضبه الافكار الجاهزه .. وفكره المفاجأة التي تحاك خلفه يحس بها ولا تدهشه .

اتذكر بعد تخرجه متاخراً عن دفعته حاول ان يواصل دراسته العليا وفشل في الحصول علي الدبلوم التمهيدى .. اصبح محبطاً وازداد غياباً وعصبية

.. احياناً كان يترك لي وصايا مع حاجه امنه حتي منزل صديقه "ياسر فقيري" لم يعد متواجداً به .. وعندما ألتقيه امام مبني الدراسات العليا يبدو لي متكدراً ومستاءً من عطالته .. لا يطيق الجلوس معي .. بحثه عن وظيفه جعله غائب حتي عن اصدقائه .. احياناً يرسل لي اخباره مع زملائي الذين يلتقيهم في زحمه المواصلات .. شعرت به في تلك الايام يتحول لشخص آخر .. لم يعد هو خالد عزالدين حبيبي ومصدر الدخل الاول لذهني . ألتقيه في نهايه الاسبوع وانا مشحونه بالغضب وافكر في ان اخاصمه وامتنع عن لقاءاته واستدين القهوة والاحساس .. ولكن بمجرد ما اراه بتلك الملامح البائسه .. اتحول الي امرأة حزينه من جراء هذا الواقع .. اقرأ علي تجاعيد جبهته { لا توجد لدينا وظائف شاغره – الاداره } وتنتقل لي عدوى الاحباط .

ورغم ذلك كان يخرجني من صمتي بفرح طفولي يحكي لي عن الوعود التي تذوق طعمها في بعض المؤسسات ونشرب علي نكهتها قهوة حاجه امنه ونبدأ في بناء مداميك احلامنا .. كنا دوماً ننتصر ونفوز علي واقعنا في الخيال .

أحيانا احس به غير راغب حتي في رؤيتي .. يتململ في جلسته معي .. وجهه شاحب وجسمه ازداد نحولاً ملابسه قذره ولحيته ولت كالمساكن العشوئية .. شعره مُترّب وحذاءه علي وشك ان يخذله في هذه الظهيره لا يعجبني شكله وصمته .. اهمس له دون ان تسمعني حاجه امنه :

- شكلك وسخان !!
- المهم من الداخل نظيف !!
- انت مهندس وليس عامل اجرة
- هل تعلمي كم كانت اجرة العمال الذين بنوا الاهرامات واين مقابرهم الان ؟؟

اغتاظ منه

- وانت دخلك شنو بالاهرامات !!

في الايام الاولي كنت معجبه بهذا الشكل المتمرد الرافض لواقعه وادعمه واشجعه واستلذ بفوضويته .. اذكر في الشهور الاولي لمعرفتي به كان لديه بنطلون جنز قذر ولم يستبدله حتي بدأ يتهتك كنت معجبه بهذا البنطلون وخاصه لان به كتابات وخربشات وابيات شعرية اجد اسمي بها واضحاً .. احس بالمتعه وانا اقرأ اشعار تكتب من اجلي .. كانه يعلن عن مشاعره لي بصوت عالي وامام جميع الناس .. في احدى المرات جلست بالقرب منا احدي زميلاتي بالداخليه .. كانت ترتشف قهوتها وتتلصص علي بنطلونه قرأت تلك الاشعار واسمي المكتوب بعناية حب فائقه وفي نفس المساء إلتقتني في إحدي ممرات الداخليه وهمست لي :

- انتي محظوظه !!

فهي تتمني ان تجد احد يحبها بهذه الجرأة والافتخار مثل خالد عزالدين كنت مبسوطه وانا اسمع مثل هذه الاشاده .. والح عليه ان يستمر في تمرده وعصيانه علي التقليد واقف بجانبه واكافح من اجل المحافظه علي بنطلونه بذلك الشكل المدهش – ووراء كل متمرد بائس امرأة غبية – ولكن بعد تخرجه بسنتين اصبحت احلامي تاخذ مساراً جاداً في انعطافها نحو درابزين الاناقة .. واصبحت ممتعضه من التمرد وارتبط في ذهني بايام الدراسه فقط .. فالان اصبحت الظروف مختلفه فبحثه عن عمل بهذا الشكل المقزز لن يصدق احد انه مهندس وربما تعاملت معه السكرتيره علي انه متسول

قررت ان ابحث معه عن وظيفه تناسب مستقبلنا واجعلها مفاجاة له لقد اصبحت مراجعته ووعوده وظيفه اساسيه يخرج لها كل صباح ليقرأ جرائد الموظفين ويشاركهم قهوتهم .. واحيانا يعود في نهايه اليوم لنتغدي سويا ويبشرني بموعد اخر .. رغم الاحباط الذي يسببه لي ..

كنا نجلس امام حاجه امنه امارس في احلامي يقظتي واتخيله قد اصبح زوجي وعاد من عمله الشاق ووجدني اعددت له وجبه الغداء .. ثم اجلس بالقرب منه بكامل زينتي واطعمه احيانا في فمه .. واتركه يغفو وينام علي ساعدي .. الفضل لاحلام اليقظه وخيالي لولاهما لمات بداخلي الامل .

طلبت من زميله غرفتي "احسان يعقوب " ان تساعدني في ايجاد وظيفة له فهي لديها معارف وعلاقات واسعه .. فلم تخيب ظني .. بعد اسبوع ذهبت معها لمقابله شخص يترأس شركه في مبني ضخم وامامه عدد من السيارات الفارهه لا توجد به لافته جلسنا في مكتبه الوثير نرتوي عصير برتقال ومحرجه من نظراته الشهوانيه .. عندما سالمته سلفني انطباع بانه رجل محترم وبمجرد ما تحدثت معه "احسان يعقوب" ازاح قناعه وظهر لي كشخص حقير ولم يراع حتى بياض شعره تراشق معها بضحكه صبيانيه جعلتني اغتاظ منه .. ولكن مصلحتي اجبرتني علي احترامه .. اجاريه في غزله السخيف .. وافكاره الدنئيه التي كانت تلمع خلف عدساته السميكه .

حكت له "احسان يعقوب" عني وعن خطيبي خالد عز الدين لقد كانت معجبه بعلاقتنا وتوسلت له ان يجد فرصه عمل لمهندس موهوب يرغب في شق طريقه.

عرفت انه يترأس شركه نقل ومنظمه حكوميه في نفس الوقت ويبدو ان هناك اسرار بينه وبين زميلتي لم احاول ان اتصنت علي همسهما .

خرجنا منه وقد عين لنا خالد عز الدين في وظيفه اقرب لتخصصه .. وما عليه الا ان ياتي للتفاوض حول التفاصيل .

رجعت للجامعه وفرحتي تسابق سرعه التاكسي .. حكيت لحاجه امنه .. احتضنتني وقبلتها .. انتظرته علي امشاط فرحتي وكنت علي وشك ان اقبله عندما رأيته .

وبعد ان انتهيت من سرد رواية طريقة حصوله علي وظيفة ومدي سعاتي بذلك أنفعل في وجهي وتقيأ رذاذ من الغضب .. لأول مره اشاهده بهذا الإنفعال حدّ التوتر .. طلب مني ان اقطع علاقتي بـ "إحسان يعقوب" وفوراً .

- انا اكره المرأة التي تخيط لي ملابسي دون ان تأخذ مقاسي .

حاولت ان اشرح له وجهه نظري ونقاء نيتي واحساسي به هو الذي دفعني لابحث له عن وظيفه .. لم اعد اتحمل ركام الاحباط الذي غطي وجهه ماكان بمقدوري ان اتركه يتألم وحده واقف صامته .. بين عبراتي وتنهداتي خرجت الكلمات حاره وصعبه .. لقد كان مرماي الاوحد ان اجعله سعيداً ..

كنت ألمح افكار منطقيه في ذهني .. حاولت بلورتها ولكني فشلت في اخرجها

- انا ياخالد خائفه علي مستقبلنا !!
- سنعيش وقتنا المسموح به دون خوف او رعب !!

شممت رائحة رغوة الصابون في مصطلحاته ومفرداته غير المجديه وحتي هذه الرغوة شعرت بها غير كافية لتنظف له ملابسه القذرة .. احسه يتهرب بها من قضيته الاساسيه .. عدم مبالاته وعجزه يغيظني .. يفلح فقط في المفردات.. صدقت "منال الطيب" عندما انتقدته لي .

اصبح نقاشنا يؤدي يومياً الي باب موصد .. فأتركه واعود الي غرفتي متأبطة غضبي .. اعتذرت لزميلتي "احسان يعقوب" عن الفرصه التي قدمتها لي كهدية بمناسبة عيد ميلادي وتهربت من لقاءاتها خوفاً منه .

احاول ان ابدد بقايا واثار نقاشه بالمذاكره .. فاشاهد ردوده وكلماته بين السطور .. ادخل الحمام واناقش مع نفسي آراءه وافكاره وارد عليه في غيابه بمنطق احسه يدحض كل مصطلحاته .. اتمني ساعتها ان يكون حضوره فعلي ليقتنع ويتنازل عن نرجسيته المفرطه . ولكني اتحسر

علي افكاري التي تذهب سدي ولاتزورني الا بعد ان اعود منه .. بدأت ازعم انه يلوي بمصطلحاته عنق آرائي ويجعلني متبلده .. ربما رائحة خبزه الشهية التى ادمنتها جعلتني عاجزه عن اقناعه .. حتي ردودي علي ابسط أسئلته اتوعك فيها واتمتم .. وعندما اعود لوحدتي تدهشني اجابتي التي توصلت إليها وكان يجب ان استبدلها بتلك الكلمات الساذجه وحتماً كنت ساعتها سأغيّر مجري الحوار . فقررت ان اتركه ليصل الي قناعته ويختار الوظيفه التي تناسبه وبالطريقه التي ترضيه .

اغلقت الجامعه كعادتها لاسباب سياسيه.. وذهبت الي ود مدني لاستجم قليلا واخمد التوتر الذى اشعله خالد عزالدين باحباطه الدائم ولكي اعود اليه محصنه بالاجواء الاسريه ..(فعلاً نحن نشعر بالمكان اكثر من الزمان)

وجدت شقيقتي "الهام" سافرت الي بورسودان لزياره خالتي وتركت امي لوحدها كالموج تناكف ذهنية ابى المتحجرة .. فكانت سعيده بزيارتي غير المتوقعه فهي تكره الجامعه التي سرقتني منها ..

- انشاء الله يابركه سيدي الحسن .. ماتفتح كلو كلو يابتي !!

لقد وجدت اخيراً شخص يستمع لها ويصغي لشكواها .. حكت لي عن غلاء المعيشه وظروف تجاره والدي المتدهورة وخوفها المتوقع.. ومشاكل اخي "احمد يسن" مع زوجته ولم تستثن "كمال يسن " وانقطاع اخباره لقد دفن راسه كالنعامه في الرمال الليبيه .. وطلبت مني ان اكتب له رسائل مستعجله دون علم والدي الذي قرر قطع علاقته به وعدم مكاتبته .. كانوا يتوقعون منه دعماً مادياً بمجرد وصوله ولكنه خذلهم ومن ليبيا لم يأت الجديد .. مشاكل اسرتي ألهتنى و قللت من غضبي على خالد عزالدين والنحس الذي بات يتبعه كالظل !! ولكن بمجرد وضع راسي علي المخده يخرج لي من تحتها وينبش في ذهني . لقد تركته يمر بظروف عطاله نفسيه موحشه .. المواعيد تكتم انفاسها

بمواعيد اخري .. ينتظره تأجيل الموعد علي عتبة تحية الصباح بحثه عن وظيفه من خلال عدسات مبادئه اصبحت اداء واجب ليس الا (اصحاب المبادىء يا خالد حيوانات فى طريقها للانقراض) .

اتخيله خارج من شركة الوعود الاستثماريه غير المحدوده متأبطاً وعده الجديد نحو تلك الكافتريا حيث يتجمع اصدقاءه الفقراء الشعراء (احباط الجماعه عرس) يعلن لهم انتمائه ويقسم بهذا البلد الاليف .. يتدشي منولوجه الداخلي ثم يسالهم عني .. وهو يعلم جيداً انني في ود مدني وهو من اوصلني السوق الشعبي .. ولكنه لم يتخل عن عادته .. ظل يترك لي وصايا مع حاجه امنه اذكر في احدي الايام ذهبت معه الى بريد الجامعه ليرسل رساله .. كنت اتخيلها لاحد اصدقاءه ولكني بعد اسبوع استلمتها من بريد الداخليه .. كانت رساله حب عظيمه ومدهشه.

اتخيله في المساء يزيل اثار احباطه بمفاوضات وحجج مع " ست العرقي " ليرتفع تراكم الديون ويهبط منسوب الكحول داخل زجاجته .

بعث لي رساله بعنوان المدرسه التي يدرّس فيها شقيقي " احمد يسن" رساله مختصره .. اخبرني انني اتصدر لائحة ذهنه يومياً .. وغيابي يبدو مزعجاً ....

- في اليوم الواحد امرّ بعشر حسرات ..

فمن يتحمل معي هذه النفقات

ارجوكِ .. اسرعي !!

ديون احاسيسى استفحلت !!

— احبك

اضحكتني هذه الرساله وجعلتني اشتاق لمفرداته واجوع لرئحة الخبز الحار اشعر بانني اظلمه كثيراً حينما اعاتبه في ذهني .. ضياعه في زحمه العطاله يؤرقني .. يدفعني لاقف بجانبه وافعل المستحيل من اجله يجب علي احساسنا ان يظل مستيقظاً وواعياً بهذا الاحباط حتي لا نتوه بين .. المتاهات

فعندما اشعر بالقشه وحدها لن تنقذنا اتمسك بزبد الماء واملي ممتدّ نحو الافق .

رافقت امي في احدي زيارتها الي احد اضرحه اولياء الله الصالحين راحت تدعوه ليعيد لها ابنها كمال يسن من غربته غانماً سالماً .. وقفت خلفها اناجي هذا الشيخ الورع في قبره .. اتوسله واترجاه ليتوسط لنا عند الخالق فهذا المستقبل اصبح خانقاً .. انني اعلم جيداً ان خالد عزالدين شيوعي وربما يكون غير وارد في سجلات الرحمه والا لماذا كل هذا النحس !! .. ولكن املي في رحمه الله جائزه .. واصلت صلاتي بانتظام وجديه لم اعرفها من قبل ..

وقبل استئناف الدراسه بايام ذهبت مع جارتنا ال الفكي "شيخ مكي" الذى زاع صيته في ود مدني كلها .. حكت لي عن معجزاته المتعدده وبانه لا يطالب شيئا الا بعد ان يتحقق الغرض المطلوب .. فاستهوتني فكره ان اطلب منه تحقيق حلمي الذي يرفضه خالد عز الدين جملة وتفصيلاً .

دخلت مع جارتنا الي غرفته المعتمه قليلاً ومنخفضه مقارنه بمستوي ارضيه الحوش .. جلسنا علي سجاد مهتري ومرقع بقماش قطيفه وصلايات سعف ملونه .

رائحه البخور والعطن مخلوطه بنكهة جوافه عابقه في جوء الغرفه.. اشعه شمس متسربه من شقوق شباك الخشب وتعتبر هي الاضاءه الوحيده .. دخان البخور بداء لي سابحا كانه مسجون داخل انابيب مضيئة ومعلقه في فضاء الغرفه معطيه للمكان رهبته وصمته .

ترددت في عرض مشكلتي له .. ولكن جارتنا قرصتني في فخذي واجبرتني علي التحدث واخبرته عن رغبتي في سفر خطيبي خالد عزالدين الي اي دوله اخري ليدبر لنا مستقبلنا هناك وممانعته لمبدأ هذه الفكره.. فهو يرفض مغادرة الخرطوم .. ويعتبر الخروج عن الوطن تخاذل .

بخرني شيخ مكي ببخوره النفاذ وسالني عن اسم والدة خطيبي .. ثم سلمني شيئا ملفوف في قطعه قماش ملمسه رملي وطلب منى ان اضعها في حقيبة يدي عندما اكون مع خالد عز الدين

في نفس الليلة نمت مرتاحه البال وبلا شغب ذهني .. اشعر بان تحت وسادتي تنام انجازاتي المؤقته .. لم احك لأمي بهذه الزياره .. جعلتها سريه بيني وبين جارتنا ..... لقد رايتنى فى منامى اجلس داخل مغاره مخيفه تحت جبل صخوره حاده .. مغاره اشبه بغرفه شيخ مكي نفس العتمه والرائحه .. سمعت فجاء اصوات ارتطام وتهشم فهرولت منزعجه ووقفت خارج المغاره لاتبين مصدر الصوت .. شهقت عندما رايت خالد عزالدين يتدحرج من قمة الجبل بقوه ويصطدم بالصخور البارزه .. اري نوافير دمه تكتب اسمي علي الصخور .. اصرخ ولا احد يسمعني .. احسني عاجزه ان افعل شيئا حيال جسده الذي مزقته الصخور .. لم تستطع عيناي متابعه المأساة اسقطت علي الارض اعجن الرمل بيدي وابكي .. ركع امامي فجاةً رجل عجوز بملامح غير سودانيه ويرتدي جلابيه ناصعه البياض يحمل في يده صينيه بها ثلاث اكواب حليب منقوش عليها اسم خالد بالون الذهبى واشار لي ان اختار واحدة واشربها من خلف زجاج الكوب كنت اراقب خالد عز الدين واثار اللكمات الصخريه علي وجهه .. بدأت كانها جروح قديمه .

في الصباح فسرت لي جارتنا رؤيا الحلم معتمده في ذكاءها علي دلالات الحليب واقسمت لي بذخيرة ايمانها ان بركات شيخ مكي سيسري مفعولها قريباً

عندما رجعت الى الجامعه كنت متلهفه لرؤيه خالد عزالدين مخفيه داخل حقيبه يدي قطعه القماش ذات الملمس الرملي .. سألت عنه زملائي بين فلجات التحايا والسلام .. انتظرته مع حاجه امنه بعد ان سددت له ديون القهوة المتراكمه.. اخبرتني انها لم تره منذ فتره وحتماً سيكون غيابه بصدد انشغاله بوظيفه تناسبه وتناسب تمرده ولبسها دون حزام .. ثم دعتني لكباية

قهوة علي حسابها وبادلتني اخبار السياسه والاسره .. وعبرت لي عن رايها في المشايخ والفقراء .. بعد ان رويتُ لها قصص ومعجزات شيخ مكي .

مر الوقت ولم يظهر خالد عزالدين حتي الهدايا التي اشتريتها له كعادتي فقدت طعمها .. لونها ودهشتها ايضاً .. إستفحلت بداخلي موجة غضب فرغت جزء منها في اصابعي .. اتحرك في قلق بين الداخليه وشجره حاجه امنه شعرت بها تراقبني في حسره .. اتهرب من نظراتها .. واسند ظهري علي ركن حائط مبني الدراسات العليا .. وامارس قلقي اقترح الطريق الذي يمكن ان ياتي منه خالد عزالدين واحسب بعد مرور تسعه اشخاص انه سيكون الشخص العاشر .. ابعثر في قلقي بلا جدوي .. استبعد هذا الاحتمال .. اختار الطريق الاخر واشتبه في كل القمصان والبناطلين .

رايت حاجه امنه تترك بنبرها وزبائنها وتقترب مني بنظراتها الحنونه .. امسكتني بيديها الخشنتين من ساعدي وكأني اخطأت في حقها .. ورايت دمعه حاره تسري بين تعرجات خدها وبصوتها الغليظ الرجالي اخبرتني ان خالد عز الدين اعتقل قبل اسبوع .. فرميت نفسي علي صدرها ابكي .. واشم رائحة عرقها , ورأيته في عتمة صدرها يسقط من الجبل للمره الثانيه وامتلأت عيناي بالدموع .

(٥)

حاولت ان استرجع ملامح حاجه امنه فاستعصت علي الفكره .. فتنهدت بصوت عالي ووضعت المجموعه القصصيه "اصداف مهجوره" في مكانها .. لم استطيع اكمال القصه الاولي رغم اعجابي بها .. لقد قرأتها كثيرا واكاد اكون حفظتها لذلك سرحت في اول صفحه .

دخلت غرفه النوم تاملتني في المرآة .. فكرت في ان اتصل بزوجي في الشركه واطمئن علي وصول خالد عزالدين ولكن سريعا ما تنازلت عن الفكره ..فتحت دولاب ملابسي واكتشفت انني لا اريد منه شيئاً اغلقته

ودخلت الى الحمام ثم خرجت الي الصاله .. وقفت اتصفح ملامحه فى الغياب لم تكن جلية إلا بالكاد بسبب الذاكرة الماكره واتوقع المكان الذي سيختاره ليجلس عليه .. وغالبا مايجلس على اول كرسي وقررت ان اكون في مواجهته لكي أتأمله عن كثب .. وجدتني محرجه ومتوتره لحظه تخيلت استئذان زوجي ودخوله الي غرفة النوم لاي سبب ليتركنا في مواجهة لم احسب لها حساب .. احسستني مخنوقه ومتوتره .. اسئلته تعيق اجاباتي وتذلها .. اطاطئ رأسي مخفيه دموعي وعلي وشك ان اسجد امامه واتوسله ليسامحني .. نهضت عاضة علي شفتي السفلى واعزف علِي اصابع يدي إيقاع غير موزون ووقفت في البلكونه ادعو ذكرياتي لاجتماع طارئ .. وانتظرها علي مسطبة ذهني .

فبعد اقتناعه وسفره الي هولندا واصلت حياتي الجامعيه علي ذكرياتنا ونكهة الخبز الحار ومستلذه باحلام يقظتي ولقاءنا وشهر العسل واشياء اخري تفصيليه تجعلني امرّغ راسي علي المخده واضمه في خيالي .

اكتب له يومياً رساله حسب الاتفاق الذي وقعناه سوياً .. نكتب لبعضنا باستمرار حتي لو لم نرسل الرسائل يكفي لحظة ان يظل التواصل الروحي مداوماً وملتزماً بتهجده اليومي .

اشتريت مذكرة سميتها رسائل لحبيبي .. اكتب فيها يومياً قبل ان انام .. احكي له عن الداخلية واشجار اللبخ وقهوة حاجه امنه واخبار اصدقائه بعد ذلك اقرأ ما كتبته وتسعدني تعابيري ويصبح ذهني حمام زاجل .. واتخيله يقرأ فيها مندهشاً بمفرداتي ومصطلحاتي التي تطورت واوشكت ان تتحدي كلماته الغريبه .. اري الابتسامه تبدأ من عينيه وتتسكب علي ملامحه لتصبح ضحكه يغرد بها ويعبر عن اكتشافه لتطوري في غيابه .. لم يكن في مقدوري ان اتخيل المكان الذي يعيش فيه .. او شكل المباني والطقس الاوروبي .. خيالي لم يكن يتعدى حدود الوطن .. لذلك كنت

اتخيل شكله وملامحه بلا مكان .. كأنه صوره معلقه علي فراغ لم
يستطيع ذهني ان يتصور شكل الشقة التي يقيم فيها مع صديقه .. و كنت
في اقصي درجات خيالي عندما يتجلي شبهتها بمنزل "ياسر فقيري" .
لذا ظلت احلام يقظتي محصوره معه داخل السودان .. فاتخيله عندما عاد
بعد غربة مناسبة ترضي مقدرتي علي الانتظار .. ملامحه تغيرت وفاجأني
بوسامته وملابسه الانيقة يزورنا مع صديقه "ياسر فقيري" في ود مدني
ويخطبني رسمياً من والدي الذي يعجب به وبعد ذلك تتوالى زياراته بعد ان
اصبح خطيبي وتنمو بينه وبين شقيقي "احمد يسن" علاقة صداقة استمتع
بها اكثر منهما اتخيلهما يجلسان في حوش الحديقة الخارجي يتعاطيان
العرقي .. طبعا بعد ان ينام والدي ونجلس معهما انا وشقيقتي "الهام يسن"
نجهر لهما العشاء وندخل معهما في جدل ونقاش سياسي .. اتخيل اعجاب
"الهام" بخالد عز الدين ومناكفتها له ومشاكستها فى مصطلحاته ورائحه
الخبز الحار .. تتوسله ان يقرأ لها اشعاره وقصائد اصدقاءه فهي مولعه
بالاشعار اليساريه وتحفظ معظمها .. اتخيلها تردد معه بعض المقاطع .
اذكر انها في احدي المرات كانت مندهشه عندما اخبرتها انني إلتقيت باحد
الذين تحبهم .. كان ذلك ايام بدايه علاقتي بخالد عزالدين وبالتحديد اثناء
خطوتنا البطيئه نحو الافصاح عن المشاعر .. تلك الفتره التي انتظرته فيها
ليقدم لي اوراق اعتماده كحبيب . فاثناء مرورنا امام سور نادي الاساتذه
وقف خالد عزالدين يصافح شخصاً وتقدمت خطوتين وانتظرته ليكمل
سلامه .. لفت انتباهي احترامه الزائد لهذا الشخص .. رغم ان ملامحه لا
تثير اي فضول .. ملامح عاديه مثل التي تصادفني كثيرا في محطات
المواصلات او تعبر امامي ولا توجد بها مميزات تشد انتباهي .. فكانت
ملامحه اعتياديه الا ان مصافحة خالد عزالدين له جعلتني اخمن انه احد
اقربائه لذلك فضلت ان اترك لهما مساحة خطوات تجعلهما يتبادلان
الاسرار الاسرية .

وعندما سرنا بعد ذلك في اتجاه كافتريتنا المفضله اخبرنى ان ذاك الذي
صافحه قبل قليل هو احد اهم شعراء القصيده اليساريه وذكر لي اسمه
بالكامل .. فإلتفت اتابعه مره اخري وهو يعبر شارع الاسفلت بتوجس ,
حكيت عنه لشقيقتي "إلهام" ولم تصدقني في بادئ الامر .
بعد ذلك سألتقيه وهو خارج من قراءة شعريه وعرفته بنفسي معتمده علي
علاقتي بخالد عز الدين .. والتقينا بعد سفر خالد عزالدين عده مرات واذكر
في احتفال وداع احد الاصدقاء انفرد بي في نقاش ثقافي وبعدها حاول ان
يقبلني رغماً عن شفتي ومن يومها لم اره ثانيه .
اغفو قبل ان تكتمل مراسم زواجي بخالد عز الدين في خيالي .. واعيد احلام
اليقظه في اليوم التالي منذ وصوله الي السودان مستلذه باضافه تفاصيل
جديده .. لولا خيالي لا ادري ماذا كنت سافعل !! .
اختصرت علاقتي علي عدد قليل من اصدقاء خالد عزالدين وعلي راسهم
صديقه " ياسر فقيري " فرغم اختلاف افكارهما ومبادئهما كانت تربطهم
صداقه حميمه بدأت منذ المرحله الثانويه واستمرت رغم الفارق الطبقى الي
نهايه ممشي صاله مطار الخرطوم .. "ياسر فقيري" منحدر من قلب عائله
امدرمانيه عريقه قضى طفولته في عدد من الدول مصاحباً والده الدبلوماسي
الذي استقر وطاب له المقام في احدي دول الخليج .. له شقيقة وحيدة "هاله
فقيري" تكبره بعامين ومتزوجه .
لقد تخرج قبل خالد عزالدين بعام دراسي وكانت خطة والده ان يلتحق بهم
في الخليج ليستلم مفاتيح الشركه ويتزوج ابنة خاله "ايمان" شريك والده
لتؤول اليهما الشركه بدون وجع رأس .
ولكن عشقه لان يصبح ضابط جعله يمتنع عن ترشيح نفسه في دائره
مستقبل ناجح ويفضل ان يخوض الانتخابات الأسرية بطريقته الخاصه
فالتحق بالقوات المسلحه وتخرج برتبه نقيب في سلاح المهندسين .
رغم بدلته العسكريه التي يتقزز منها بعض زملاءنا المثقفين الا انه ظل
محافظا علي علاقته بخالد عزالدين فلم تكن لديه ميول حزبيه او سياسيه
وهذا ما ساعد علي استمرارية علاقتهما .. لم يقطع حبل الود بينه وبين

الجامعه ظل يتردد عليها يوميا بسيارته وهو عائد من امدرمان .. يجلس علي (البنبر) ببذلته العسكري يرتشف قهوته ويمازح حاجه امنه يجعلها تنشرح في ضحكتها الخشنه حتي يبين ظلام فمها .. يسدد لها ديون اصدقائه.. احياناً يوعدنا بان يتغدي معنا انا وخالد عز الدين في كافتريتنا المفضله .. يدخل علينا بشخصيته المرحه والتي لا تنسجم ابدا مع زّيه العسكري يبدا مباشرةً بنكات وقفشات ويمازح حتي عمال الكافيتريا.. له مقدره علي تقليد بعض الشخصيات المعروفه يحكي لنا عن مواقف مضحكه ايام تدريبه في الكليه الحربيه .. أو المقالب التي تحدث بعد صفاره الطابور الصباحي .. حكاوي واحاديث تجعل الاصدقاء يلتفون حول طاولتنا .. كنت اموت من الضحك واجدها فرصه وامسك يد خالد عز الدين تحت الطاولة واضغطها بقوة . واحيانا امسك بطني من الالم وتمطر عيوني من شده الضحك ..

- ياسر كفايه عليك الله .. ما قادره اضحك !!

ثم يعلن بطريقه مسرحيه هزليه عن انقلابه العسكري الذي نجح قبل ان يخطط له .. ويوزع المناصب الوزارية كالسجائر.. ودائماً يعاملني برقه ولطف يناديني احيانا بزوجة وزير الثقافة القادم ويقول لي بين قوسين (سيد اللبن) يقضي معنا سويعات نستهلك فيها ذخيرة الضحك .. ولم يكن يدع احداً يشاركه فاتورة الغداء او الشاي .. لقد كنت معجبه بكرمه وحاتميته السخيّه وتلك النجوم التي رصعت كتفه .. اتأملها من حين لاخر واتخيلها علي كتف خالد عزالدين كان الوقت يمر معه سريعاً .. فعندما نقف امام سيارته لنودعه وفي اللحظه التي يهم بسد باب سيارته يعطس لنا مفجراً أخر قفشاته

- الي اللقاء ياشيوعين يامعفنين !!

تتواصل ضحكتنا حتي تختفي سيارته عن انظارنا .. فيعود لنا صمت محرج يعبئه بعض الاصدقاء بمدح "ياسر فقيري" وشخصيته المرحه ومنهم من يركز علي كرمه فقط .. كنت ازداد أعجاباً به عندما يحكي احدهم عن مواقف كرمه المستتره .. اتذكر عندما اخبرته بمشكله تذكرة سفر خالد

عز الدين الي هولندا اعلن لي في التو بأنه متكفل بها كاملة .. تُسرد عنه قصص حول مواقفه مع اصدقائه تشبه اناقته .. وكان هناك تيار آخر من الزملاء يرفض هذا الاعجاب المفرط وبعضهم يتهمونه ببرجوازيه شوفونيه .. ويتذمرون من مزاحه وعدم جديّته وفهمه غي المؤسس لماهية هذا الواقع .. ويقذفونه بمصطلحات خرجت لتوها من معاجم الماركسية .. ومن ثمّ يحتد النقاش بين منتقديه ومؤيديه .

وفي اليوم الذي سافر فيه خالد عز الدين الى هولندا جئنا بتاكسي للمطار وجدنا في انتظارنا عدد من الاصدقاء امام صالة المغادرة مما خفف عني وطأة تلك اللحظات المرعبه.. تصفحنا ملامح بعضنا وكنت سعيده بإلتفاف صديقاتي حولي في هذا الوداع . تابعت خلف الزجاج المبتل "ياسر فقيري" بزيه العسكري وكان عابساً وغير راضٍ عن هذا الغياب .. شعرت به ساخطاً ومتوجعاً من سفر صديقه .. تأملت النجمات الذهبيه علي كتفه من خلال اهدابي المبتله .. رأيتها تلمع داخل عيني .. انها دوماً تعجبني وتسرق الطاري .. لقد سالم الاصدقاء بلا مزاح او ابتسامه .. لاول مره اشاهده بهذا الحزن والتجهم .. حتي عندما يختلف مع خطيبته "ايمان" ويلعنها في التلفون لم يكن يرتدي هذا القناع الجنائزي .. كأنه كان يعلم انه سيفقد صديقه للابد .. تناول جواز سفر خالد عزالدين تصفحه سريعاً و ازاح تجاعيد الحزن واستبدلها بملامح جافه وصارمه ثم اتجه نحو مكتب الجوازات .. لقد كنا خائفين ان يكون محظوراً من السفر وخاصة بعد اعتقاله الاخير .. و"ياسر فقيرى" رغم انه هو الذى تبرع بتذكرة السفر الا انه كان معترضاً على الفكرة واستحلفه ليترك السفر ويبدأ معه مشروعاً تجارياً .. ولكن خالد عزالدين خرج من المعتقل يمقت الخرطوم بكاملها واصبح قرار سفره لا رجعة فيه .. لقد هدده "ياسر فقيرى" بان يحظره من السفر .. وعندما لم يجد وسيله يمنعه بها .. راح يناكفه وحرمه من وزارة الثقافة فى انقلابه المقترح .

كان هو اخر من ودع خالد عزالدين .. لن انسى ذلك المشهد المؤلم لقد رايته من خلف رموشى المبتلة كأنهما خلف (الرهاب). تعانقا فى البداية بصمت قاسى وبعدها ارتعشت ايديهما وبكى كليهما .. كأنهما يعلمان بفراقهما الابدى .. ازداد نحيبى وانا اشاهدهما يحاولان اخفاء دموعهما عنى .. ظلت اياديهما متشابكة بتشنج والاعين هاربة من الالتقاء .. اقتربت منهما فى صمت متألمة بحزن هذا الصداقة التى فكت حبالها عن المرسى لحظة مؤلمه . شعر خالد عزالدين بعمق الأسي وورطة الحزن التى فرضها علينا .. فسريعاً ما قفز من نهر دموعه ونفض رذاذ حزنه واعادنا الى ثلاثيتنا السابقة

- ياسر فقيرى وصيتك سيد اللبن .

ضحكت ومسكته من يده اليسرى وضغط عليها حتى سقطت مني دمعه على بلاط الصالة . ابتسم "ياسر فقيري" بمراره موافقاً على تحمله لهذا العبء الثقيل ومازحه بنفس الود .

- اكيد سارسلها لك داخل علبة لبن بدره . ما تنسى منتظرين تلفونك فى بيت هالة اختي .
- طبعا اكيد سأتصل .
- فرصتك كوزير ثقافة فى حكومتى مازالت موجوده
- للأسف انا مع المعارضة للأبد .

لوح لنا بيده واختفى خلف دهاليز صالة المطار .

(٦)

صوت خالد ابنى اعادنى من صالة مطار الخرطوم الى صالة شقتى بواشنطن .. هرعت اليه بخطوات سريعة ممتحنه رشاقتى .. اجلسته على مقعده الخاص واحضرت له طعامه من المطبخ .. رفض ان اساعده واخذ

منى المعلقه وراح ياكل لوحده .. جلست اراقبه بلذه اموميه وابوسه قبل ان تصل المعلقة فمه وناكفته بشغب حتى اغتاظ منى .. وقفت اراقب طريقه اكله .. اكيد سيكتشف خالد عز الدين اننى سميته عليه وستسعده هذه الفكرة . التفت الى ذكرى وداعنا له فى مطار الخرطوم .. لم انتبه لصدفة احساسى وصدقه حينها .. لقد تذكرت الان الحوار الذى دار بينهما لحظة الوداع .. لم اضعه فى خانة الافتراق الابدي لقد اعتبرته مجرد مزاح هدفه نفض الاحزان فى تلك اللحظات .. ولكن لا ادرى شيئا ما جعلنى غير راضيه عن تلك المناكفه الأخيرة .. احسست انها تحمل بداخلها دلالات فاجعه او فراق ابدى او ربما اتفقا من تلك اللحظة على بتر ساق العلاقة التى بينهما .. لم امسك ساعتها بالشعور والاحساس الذى كتم على انفاسى لقد رميت به فى سلة الوداع غير عابئة بدلالاته .

اما الأن عندما راجعت ذلك الشعور وقارنته ببعض الاحداث التى طرأت على حياتي وجدتني كنت استقرئ قدرى باحساسي . فعلاً نفس الاحساس الذى يداهمنى خلف قراءتى للدلالة بعينها او احياناً خلفها مباشرة .. حينها احس بانفاسى مكتومه وشيئا ما يسقط داخل صدرى كالجمرة .

بتجربتى استطعت ان افض شفرة احساسى الذى كان يهيأنى لرؤية مستقبلى . واستقراء جزاً من قدرى .. لم اكن مؤمنة به بشكل قاطع ولكن بعد تكراره اعتنقته ورحت ارصده واعيد تفسيره . حتى مدينة واشنطون التى اعيش فيها الان كان لدى احساس باننى سازورها .. كان ذلك ايام تكاتف الاحباط والخذلان ونحافة الجسد .. ايام انعدام وزن المشاعر والانهزام .. قررت ان اقف ضد انوثتى الفائحة وزيف عطرها .. انوثتى التى اصبحت تتخبط فى الشوارع وتقف على زيق الاسفلت وتزينه للعربات الفارهة اهرب من الحر دافنه نفسى فى مقاعدها الوثيرة مستمتعه بالهواء الرطب و الزجاج المظلل يخفى ملامحي من الماره .. كنت امقت الطقس الملتهب والشمس الحاره ترفع من كثافة غضبى . فادافع عن ثمارى وافخاذى داخل ظلام السيارات

.. انزل فى منتصف الطريق بعد ان اخيب ظن بعضهم .. تلفحنى حراره الشمس واشعر بالم فى مكان انتزاع القبله .
ذهبت ايامها الى (عفاف بت الدايه) .. التى عرفتنى بها زميلتى "احسان يعقوب" واستطاعت ان تعيد لى صياغة عذريتى الغائبة .. ولفقت لى احساس توازن داخلى وصدقته لانه كان ينقصنى واصبحت لى رغبه ان اعيش كعذراء حتى لو ليوم واحد – تحافظ المراة على شرفها من خلال تربيتها والدرابزين الاسري ولكن لا تشعر بقيمة عذريتها الا عندما تفتقدها عفواً فى زحمة اغراء – لقد اكدت لى عفاف بت الداية انها رممتنى بشكل جيد وبخبرتها الطويلة فى صيانة الاجهزة النسائية .. اخبرتنى : لا يستطيع احد ان يكتشف اصلاحاتها او خدعتها حتى لو تزوجنى اخصائى فى امراض النساء والولاده

- الرجال ديل اسألينى منهم انا ـــــ !!!

رجعتُ الى (مدنى) واسلمتُ وجهى قِبلة الزواج المرتقب .. وخاضعة نفسى تحت تصرف القسمة والنصيب .. ربما تصيب !! اقتدي بما فعلته شقيقتى "إلهام" .. اوافق على اول رجل يطرق الباب . وفى احدى ايام حزيران الحاميه كنت مستلقية فى غرفتى اتصفح مجلة (سيدتى) فى ظهيرة مدنى الملتهبة وتحديدا لحظة غفوة الكهرباء .. اتصفح وفى خاطرى الزوج المرتقب .. وقررت ان لا اتردد كثيراً واتجاوز خوفى من فضيحة الشرف .. لحظتها شعرت بانفاسي تخنقنى واحسست بأنى سأستقرئ مستقبلى بدلالات الصفحة القادمة .. وبدون سبب منطقي خمنت ان الصفحة القادمة بها شيئ ما يخص مستقبلى وزوجى .. ثم انتقلت الى الصفحة التى وعدنى بها احساسى فشاهدت بها دعاية لعطر رجالى خلفيته صورة ليلية لمدينة واشنطن .. فاستبعدتُ ان تكون لدى صلة بهذه المدينة البعيدة .. وواصلت تداعياتى غير مهتمه بإحساسى .. وبعد اسبوع فقط خطبتنى امرأة لإبنها المقيم فى واشنطن .. و المدهش اننى وجدت زوجى يستعمل نفس العطر

الذى رأيته فى المجلة .. وايضا داهمنى نفس الإحساس ونفس الكآبة وضيق النفس ووقع الجمرة داخل صدرى .. يوم كنت ارافق خالد عزالدين فى رحلة نظمتها كليتهم بمناسبة تخرج دفعتهم .. واذكر فى الثلث الاخير من الرحلة لحظة انزلاق الشمس على بلاط السحاب الاملس وفى طريقها الى السقوط المفاجئ .. تلك اللحظات التى ينشطر فيها تجمع الرحلة الى خليات ثنائية واحياناً تصبح عشقية .. تنسحب الخليات نحو الشاطئ ليشاهدوا هبوط الشمس باقدامها على ارض الافق .. كأنها إله المشاعر والاحاسيس ولحظتها تخرج الكلمات مشبعة برغبة حقيقية .
اما انا وخالد عزالدين سرنا فى ممر ترابى محاط بخضرة مستمرة لمساحة شاسعة.. شاهدناها فى نهاية الممر كانت تنتصب بوابة المزرعة الجنوبية .. اقترح علي ان نمشي الى نهاية الطريق حتى نصل تلك البوابة .. مسك يدي وسألني : هل سنجدها مفتوحه ام مغلقة !؟ بعد سؤاله شعرت مباشرة بضيق فى النفس وجمرة ملتهبة تسقط داخل صدري وداهمنى احساس باننى سأستقرئ مستقبل هذه العلاقة من خلال هذه البوابة .. سرحت فى الخضرة الممتده حولنا والطريق الترابى الذى نسير فيه ودلالاته الحياتية .. اعتبرته طريق علاقتنا ومصيرنا مرتبط بالبوابة التى تواجهنا .. هل ياترى سنجدها مشرعه !! وتسعفنا بالامل !! لم اجيب على سؤاله .. دستُ على كفه بقوة ورحت اراقب البوابة واحاول قرأت قدرى من مسافة بعيدة .. ابحلق فيها جيدا .. مع كل خطوة تزداد سرعة قلبى كان بالامكان قياس نبضي ورعشتي بموجات هرتزية .. خوفى ان تكون البوابة مغلقة يتصدر قائمة ذهني .. ليتنا لم نأتِ بهذا الممشى اصلاً .. لنجد هذه البوابة المرعبه !! .
شعرت كأننا فى طريقنا نحو احد المنجمين ليقرر لنا مصير علاقتنا بعد قليل .. الحزن جعل خطواتى ترتجف وتبطء .
تذكرت فى تلك اللحظة الاحساس الذى استقرأتُ به علاقتى بخالد عباس ايام مدينة الابيض والحمام المهجور .. يومها كنت ابحث عنه فى حديقة منزلهم

وسألت عنه خادمتهم فتحية وجدتها جالسة فى غرفتها تبكي .. لم تهتم بسؤالي لانهم طردوها وطلبوا منها ان تخلى الغرفة . ذهبت افتش عنه لوحدى كنت استحي ان اسأل عنه داخل منزلهم حتى صديقتى "سلافة عباس" لا تعلم بعلاقتى به وترددت كثيراً كى احكى لها . توقعت ان يكون مختبئاً داخل الحمام المهجور .. فبعد ان تعلم ممارسة العادة السرية اصبح يقضى معظم نهاراته هناك .. فكرت فى ان اداهمه متلبسا بنشوته وفى قرارات نفسى راغبة فى رؤية (الضب الصغير) هكذا كنا نلقب ذكره .. لم اعد اخجل واتحشم منه فقد كنا نحلم باننا سنتزوج فى المستقبل . مشيت على امشاطي صوب الحمام المهجور كاتمه على انفاسى ومبتسمه مع خيالى فى الرعب الذى ساسببه له وفى اللحظة التى وصلت فيها حائط الحمام واصبح بينى وبين الباب الخشبى خطوة .. داهمنى احساس غريب دفعنى لاحدد مصيرعلاقتى به فى تلك اللحظة واقرا مستقبل احلام المراهقة .. فتخيلت اننى اذا لم اجده بالداخل لن يتزوجنى ؟!! ثم دفعت الباب بقوة وممسكة على ضحكتى من عنقها واذا بى اجده خالياً الا من شباك العناكب .. لم انتبه يومها لتلك القراءة الحسيه واعتبرتها محض صدفة ليس الا. وبعد يومين من هذه الحادثه اخبرنا والدى ان هيئة السكك الحديدية قررت ترحيلنا الى مدينة كوستى لمدة عام وبعدها سيأخذ معاشه الاختيارى .. وخلال ايام قليلة كنا نغادر تلك (الابيض) وبعدها لم اشاهده الا من خلال صفحات مجموعته القصصية (اصداف مهجوره) .

عندما اصبحنا انا وخالد عزالدين قاب قوسين او ادنى من بوابة المزرعة خارت قواي واسندت جسدى على كتفه .. لا ادرى كيف ترجم ذلك الاحساس .. اذكر انه ربت بيده على ظهرى ووقفنا امام البوابة الموصدة باحكام شديد .. تعامل معها بعاديه لم يكن يعتمد على احساسه فى قراءة الواقع .

وفى صالة المطار وانا اودعه لاحت فى ذهنى تلك البوابة المغلقة .. ولكنى استبعدت دلالاتها بسرعة . شعرت الآن بقوة حدسي ومقدرتى فى التنبؤ عن

طريق احساسي ورحت اراجع فى الاحداث حتى لوقت قريب .. فقبل اسبوع كنت جالسة فى الصالة افكر فى ألوان الستائر التى تناسب مزاج الديكور الجديد فى الجزء الاخر من الشقة .. وهو جزء نادراً ما نستخدمه عباره عن شقة اخرى منفصلة عن الجزء الذى نعيش فيه بباب كبير يفتح بطريقة انكماش مفصلاته ويذكرنى بآلة الاكورديون واحياناً بطرحة عروس المولد .. رغم اننا لا نستخدم هذا الجزء من الشقه الا فى حالة وجود ضيوف وهذا نادرا ما يحدث ولكنى قررت ان اجدد ديكوره لشيئا ما سيحدث وبينما انا افكر فى لون الستائر والسجاد فاذا بالهاتف يرن ويخامرنى ذلك الاحساس الغريب واتوقع ان هناك شيئا يكمن خلف هذه المكالمة .. رفعت السماعة وانا مضطربة وجدت المتحدث ابن خالة زوجي من امستردام .. تبادلنا التحايا بشكل روتيني فنحن لم نشاهد بعضنا الا من خلال الصور ثم استلفنا اخبار الاهل وسألني عن ابني خالد فى المقدمة وبعدها لم اجد ما أقوله فليست لدينا قواسم مشتركة او ذكريات .. مرت فترة صمت توقعت بعدها أنه سينهي المكالمة ولكن عندما شعرت بالصمت يتجاوز الفترة التى اتفق عليها البشر .. قررت ان اقوده الى انهائها تدريجيا فسألته ان كانت لديه وصيه الى زوجي .. فاخبرنى بايقاع نفس سريع انه سيرسل لنا اليوم مع صديق قادم من امستردام مظروف به هديه للصغير خالد وشريط فيديو به حفل زواج شقيقته .. شكرته على الهدية مقدماً وتوادعنا على امل ان يزورنا هو ايضا .. وفى اللحظة التى قررت ان اضع فيها سماعة التلفون

- بالمناسبة صديقى اسمه خالد عزالدين سيتصل بكم ....

انقطع الخط وظلت السماعة عالقة باذنى .. وانتظرت لاسمع منه المزيد .. معقولة !! خالد عزالدين !! هل ياترى هو يعلم بعلاقتنا السابقة ام انها مجرد صدفة .. تشوش ذهنى تذكرت ان احساسي دفعني كى اترقب شيئا ما خلف هذه المكالمة .. شيئا سيحرك بركة احاسيسي .. فهاهي المكالمة ترمى بحجر

فى دواخلي وارى دوائر من الفرح حولي تتسع كلما يمر الوقت حتى تصطدم بأطرافي وتجعلنى متوترة .. ورغم ذلك خططت لهذا اللقاء فى صمت .

(٧)

بعد اتفاقي ومؤامرتي السرية مع سكرتيرة زوجي العراقية لتأجيل سفر خالد عزالدين الي مساء اليوم التالي .. ابتلع زوجي طعم خطتي بهدوء وألح عليه بإصرار لم اعهده عليه واجبره ليقيم معنا حتي موعد سفره محطما له مجاديف اعذاره وعرض عليه شقتنا المنفصله كبديل للفندق وتدخلت انا بمزيد من الاصرار مختبئ خلف الكرم السوداني حتي اصبحت مبرراته يائسه وتحرك مع زوجي الي محل اقامته في الجزء الاخر من الشقه .. كنت سعيده بأن احساسي هو الذي جعلني اجدد ديكور واثاثات الشقه التي سيقيم فيها خالد عز الدين .

في المساء ذهبت اليه احمل قهوته ومن بخارها تتصاعد صبابتي .. لم اكن اعلم انه اقلع عن التدخين والقهوة .. توقفت امام باب الغرفه بفستاني البني ومكياجي المسائي .. متعثره في حيرتي وحائره بين فرحتي من إلتقاء الماضي وخوفي ان ينبش لي تخاذلي ويمتطي شماتته ليشعرني بالندم ويحرجني امام احاسيسي .. وحتما سيتهمنى بالغدر والخيانة وربما احتقرنى وسفهنى – تذكرت قصيدة كتبها احد اصدقائه ايام وهج علاقتنا كان مطلعها (حبيبتى تخوننى مع زوجها فى لندن) لم اعد اتذكر من هو كاتبها – تيقنت ان بمجرد دخولى عليه فى الغرفة سيحاصرني بأسئلة استفزازية ويشتمني .. فكرت ان اتراجع واصرف نظر عن الدخول ولكن صباع يدى لم يدعني اتمادى فى غييّ وافكارى فوجدتني اقرع باب

غرفته وسريعاً ما تبرّعتُ له بكرامتى كاملة .. يخيّل لى اننى سمعته يأذن لى بالدخول ففتحت الباب ببطء مواريه بصرى ووئيدة فى خطوتى .. محاولة فاشلة لتثبيت رعشة الفنجان .

وجدته داخل الحمام المرفق بالغرفة اسعدتنى عدم مواجهته فى هذه اللحظة المرتجفه . وضعتُ القهوة على الكومدين .. وابتسمت عندما لمحت مفكرته الحمراء القديمة .. لقد حملها معه عندما غادر السودان اذكر اننى كتبت له فى الصفحة التى تصادف عيد ميلاده تعهد بانني سانتظرة حتى الممات :(يا رجل بقامة وطن.. سأنتظرك مهما طال الزمن) . عندما مسكتها فى يدى شعرتُ اننى وجدتُ شيئا غالياً – هديه من شخص عزيز افتقدتها منذ فترة ووجدتها الان اثناء ترتيب خزانة ملابسي – مسكتها بخشوع كأنها مصحف .. قرأتُ على غلافها المهترئ بعض المبادئ المؤلمة والاشعار .. اعجبتنى فكرة تمسكه بماركسيته حتى الان .. إلتفت فى اتجاه الحمام مصغية بكامل محارة اذني .. فسمعت صوت الماء منسكباً .. فتحت احدى صفحات المفكرة .. وكما توقعت وجدت اسمي فى احدى السطور .. فجلست بهدؤ على حافة السرير مصغية لحركته داخل الحمام واتصفح فى مذكرته بنهم اخر صفحة كانت محجوزة بقلم ومؤرخة بتاريخ اليوم .. رحتُ اقرأ فيها .

بسرعة .

لقد سافرت عنى المشاعر .. غادرتنى بتأشيرة مزورة ونسيت خلفها حقائب من الكأبة والقلق .. احاول ان ارتب ظني على رفوف (الحشا) . لا اقوى على التنبؤ .. لا ادرى ما معنى ان تنسى الصدفة نفسها لترتطم بى مرة اخرى .. لقد التقيتها اول مرة ذات يوم مؤلم صادف اعدام مفكر احبه للغاية .. وها انا ازور امريكا بدعوة من احدى الجامعات للمشاركة فى ذكرى رحيل نفس المفكر والتقيها ثانية .. ما معنى هذا !؟ هل فعلا

صدفة ؟ اشعر بكلامى شيصبح حطب ليلٍ . وقفتُ ملبداً دهشتى خلف حصير كبريائى .. اتوقع صرختها فى اى لحظة لتزلزل الصمت وتأكد المفاجأة وتخرجنى وتنشلنى من وطأة ورطتى . ولكن فى ومضة ذهنى الاولى كانت قد ركلت حماقتى بعد ان تبيّنتُ انها طبخت خطتها على نار هادئة وقدمت لى الحساء داخل اناء صدفي . فقطعاً هى التى ابتكرت هذا اللقاء .. دبرته بعناية فائقة .. لم تندهش عندما رأتنى ادخل مع زوجها .. وددت لو كانت فعلا صدفة حقيقية .. وقد اخفت دهشتها امام زوجها .. ولكنى اعرف (احلام يسن) جيداً فانا من علمتها كيف تعبر عن مشاعرها بلا خوف . لقد عرفنى بها زوجها .. احساس غايه فى اللزوجة والبشاعة وانت تتعرف على حبيبتك من البداية داخل مشهد هزلى سخيف يسئ حتى لمشاعر المتفرج نفسه.. وقفتُ مفجوعا بينى وبينها نبحة كلب .. واضعا احساسي المجدوب داخل الجيب الخلفى ومددتُ لها يدي المرتعشة مصافحاً فى ادب .. تغيرت كثيراً من اخر مرة رأيتها عندما شيعتنى فى مطار الخرطوم .. لقد زاد وزنها واصبحت غيداء واكثر بياضاً وجمالاً.. لازالت رموشها هدباء و غزيرة .. ابتسمت متعمدة وجنتيها ..ارتدت فستاناً بنى طويل .. جعلها ممشوقة القوام وانسجمَ مع تسريحة شعرها وقد ولدت ارستقراطية متمرسة فى الاناقة . رموشها التى لاحصر لها ولى اقواسها كادت ان تفقدنى جديتى .. عطرها استجوب ذاكرتى واكد لى ان هذا القاء مدبر .

شعرتُ بالغيرة تصّهل فى دواخلى عندما جلست لصق زوجها دائسة بفخذها الوثير على ركبته .. شعرت بأننى ممغوص منها وساخط .. غضب يسري فى دمي كالوباء يوشك على ان يطفح أدوس عليه كأنه لغم.

فعلاً أخطأت عندما قبلت دعوة زوجها .. فما ابغضني وانا اتوسط هذا المشهد لقد دعتني لكى تغيظني وتتمسخر وربما لتحسسني بحجم الندم

وفقة الخسائر !! لم اجد شيئاً احمي به انفى وكرامتي .. رأيتنى امشي حافي القدمين اجتاز نارٌ كابيةٌ غطاها الرماد , دنسي وآلامي لن يشفي غليلها .. فتجاسرت وذلتني لأخطو خطوة وئيدة على بلاط علاقتنا السابقة .. ساهياً عن شظايا المرايا التى هشمتها فى غيابي .. وضاغطاً بألم مدمي على اصراري لإجتياز عَبرتي . ذرات المرآيا تنقش كاحل قدمي وتزقرف البلاط بلون احمر فاقع .

طأطأتُ ورحتُ أقلم أظافرَ يدي من رعشتها .. أتأمل بلا معنى الوان السجاد والعن فى سري ذاك الصديق الذى اوكلني بهذه الوصية .. سلمنى فى مطار امستردام مظروف لم اتوقع بداخله هذه القنبلة الموقوتة .. اتلصص بحسرة على مكياجها الذى كانت تقصدنى به فهى خبيرة فى لي احساسي من يده المتوجعة واعتقالي بتهمة الصبابة .. فطوبى لأيام العنفوان .. ويرحمها الله احاسيسنا السابقة .

مرت لحظات اهنتُ فيها نفسى بحوار تافه عن الطقس .. أراء متشددة حول مستقبل الاتحاد الاوربي ومشنفاً لهما فى ذات اللحظة بعبع امريكا .. رغبة منى فى تصعيد عداوتي لهما الى مستوى عالمي .

اعيدت لى جزء من كرامتي عندما علمت ان ابنها يدعى "خالد" شعرت بالنشوة (تنتطط) وتصهل فى داخلي .. لعبت مع نفسي وانا طفل .. بعد ان سلمته هديته التى ارسلت معى .. تذكرت ايام جذوة علاقتنا وتأججها .. كانت احياناً تتخيلني طفلها البكر .. تضمني فى الخيال على صدرها .. ترضعني وتهدهدني وتحكي لى قصصاً حتىَ انام .. وبعدها تطفئ النور وتشعل الاباجورة فتجدني قد تحولت الى حبيبها خالد عزالدين بلحيته الخشنة ورائحة خبزه الشهية وكثيراً ما تشبهني وتقارننى بوالدها .. فأبدو رجلاً متمدداً على سكة حياتها وندر ما فكرت فى غدرها وخيانتها.. فبدون مناسبة اخبرت زوجها الذى كان يحاورني بكلام سليقه : انها

تذكرتني الان بعد ان وسعت عدسة ذاكرتها للاخر وادعت برأفة اننا كنا زملاء فى جامعة الخرطوم مع اختلاف الدفعة والكليات .. وزخرفت على ثغرها ابتسامة مقصودة واشتبكت رموشها فى شغب (شكلى اتغير بعد الزواج!! .. اوعى تكون الذاكرة خانتك) قلت لها فى سري (الذاكرة لم تصبح طشاش ولكن انت التى خنتيني)
هيأتني لأداء دور دجال خسيس فى مسرحية هزلية سيئة الحوار .. سألتني عن زملاء دفعتى وتبادلنا اسماء الاصدقاء المشتركين .. تثاؤبات زوجها المتكررة جعلتنى احتقر هذا السيناريو وأفكر فى الـ ....)
اغلقت المفكرة عندما توقف صوت الدش داخل الحمام .. ومسحت دموعي ووضعت المفكرة المهترئة فى مكانها وشددت ملاءة السرير لازيل مكان انكماش جلستي .. وخرجت بسرعة لقد شعرت بنفسي غثت واضطربت حدّ التقيوء.

بعد وجبة العشاء انسحبت الى غرفة النوم مخذولة وتائهة .. تركت زوجي يجامله ويسرد انجازات غربته ويتفاخر بجنسيته الامريكية .. فبعد اطلاعى على آخر صفحات مذكراته لم تواتيني الجراة لمواجهته او الجلوس امامه .. وفرحتي بلقائه ضاعت سُدى .. ففضلت ان اجلس ازاء صديقتي المرآة ابرد فى اظافري لأبدد توتري وارقب فى تيهي وحيرتي عن كثب .. اصغي لذهني يراجع مفردات خالد عز الدين لم تعد بها نكهة خبزه الحار .. هل فعلاً يعتقد اننى خنته واجحفت فى حقه بهذا الزواج !! ام يلمح ويرنو الى اشياء اخرى فهو ساخط على هذا اللقاء .. اتذكر اخر اتصال بيننا كان يسمع نحيبي وبكائي ورغماً عن ذلك حسم العلاقة التى بيننا واغلق السماعة .

تتشعب تخميناتي وتزج بى فى متاهة حالكة .. ابحث داخل عتمتها عن حقيقة ضوئية حتى ولو لهبة شمعة مرتجفة مثلى لتفسر لي شكوكه

تجاهي .. جائتنى فكرة مغامرة جرئة : اتسحب الى غرفته واسرق تلك المفكرة واعرف ما يدور بداخلها .. توقعت ان تكون مجازفة غير مرضية للطرفين .. اخذت منديل ((نيتروجينا)) وانحنيت فى اتجاه المرآة ورحت اذيل آثار المكياج وكحل العينين والمسحة الدخانية من جفوني واللون القرمزي من على شفتي .. وذهني مختلج واصبح كالليل في مغارة مخيفة .. يستقبل كل لصوص الاحتمالات وقطاع الشك .. اسرح مع رائحة عطري بعد سفره ظلت اتردد على الاماكن التي جلسنا فيها سويا حتى الشجرة الصغيرة خلف مبنى كلية الهندسة .. كنت ازورها يوميا كمكان مقدس واطوف حولها مرددة تهليلات عشقي في سري واحاصره فى احلام يقظتي وابايعه على الخصوصية والود .. وترقرق عيني عندما يشتد شوقي فأتصل به فى هولندا اصدر له هواء رئتي بصرخات مجنونه .. احكي له بغضب وعصبية : اننى رأيت عاشقان يتشاجران احدى اماكننا المفضلة .. يرد على بضحكته التى تدغدغني وتجعلني أتوق اكثر لرؤيته.. واحيانا ابكي ويواسيني صديقه المخلص "ياسر فقيري" الذى استطاع ان يخفف عني مواجهتي اليوميه للاماكن التى يحوم فيها طيف خالد عزالدين ويختلق لي برامج عديده .. وكنت ابعد وانا ازور معه شقيقته "هاله فقيري" في منزلها حتى اصبحت صديقتي ومثلي الاعلى فى الاناقة و المكياج . كنت اضع وصايا لخالد عزالدين على (الانصرماشين) ليتصل بي فى منزلها .. ومن خلال هذه الهواتف وزياراتي المتكرره تعمقت علاقتي بها واصبحت صديقتي ويبدو انها كانت معجبة برموشي .. اما انا فكنت معجبه بكل تفاصيلها .. فهي امرأة هيفاء ووجهها دائري بلون القمح .. انيقة فى ابسط ازيائها .. علمتني كيف اتذوق انسجام الديكور وافرق بين المكياج المسائي والصباحي ..اعتقد انني اقلدها حتى الان فى اشياء كثيرة .. كنت ارقبها

تضع المكياج بطريقة مذهلة وكأنها تتحكم في عمرها .. تلم شعرها الطويل فى ضفيرة واحدة وترميها خلف ظهرها لتتأرجح فى انسجام مع رقبتها الممشوقه .. اقضى معها اوقات طويلة فى المطبخ وغرفة نومها تحدثني عن الحياة الزوجية واحكى لها عن احلامي ومستقبلي مع خالد عزالدين .. تزودني بنصائح وحلويات لزميلاتي بغرفة الداخلية.

احياناً يزورني "ياسر فقيري" وهو عائد من عمله ليتناول معي وجبة الغداء فى الكافيتريا التي يحبها خالد عزالدين ونشرب قهوتنا مع حاجه امنه ويوزع قفشاته ونكاته ومعظم سجائره .. احكي له عن لقائى الاول بخالد عزالدين وكيف تعاملت معه في ذلك اليوم المؤلم عندما اعتقدت انه احد مجانين جامعة الخرطوم ورويت له تلك اللحظات .. عندما وقف المجنون لصقي وراح يتفوه بكلمات مبهمه ومدى خوفي عندما توقعت انه ربما يضربني بمسطرة الهندسة التى كان يحملها فى يده . كان "ياسر فقيري" يصغي ويدمع من الضحك .. وسردت له لحظات اعتقالي فى ذلك اليوم وكيف ضحّى خالد عزالدين من اجلي وحاول انقاذي .. كشفت له حتى عن غبائي ايامها وكيف ادهشتني مفرداته.. وكيف تذبذبت بعد ذلك مشاعري ونهضت شكوكي وتخيلت انه جاء فقط ليستقطبني للحزب الشيوعي . كان "ياسر فقيري" مبتهجاً باعترافاتي وحكاويّ لقائي بخالد عزالدين وانا ايضاً كنت اكثر سعاده منه .. لقد اعجب بطريقة سردي واثنى عليها وشجعني على مواصلة اعترافاتي دون خجل .. حدثني هو عن خطيبته (ايمان) وعن عداوتهما ايام الطفولة فى دول الخليج وكيف تحولت تلك العداوة الى وئام وعشق . اصبحتُ اتلذذ بحكاياتي واسرد له تفاصيل علاقة عشقي مع صديقه ويعجبنى اصغائه .. حتى اصبحت علاقتي به اكثر عمقاً ووضوحاً . اعترفتُ له فى احدى الايام باننى تعلمت التدخين .. وقبل ان يربي دهشته و تكتمل برقة احتجاجه رحتُ

اسرد فى مبرراتي الواهية .. فالفترة الاخيرة التى عشتها بعد سفر خالد عزالدين كانت بشعه ومؤلمه وداهمتني الامتحانات وزادت الطين مطر .. كانت فترة عصيبة وقلقة .. الغم يحيطني من كل الاتجاهات .. حتى الداخلية ولت اكثر قذاره ونكد .. كل الاماكن تذكرني بخالد عزالدين .. الممرات ذات الظل البارد .. المقاعد الاسمنتية .. ظل اشجار اللبخ .. كافيتريا نادى الاساتذة .. حائط الدراسات العليا .. شجرة السيسبان خلف مبنى (الافرويشن).. مصطبة دار النشر .. ملامح الاصدقاء واسئلتهم اليومية .. وحاجة امنه بالدرجة الاولى . ولكي ابعزق ضجري وقلقي في تلك الايام ذهبت مع "منال الطيب" لنقيم فى منزل عمها بحي الصافية وهو ذو منصب وزاري رفيع .. له منزل ضخم من ثلاث طوابق وحديقة واسعه .. وابنته تصغرنا بقليل تدرس الطب فى احدى الجامعات الخاصة .. سكنا معها فى غرفتها الخاصة طوال فترة الامتحانات .. فشاركتها فى سيجارتها التي كانت تدخنها سراً .. وادمنت معنا "منال الطيب" ذلك السر المدهش .. شعرت ان التدخين نفث لي كثيراً من قلقي وتوتري .. قبل "ياسر فقيري" حجتي على مضض ودسّ لى علبة سجائره داخل شنطة يدي .. لقد اصبح التدخين بالنسبة لي لا يقل اهمية من الهواء الذى اتنفسه .. احس بعينيى ذابلتين وجفوني فاتره .. اتململ اثناء المحاضرات .. ادخن فى حمامات الجامعة بشراهة وذعر وابدد ارتباكي بخربشات على الجدران.. كلمات شنيعه وسيئة فى نطقها واحياناً رسومات رديئة تكمل ملامحها "منال الطيب" ونضحك حدّ الاهتزاز .. وغالباً ما نشترك السيجارة فى حمام واحد . تشتريه لنا زميلتنا "احسان يعقوب" التى منعني خالد عزالدين وحذرني ان اتعامل معها منذ ان حاولت مساعدتي ووجدت له وظيفة .. ولكنى لم ابتر علاقتي بها نهائياً فجعلتها فى حدود الغرفة فهى شخصية لا يمكن معاداتها او خصامها وتبدو مثيره للجدل .

اذكر عندما جئت طالبة جديدة سكنت مع "منال الطيب" في غرفة بها ثلاث طالبات من (ود مدني) واحسان يعقوب كانت هى الطالبة الرابعه لم تكن من سكان مدني ولكن تعاملنا معها على اساس انها من مدينة مدني .. فاهلها يقطنون فى احدى قرى منطقة الجزيرة .. ووالدها عامل فى مصنع نسيج (الحصاحيصا) كانت اكثرنا فقراً وذكاءاً .. ففي السنة الاولى ظلت مهتمة بدراستها بجدية تثير الحسد مما جعلنا نغتاظ منها سراً ونبخس لها انكفاءها اليومي على الكتاب .. يبدو ان كلية العلوم الرياضية هى التي فرضت عليها هذا الاجتهاد .. لم تهتم بمناكفاتنا وظلت في كدها واجتهادها .. وحتى عندما اصبحنا نعيش قصص غرامية نسرد تفاصيلها قبل النوم أو نحكي عن اصدقاء يزوروننا امام مبنى الداخلية . ظلت هى حبيسة دفاترها واوراقها لم تسلف مشاعرها لأحد . اول شيئ يجعلك تلتفت لها عينياها الواسعتين وصدرها الرجراج .. يقال انها مهجنة بدم حبشى من ناحية امها .. فورثت جسداً منسقاً ومشدوداً .. كنت ألاحظ دائما اعين الطلاب تنشن على افخاذها ومؤخرتها ..فرغم عوزها وفقرها تبدو لينه وناعمه وملهمه للرجل السودانى .. ولكنها لم تدع ايّ فرصة لاحد كي يدنو من قعر سورها المرتفع أويطول قلعتها المحصنة .

كنا نمتعض من كثرة ديونها ومماطلتها .. تفتعل الاكاذيب لمزيد من الديون .. ما اسرع دموعها .. كانت على الاستعداد ان تبكي في ايّ لحظة وتقتل فى خيالها اقرب الاقربين .. ومتخصصة فى استدراج عطف "منال الطيب" الحنونه .. تستحلب منها دموعها .. تسرد لها قصة والدها الذى احُيل الى التقاعد الاجبارى وامراض والدتها المستعصية وتعيد مأساة موت شقيقتها بسبب الاهمال والعوز .. تستلف من "منال الطيب" مبلغاً مالياً وجزء من دموعها .. فأجدها بعد ذلك متوترة وتنتف فى اظافرها وتلعن فى شخص غير موجود .. وعندما اسالها عن سبب القلق

البت السخيفه دى .. تقول مركبه فى عيونها ديرب .. تبكى وتتسلف و"منال الطيب" ضعيفه جداً امام الدموع .. رغم انها كانت تحذرنا ان لا للتعامل مع "احسان يعقوب" مالياً ولكن كانت هي اول من يخترق التحذيرات والقوانين . اما فى السنه الثانية اصبحت "احسان يعقوب" هى التي تدعمنا مادياً وبسخاء .. تعود يومياً قبل اغلاق بوابة الداخلية محملة باكياس السندوتشات وفاكهه مشكلة تضعها لنا على الطاولة فنهجم على الاكياس كالكلاب متجاهلين ما قلناه فى غيابها من اتهامات واساءات .. تحيك خلفها اشاعه ونلبسها لها كفستان جاهز على مقاسها ولكن بعد ان تبدأ اسناننا فى مضغ اللحم المشوى نتناسى سلوكها واخلاقياتها .. ونحيل التهم الى محكمة الهيه واحياناً يتبرع لها محامي دفاع ساذج .

ما يمكن تكون شغالة فى محل سندوتشات !!

قالت محل سندويتشات !! على منو يا بت فرعون !!

سمع الجاب سيرة الطهورة الفرعونية منو ؟

اختلفت اراءنا حولها ورحنا نراقبها ونرصد تحركاتها بالتناوب .. تمتطي سيارات فارهة من شارع الجامعه واحيانا تنتظرها عربة مرسيدس امام مبنى الدراسات العليا .. فاتفقنا على سوء سلوكها وحاكمناها غيابياً بتهمة الدعارة والفساد والبعض اقترح طردها من الغرفة .ولكن "منال الطيب" احتجت على هذا الاقتراح فهى كانت مشرفة الغرفة وبدبلوماسية اوصلتنا الى عزلها وعدم التعامل معها خارج نطاق الداخلية .

لا حاجة ولا متابعة الشكش .

وكان من العبث ان نراقبها بعد ذلك . تجرأت فى احد الايام وسألتها عن اصحاب السيارات وعلاقتها بهم .. رميت بسنارة سؤالي وجفلت متوقعه واثقه انها ستزجرني وتشتمني بالفاظ لا تخطر على بالي .. ولكنها فاجأتني بابتسامه ودوده وراحت تحكى بتلذذ عن علاقتها بتجار وضباط

وشخصيات لها وزنها .. وكيف تستدرجهم بجسدها وتستغلهم وتنهب اموالهم وتعتبرها حقاً مشروعاً .. تكرههم وتحقد عليهم وتعتبرهم لصوص سطو على حقوق اسرتها . انها تراوغهم تسلفهم فقط الاجزاء البارزة من جسدها وتوعدهم بزيارة الفردوس وتستلم اموال مقابل الوعود التى تكتبها لهم على رمال الشاطئ لتغالطهم بعد اول موجة .
واحياناً تسرق منهم اشياء ثمينة وتبيعها .. وراحت تخصنى بحكاويها ومغامراتها .. كانت معجبة برموشي وبعلاقتي بخالد عز الدين .
اذكر عندما بدأنا نباشر فى اجراءات سفره الى هولندا وقفت امامنا مشكلة احضار رصيد مصرفي بالعملة الصعبة وذهبت معها فى سرية تامة متجاهلة تحذيرات "خالد عز الدين" وغضبه .. رافقتها الى وكالة سفر وسياحة يملكها رجل اصلع وكبير في السن سالمته بالاحضان ومازحته بدعابات صبيانيه سارقة من بين عدساته وقاره وهيبته .. صافحني وجلس يرمقنى بنظرات وقحة وامطرني بأسئلة جاوبت معظمها "احسان يعقوب" وقدم لنا دعوة سفر مجانية الى سوريا مع الاقامة .. وفى سبيل بغيتي التى جئت من اجلها قبلت الدعوة شرط ان تكون اثناء عطلة الجامعة ـ وفيما بعد ساعرف انها سافرت معه عدة مرات الى سوريا مهربة كميات من الذهب حتى اصبحت شريكته فى اعمال تجارية ـ لقد استخرج لنا الشهادة المصرفية من احدى البنوك التى يتعامل معها .. استلمتها وقلبى يرتع من الفرح .. شكرته برقه متفادية وقاحته فاستغل عمره وكاد ان يعانقني كالزئبق تملصت من بين يديه . وعدتنى "احسان يعقوب" ان يظل هذا الموضوع سراً بيننا واظنها فعلت ذلك فانا اعلم ان خالد عزالدين لو اشتم فى هذه الورقة المهمة رائحة "احسان يعقوب" سيمزقها وربما يمزق حتى ما بيننا من رسائل وقصائد ..
"ياسر فقيري" تقبل ادماني للتدخين بتذمر وكان في نيته ان يزجرني ويعنفنى ولكنني لم ادع امامه خيار سوى ان ندور بسيارته حول الجامعه

واشاركه علبة سجائره واشعر بانني انتعلت حذاءاً مريحاً لقدمي .. ادخن بتلذذ .. اشعل سيجارة من الاخرى حتى ادوخ .. واخذ منه ما تبقى من لفافاته .. اشعر به يعاملني بلطف .. يجتهد فى الاهتمام بي .. يحافظ على وصية صديقه خالد عزالدين .. لايتأخر عن طلباتي .. يدس احياناً فى شنطة يدي مبالغ ماليه .. جعلني لا احتاج الى احد .. يدفع لي ثمن مكالماتي مع خالد عزالدين . اذهب معه الى منزله اتفقد السرير الذى كان ينام فيه خالد عزالدين.. احضن المخده واحاول ان اشم رائحته واستحلب نكهة الخبز الحار .. أتأمل كراسي الحديقة واتذكر تلك الليلة نصف القمرية . اجلس على كنبة الصالة اسرح مع ذكرياتي .. يضع امامي علبة السجائر والمنفضه ويمد لي بآخر صور بعثتها له خطيبته "ايمان" يتركني ادخن واتصفح الصور ويذهب الى المطبخ .. تبدو لى خطيبته جميلة فى الصور ومن حكاياته عنها اصبحت احبها واتوق لرؤيتها واتوقع انها ستصبح صديقتي .
طبعاً انا وايمان لو التقينا مع بعض .. انت وصاحبك الا تهربو !!
اكيد بنهرب .. سيدلين وغفير مستشفى !!
ضحكتي اختلطت مع دخان السيجاره مما جعلنى اختنق و اكح .. عاد من المطبخ يحمل ابتسامته المرحة وعصير برتقال . ارتب له ملابسه لاجد اكبر وقت ممكن امارس فيه هواية التدخين بتلذذ .. اقف امام صورة "ايمان" المعلقة على جدار غرفته.. اثرثر معها سراً واتخيلها صديقتي واحكي لها حلم مستقبلنا الرباعي .. ثم اقبل زجاج بروازها واخرج .

(٨)

دخل زوجي ووجدني اجلس امام المرآة وامرر اصبعي حول صدغي
- صداع ؟
- ....

تعود زوجي على عدم ردي على اسئلته واستفساراته.. فاستلقى فى الناحية الاخرى من السرير واشعل اباجورته وراح يقرأ خلف عدساته الطبية .

اجلس على السرير سانده ظهري على حافة الخشب المقوّسة وواضعة المخدة على حجري ..افتح احدى صفحات مفكرتي وامرر بالقلم على كلمة (عزيزي) عدة مرات حتى تسمن وارجع لكي احركه داخل عتمة فمي .. اتامل بين فلجات الستار انارة واشنطن المترفة .. انوار بعدد النجوم فى (ودمدني) .. احاول ان اجد مفردات مناسبة اكتب بها رسالتي لخالد عزالدين واسلمها له فى الصباح بعد ان شعرت بصعوبة مواجهته .. لذلك من الانسب ان اشرح ما حدث فى غيابه عن طريق الكتابة وهي اضعف انواع الايمان بالتواصل .. وحتى فكرة الكتابة تبعزقت وصعب علي انتقاء مفردات تعبر عن فكرتي وتستطيع ان تحمل مبرراتي لم يكن وارداً ان ابوح له بكل التفاصيل .. فانا ارغب فى تنقية صورتي امام عدساته حتى لو استخدم بلوراً شفافاً يعكس الوان الطيف على رفاتى كى يشاهد حطامى بفستان ابيض فاقع على شبكيته .

فهو يصنفني خائنة وغشاشة فمواجهتنا ربما تفسد علينا حفنة الود التى بيننا حتى الان.. قلمى عاجز عن التقدم حتى لو بحرف واحد .. زوجى صهر نعاسه ونام فى الجانب الاخر من السرير بعد ان اطفأ اباجورته ووضع بالقرب منها عدساته الطبيه فوق كتاب بعنوان احتكار الاقتصاد .

انظر الى وجهه (الغيّاظ) وعينيه المغمضتين على مآقى الربح .. اتقزز من هذا القناع الجامد الاملس .. استعجب كيف عشت معه هذه السنوات الثلاث !! تخطر على بالي افكار "منال الطيب" الجنونية : ماذا سيحدث لو كتمتُ على انفاسه بهذه المخدة ؟ فعلا يبتسم الشيطان عندما تتزوج امراة برجلٍ لا تحبه . احاول ان اتذكر اخر مرة ضاجعنى فيها وانتشى

تاركني حائرة اتمرغ بين ازقة اللذة الملتوية .. اكتم على وحوحتي وصهيلي .. ألعنه فى سري اخربش بأظافري على المخده ..اكرّج اسناني حاقنه انفاسي والشبق ..احس بامشاطي تمططت وطالت حتى لامست حافة السرير .. اتشنج واموء بحشرجه . كنت ارغب فى اطفاء النار التي اوقدها ولكنه همد بعد ان صبّ زيته عليها بكل بجاحه ليأجج لهيبها وينام منقعاً ريقه على فاكهة الانتشاء غير عابئ بأشلائى التي احترقت .

بعدها تحججت و (شنفت) له العازل المطاطي وحتى اقراص منع الحمل ادعيت انها ضاره ببشرتي واثارها تظهر كبقع على جلدي وتشوه وجهي .. لم يعترض على منطقي وهذه احدى عاداته المقززه .. دائما ضعيف امام قراراتي ولا يتذمر .. لقد وافقنى منذ السنه الماضية على ايقاف ماكينة الانجاب حتى يبلغ خالد ابننا الخامسة .

لقد مرت علي ليالٍ (حسيت فيها روحى عايزه تطلع) .. اتململ فى السرير ..اتشنج واحاول ان اعترض صور الاثاره .. واشوش على ذاكرتى بالصور المعلقة على جدار الغرفة .. صوره لى ايام شهر العسل فى كلفورنيا .. صوره لزوجي مع رئيس امريكي سابق ..لوحة اسلاميه .. صورة والدي يحمل ابنى خالد امام دكانه فى مدني .. صوره كبيرة لخالد فى عيد ميلاده الاول اسرح معها واراجع فى ذاكرتي لقد سميته خالد ليخلد معي .. ولكن من هو الذى كنت اقصده بعينه ؟؟ ثلاثتهم لم يخلدوا معى تداولوا ذاكرتى وكل منهم حفر فى اتجاه .. خالد عباس – خالد عزالدين – واخيرا خالد منعم وهو اكثرهم مداومة على ذهنى .

اذكر عندما دخلت معه شقته المفروشه اول مرة .. منعته ان ينزع لى ملابسى الداخلية .. وشبكت قدماي ببعضها البعض ضامة افخاذي بقوة رافضة حتى محاولة يده اليائسه (سمعت بالصدفه امى تحكى لجارتنا : البنت لو صحيح عذراء بتعقد اقدامها مع بعض عشان خائفة على شرفها)

تركته يلتهم شفتي ويمص شحمة اذني ويمضمض بلسانه محارتها فاقشعر وانكمش واكتم على اهاتى .. اكرّج اسنانى وتتصاعد انفاسي .. تحرد رئتي الاكسجين .. انشبث به واستجديه ان يتركني
حرام عليك كفاية .. ماقادره .
احس اثارتي تقف على امشاطها وتسخن دواخلي .. اماطل انوثتي واحرن على عتبة الخطوة القادمه .. خائفة من انزلاقي داخل شحواء الشبق ..امرّغ راسي تحت المخدة واعضها .. محاولاته لم تتوقف وتمنعي ثابتاً على رأيه .. الإثارة تصهل وتندفع مسعوره داخل دمي .. تبحث عن مخارج .. تهذي وتتخبط فى ممشى الاورده . ركبتي ترتعش من شدة الظمأ .. النار اضرمت فى اطرافي ودخانها يخرج مع آهاتى المكبوتهة.
دفعته عني بقوة وانبطحت ابكي وانتحب ممغوصة من نفسي .. ومغتاظة من هذا الهبوط الاضطراري .. افكر بين تنهداتي عن كذبة اجيدها .. كنت خائفة ان يكتشف غياب عذريتى ويصنفنى فى قائمة البنات (الشكش) لذا ناضلت ضد مصلحة انوثتى حتى تمر هذه اليلة بلا فضائح وفيما بعد امهد له اعترافى .. ولكنى شعرت باحد اصابع يده ينخر المطمورة أو شدة الاثارة هى التى خيلت لى ذلك . لاطفنى خالد منعم وغمرنى بمشاعر سخيّه قدم لى تنازل حتى عن وقاره الذى قابلته به ولحس بلسانه دموعى .. طوقنى بتحنان وعاطفة افتقدها منذ مده .. هيأنى لكى انهار امامه أو بالاصح انا التى كنت راغبه فى ادانة نفسي فى تلك الحظة .. لقد استطاع ان يقطف زهور اعترافاتى ويستنشق اريج صدقها .. رويت له بين رقراق نحيبى كيف سرقت عذريتى فى زحمة اغراء .. بينما كنت افتش عن عاطفه ضائعه فاذا بى افتقد محفظة شرفى الوحيدة .. لم اخبره عن اللص الذى تابع انوثتى بكل تفاؤل !! واقسمت له باننى رغم عن ذلك لم اتسول .

تعامل معى خالد منعم ذلك الرجل الغامض الغريب بجدية كاملة وخصوصية مفرطة .. وهذا ماجعلنى انتمى اليه واتنازل له عن ميراث جسدى ضاربه بالحقوق الشرعيه عرض الحائط .. فبحكم دراسته فى شرق اوربا حدثنى عن تعامله مع المراة واقنعنى ساعتها ان فض البكارة لاعلاقة له بالشرف كما يدعى الشرقيون .. كلمنى عن صداقاته مع اوربيات وزيجات تتم بعد المولود الاول .. ابتلعت منطقه بلا جرعة تفكير .. ودلقت داخل جوفى موافقه حره (كنت عايزه اصدقه وما اندم) كاد ان يحبط شهوتى عندما اعتذر وتردد فى تنحية ملابسى الداخلية .. رجوته وتوسلت اليه ان ينتشي ودعوته كى يحلل صيامه .. كنت لحظتها فى قمة المئذنة وتراجعه ليس مدرجا فى لائحة شبقي .. فطوبى له جعلنى اصرخ وادمع من شدة اللذة .
انوار واشنطن احسها تقترب مني وتلامس صدري وتسخننى حرارتها .. تسرى رعشة فى جسدي .. حلمات صدري تمد كفها وتتسول النشوة ..احتضن المخدة .. افخاذى ترتعش وركبتاى تهتزان وترتجف .. انسحب ببطء الى الحمام . تحت الدش تخيلتنى انفذ الخطة التى رسمتها جيدا بعد ان فشلت فى ان اكتب مبرراتي لخالد عزالدين .

(٩)

بعد خروج زوجي المبكر كنت قد حسمت فكرة مواجهة خالد عزالدين وبالطريقة التى اجيدها .. بعد الحمام الصباحي اسندت مرفقي على طاولة التوليت جلست افرد فى رموشي واقوسها .. وضعت لمسه بسيطه من ظل العيون وحرصت على استخدام كريم اخفاء التجاعيد بلمسه مشمشية خفيفه تناسب لون بشرتى وطبقه ارجوانية على شفتي . ثم ربطت نيّتى بحزام الرّوب ومن ثمة دلفت الى الجزء الاخر من الشقة محل اقامته .. مشيت بدلال وغندره .. وجدته نائماً ومتناسياً اباجورته مشتعلة كأنوثتي .. مفكرته منبطحة على

الكومدين .. دخلت بهدوء امشاطى منكمشة داخل حذائي .. متريثة فى مغامرتي .. اغلقت خلفي الباب فاستيقظ مفزوعاً من اقتحامي وهذه الكبسة المفاجئة .. فزّ من رقدته واختلجت عينيه واضطربت .. رايت الاحتجاج التربوى والاخلاقي يختلط بالخوف .. وقبل ان يفتح فمه فتحت الروب على مصرعيه وتركته ينساب على جسدي بطريقة الاغراء الساذجة وتقدمت خطوة فى اتجاهه وبدأتُ افك فى مشبك (الستيان) فنهض بسرعة حتى لا يضعف امام فاكهة صدري ورفع الروب ودثرني به وزمهرت عينيه وكاد ان يصفعني .. تعلقت على رقبته ورحت اجهش وابكى بصوت عالي .. افتش وانكش عن احساسي .. اصبحت كبوصلة فقدت شخصيتها وقطبها الشمالى واصبحت تتخبط وتهذي عشوائياً .
كنت واثقة اننى استطيع ان اسمسر فى مشاعره ولن يتردد فى صفقة مضاجعتي وخصوصاً عندما يعرف اننا وحدنا فى الشقة.
اجلسني على حافة السرير بعد ان شعر بقواي تنهار ويثقل جسدي عليه .. ظل مستحي ومحرج لم اعبأ بتوتره واصلت فى إلتفافى حول رقبته ابكي واقبله عشوائياً .. ارغب فى ان ابتلعه قبلة واحده .. ابحث عن لحيته الخشنه ولا اجدها .. حاول ان يزوغ ويفلت ولكنى تماديت فى عناقه .. احتويه واضمه اعمق . ابتعد عن جسدي قليلاً ومسح لى دموعى .. فتشبثت بساعده .اتأمل وجهه بندم .. لقد اصبح اكثر وسامه .. وجهه منتفخ ورطب .. سبايب رماديه مزروعة بأناقة داخل شعره لقد ازداد نضجاً ورجولة .. اشتهيته بلهفة .. لم ار فيه ذلك الطالب المتمرد بمصطلحاته الغربية ورائحة خبزه الحار .. خاطبني بمفردات عادية أو بدت لي كذلك .. تبادلنا نظرات اعجاب ودست عليّ كفه بقوة .. مددت له فى خيالي بساط احمر حتى عتبة فمه .. ابلع رِيقى وثغري يرتعش .. متوقعة ان يعبر فى اتجاهى بقبله ملتهبه .. سالته اثناء انفاسى المتصاعدة.
بتحبنى ؟؟

....

عادت دموعي الى خريف المناطق الباردة بلعت اساعتي وطويت بساطي الاحمر بألم انتبهت للتغيرات التى طرأت .. لم يعد كما كان خالد عز الدين المتمرد العاشق ذو اللحيه الخشنة وبنطلون الجنز الاوحد .. وعشقه للخرطوم وازقتها الطينيه .. لم يعد يكتب اشعاره تحت الاشجار وداخل البصات أو يغني اغاني الحقيبة بصوتٍ نشاز وكنت رغم ذلك اسمعه يغرد ..
يكتب عنى اعذب الكلمات يقرؤها لى ملئ حلقومه .. يناكف حاجة امنه ويحدثها عن لذة قهوتها ويقارنها بلذة النص عند ادونيس ويعرفنى (بجاك دريدا) فيلسوفه المفضل ويحدثنى عن شظايا المفردات .
نكهة كلماته تبدلت وتغيرت الان .. اصبح كالواعظ .. حكى لي عن اشياء مختلفه ومتباينه ولا تشبه اللحظه الواجمة .. حياته فى امستردام والريف الهولندى .. تغيرات السياسة العالمية .. تجربة عشقة الاخيرة .. وازمة التواصل ودرابزين الملل .
يرتل فى كلماته وانا احتضن يده واعجن فيها بعصبية .. اعوذ اليه ولا اريد ان افرّط فيه ثانية .. لم يأت بذكر الماضى أو يسألنى عن ما حدث فى غيابه !! . كنت راغبه فى ان يذلنى ويشتمنى كى اركع تحت قدميه واتوسله .. يضربنى كالسجاده لينفض عنى غبارى .. اقف على دهليز مستقبلى ومستعده ان انفصل عن زوجى الان واهاجر معه الى امستردام.
لقد ضقت بالامر ذرعاً واحتضنته بقوة عندما عجزت كلماتى على اصطياده .. رشفته بقبلات ملتهبه .. كالحيه اتلوى فوق جسده امرّغ وجهى على صدره واتأوه .. لقد تملص من بين حنايا شهوتى وراح يلملم فى ملابسه فلم اجد سوىَ ان اخفى مفكرته تحت السرير . لقد رحل الى هولندا مخلفاً وراءه رزمة ندم ومفكرته الحمرآء والتى سأكمل بها روايتي .

نكهــه خاصـــة
(نكهــه الكتابـــة)

(١)

كنت احلم بكتابة رواية .. تبدو لي الفكرة هيّنة وسهلة وفى مقدوري انجازها بأبسط ما يمكن .. فقط يكفي ان اجلس وامسك بالقلم .. اكتب عن حياتى السالفة .. اتخيل الاماكن التى تدور فيها احداث القصة .. اتصور الشخصيات الروائية واسماءهم والكيفية التى اصفهم بها وانتقى مفردات وتشبيهات تخصني حتى اجد اسلوباً متفرداً يمبزني عن غيري ويؤكدني . انطلق من الواقع واحلق فى الخيال واجبره ان يحتل مكان الواقع ويصبح اكثر واقعية منه .. واحياناً اتبنى وجهة نظر من لا صوت لهم وتبدو على الدوام هى الاكثر جاذبية . كانت تزعجنى وتقلقنى صياغة الاهداء .. افكر فيها كثيراً قبل ان اشرع فى الكتابة .. انكش فى ذاكرتي وانقب عن الذين يستحقون ان اضع اسماءهم على الصفحة الاولى من روايتي .. اقترح واخمن فأرى خوازيق العتاب تطاردني .. واخيراً يلهمني الوحي بصياغة فضفاضة واهداء توفيقي يشمل جلّ من احبهم وحتى الذين لم اعد أراهم وصدأت اسماءهم فى ذاكرتي (اهداء الى كل الذين لم اعد اعانقهم).

ابتسم لذكائي وافتح صفحة من مفكرتي .. اكتب كلمة وحيدة فى بداية السطر واظل امرر عليها بالقلم واكررها فى نفسها متيقنه انها ستتجب خلفها جملاً متتالية أو انتظر هبوط الوحي ليبرق بي في عوالم خيالية . احس بتفاهة وركاكة ماكتبته فاحرد الكتابة وارمى القلم .. تبرّم وضجر .. ما ابغضني فانا لااصلح لاكون كاتبة روائية .

اتساءل كيف استطاع هولاء الكتاب العظماء ان ينجزوا رواياتهم المدهشه ؟.. ربما تجاربهم وثقافتهم كانت اعظم ..!! أو الاجواء التى عاشوا فيها كانت ذات نفحه عبقرية فانجبت قريحتهم ومن المحتمل ان يكونوا مرّوا بنفس ظروفي .. استاءوا من كتاباتهم ومزقوا بعض اوراقهم ثم عادوا بعد فترة بتوابل الذكرى . اعتقد ان الرواية هى اخر اركان الادب لايكتبها الا من استطاع اليها سبيلاً.

وعندما اعود واقرأ ما كتبته سابقاً .. يفاجئنى اسلوبي ويعجبني كأنه لغيري اقراه بلذة .. اتشجع اكثر ويحضني اسلوبي على مواصلة الكتابة مرة اخرى وافتح صفحة جديدة واصطدم بفشلي واكرر محاولاتي حتى اكمل الصفحة وعندما اعيد قراءتها لا تعجبني فأجلس ممحنة راكنة ذهني لليأس .. لم اكن اتوقع ان الرواية تحتاج لصبر ومثابرة .. تخيلتها بسهولة قراءتها ولكن يبدو انني لم اكن قارئة جيده .. يقول رولان بارت (حتماً مولد القارئ على حساب موت المؤلف) ولكنه لم يحدد نوعية الرحم الذى ينجب قراءً جدد لقراءة اكثر تعقيداً . رحت اطلع على لقاءات لكتاب عباقرة وادرسها بتروي كى استشف منهم تجربتهم الروائية وطامعة ان اجد عندهم لحظات الإلهام .. ولكنها هذه اللقاءات اضرت بي اكثر مما افادتني .. لم اجد فيها سوى الغموض والمتاهة.

اعاند نفسي على مغرياتها .. اظل جالسه بالساعات اكتب وامزق التفاهات التى تصدر عني .. احس بالمفردات تغمز لي عينها وتتوارى لتغيظني . اتذكر (انشتاين) ذلك الدماغ المدهش عندما عبر عن بحثه المضني خلف المعرفة – الحقيقة – وكيف كانت تبتعد عنه كلما اقترب منها وضرب لنا مثلاً ولم ينس نفسه : تخيل ان الباحث عن المعرفة ينفخ فى منطاد ضخم وشبه الحقيقة بمحيط المنطاد نفسه .. فكلما نجتهد وننفخ تبتعد عننا الحقيقة .

لم ايأس أو تتوقف محاولاتي وازدادت احلام يقظتي .. فكثيراً ما تخيلت انني اكملت روايتى ونشرت ووجدت استحسان لا مثيل له فى الاوساط الادبية والثقافية .. وكتبت حولها مقالات وتحليلات مذهله وتأويلات لم اكن اقصدها .. وتم تصنيف اسلوبي ضمن احدث المدارس الروائية . واحد النقاد السوريين يصف روايتى بعد مقالة امتداحية بانها قفزه عاليه بالادب النسائي .اخفى سعادتى اثناء اللقاءات الصحفية واتصنع الجديه .. وارد على اسئلة المعجبين بردود مبهمة كى اكثف من غموضي وازحف نحو اسطورتي .. استلذ بشهرتي واستغلها بشكل سيئ للغاية .

(٢)

بعد ان ينام ابني خالد ابدأ اتصفح في مفكرة خالد عزالدين التى سرقتها منه وقررت ان اكمل بها روايتي .. احياناً ادوّن ما قرأته معتمدةً على خيالي وغالباً ما اقرأ مباشرةً

فى ردهة مطار امستردام لفحنى زمهرير الكآبة وقفت انتف فى حسرتى وندمى .. شاعراً بحماقة القرار الذى اتخذته .. تيّه وضياع نحو غربه مومياء . كيف تبرعت بنفسى وذاكرتى وتركت السودان واحلام يسن ؟ كنت على وشك ان ابكى على من اخصهم . تمنيت لو انتتنى الجرأة وحسمت امرى وزجعت بنفس الطائرة ..(فيما بعد ساكتشف ان عطالتى وتسكعى بين الوعود وكافيتريا جامعة الخرطوم اهون وارحم لى من الانتظار داخل معسكرات اللجوء السياسى بين اناس انتهت صلاحية الامل بداخلهم وباغتهم شتاء ابيض شائب ومطر حزين مظلم .. والليل اذا عسعس يقرع باذهانهم اجراس السلوى .. يسألونك عن حساسية المنفى وعلاقة المباغتة بالذكرى .. اسئلة وزر اخرى .. لقد ضاعت مآربهم سدى حتى فاكهة الشتاء وجدوها معلبة داخل مواسير .

اجدهم سعداء بانتظارهم وصبرهم على جدية الخبير الاجنبى .. منتصرين باذن الله فى حقول الماضى من جهة الخضره .. اكاذيبهم لا صلة قرابة لي بها .. الظن وحده يجعلهم مؤمنين اننى صابر معهم . انزوى فى غرفة لجوئي هارباً من سذاجتهم ومفرداتهم الداعرة .. اقلب فى صفحات ذهني وابصق على إبهامي لتساعدني اللزوجه على تجاوز صفحة المحنة .. اكتب على الورق الابيض مقاطع من عادتي السرية واقرأها على انغام الويسكي .. متفادياً الارق والاطياف التي تموج وتضطرب امامى كظل اليد عندما تعلى لهبة الفانوس . اخاف ان اشتهى احلام يسن وزجاجة عرقي .. اشعر بانفاسي مغمومه وقلبي مزرود بسعف الجبيرة .

ظللت واقفاً فى ردهة المطار مغشوشاً فى ظني .. اتأمل اناس نشاز .. كانهم من كوكب اخر .. حركتهم نشطة .. توقعت خلف سرعتهم تكمن قوة سحريه لشيئ ما سيحدث (فالنمل يتوقع الخريف قبل المزارع) اخترت من بينهم شقراء جسدها بلون العسجد دفعتنى نحوها لهفه جسديه وذريعه كانت نائمه . دمثاً وقفت امامها .. بينى وبينها نبحة كلب .. اتأمل ودعة امى داخل سرتها .. خاطبتها بالانجليزية ورتقتُ المعانى بالاشارات .. بالكاد افهمتها وجع الظهيرة الذى جئت منه لأسجن نفسى فى حانات الضباب .. وعرجتُ بترانيمى على جاذبيتها التى جعلتنى انحدر الى سهولها الهولندية الخضراء وفمى منحاز الى ألبانها وزريبة صدرها . تخيلتُ انها ستطرز حولى كشكشه اعجابها وتشتهي افريقيتى ووقاحتى .. وحتماً سيبتسم لي معظم الحظ .. لن اتردد فى الدخول الى دهاليزها وقبل ان اتمتع بحلمى المعسول ارشدتنى بلغة حنونه الى مركز الشرطة .. لقد احسست بانى كنت اقف على شرفة اشتهائى .. وخافت من انتحارى فى توقع الخطوة القادمة .

شعرت بانى عبدٌ اخرق لن انمو طويلا بين هذه السنابل الشقراء .. تاكدت من جواز سفرى وكرامتى ثم دلفت الى مكتب الشرطة بلكنة الخوف المعتاده .. تنمو فى ذهنى كراهية الاستجواب والاعتقال .. فتفاجأتُ بشقروات يرتدينَ زيّ الشرطة فحسبتهم لؤلؤا منثوراً . . لم يرق لى هذا الزي إلا على اجسادهنّ .

إجتهدت إحداهنّ وهى تشرح لي بأدب اصحاب الاضرحه عن اجراءات اللجوء والخطوات التى اتبعها على رمال عذراء .. سلفتنى المعانى واختفت (لم احسب ان انتظارى سيعلمنى كيف انسج صبرى كالعناكب كى اصطاد حظي)

وجدت نفسي داخل صاله فارهه مع من سبقوني بالانتظار .. الملل يفاجئهم بتكراره الدائم .. مؤخراتهم تتمرغ على المقاعد .. توقعاتهم اجهضت . انضممت اليهم اشاطرهم الصبر والخذلان .. اتكىء على محنتي وانتف فى حظى بعصبية احملق بحدة على فراغ المستقبل القادم .. اوشكت على ان اجدف من شدة النحس .

امامي يجلس افريقى مرتعشاً من الخوف .. بجانبه صندوق سندوتشات واخر به تفاح .. الصمت الزائد عن الحاجه يجعلك جائع للشجاعه ..قرأت فى سري كل السور القرانية القصيرة .. امسكت تفاحه ورغم اشتهائي لها قضمتها بلا ظلم .. ألوكها مقلداً رتابتى وضجرى . بريق صاله الانتظار ولمعانها جعلانى اتعنصر لقذارتى .. فانسلخت من برجوازيتهم واتكأت فى سري على حطام حائط برلين .

رقعة التشوه تزحف فى داخلي .. الطقس فى الخارج يوحي بالكآبة .. الغيوم تزداد عتمه وشؤم .. رزمة شتاء بارد .. .. الدفء يتسرب من فتحات الباب كالامانى .. اشعر انى ساتحول الى نبات ظلى .. ارتعش .. اتذكر الفراشات التى ترمى بنفسها فى النار..ابدو كطائر البلشون ـ مالك

الحزين ـ فى مكانٍ ما بداخلى يتكور الحنين .. اشتهى العرقي ولمة الاصدقاء المبدعين ..(تنطط) الاسئلة فى ذهنى وتستهتر بي مامعنى ان اكون هنا ؟؟ لماذا لم اتقيد بقوانين العشق ؟؟ كيف ساعيش بدون احلام والاصدقاء ؟؟ كيف اقضى اسبوعي بلا مغامرات !! مع من ساشرب قهوتي !! ولمن سأخلى مقعدى فى زحمة المواصلات ؟؟ ياالله ماا فظع الاحساس وانت تسمع صوت حبيبتك طشاش عبر الاسلاك .}

اذكر ذلك اليوم جيداً .. كنت انتظر مكالمته الاولى مع "ياسر فقيري" فى منزل شقيقته "هالة فقيري" .. انظر الى ساعة الحائط واؤكد عليها بساعة يدي .. ابحلق فى التلفون بترقب وشغف ادعوه لكى يرن .. احس بالوقت يتكئ ويغفو مع هزة البندول .

ساعدت "هالة فقيري" فى غسيل الاواني وذهني شارد مع خالد عزالدين هل فعلاً ساسمع صوته من دوله اخرى !! اشطف له فى كلماتي وألبسها ازياء احساسى الكئيب .. اطرز لمفرداتي معانيها واعلق لها على ياقتها مناديل شوقى وصبابتي .. اشعر بأني سابكى مع اول جمله !! اقرر ان اطلب منه ان يعود فوراً .. غيابه لا يطاق .. ستسالنى عنه الاماكن والاصدقاء . (ياالله ياخالد ليه سافرت !! حرام عليك يا وحش !!) اعض على اضراسي واعرقل عبرتي و كالعاده رغم عيني يسيل دمعاً ثجاجاً

شعرت بمخاوف مختلفه .. ربما لن يتمكن من الاتصال أو يحدث عطل طارئ فى التلفون .. فاتجهت فوراً الى الصالة ورفعت السماعة وتاكدت منه .. رجعت ابدد الوقت والتوتر .. العب مع عيال هالة فقيرى حتى عيل صبرى .. احكى لهم احاج قديمه .. جعلتهم يلتفوا حولى واحياناً اصور لهم حياتى مع خالد عزالدين كقصة رومانسيه يتعرض ابطالها الى فراق ومشاغل حياتيه و نهايتها :(عاشوا فى سبات ونبات وانجبوا صبيان وبنات) حتى ادمنوا قصصى وجعلتهم ينفعلون بتعابير وجوههم مع ايقاع

السرد. تجلس امهم لصقى وتفرجنى على الصور .. تشرح لى بتلذذ عن اماكن شهر العسل .. رحت أتامل جمالها وفساتينها الانيقه وهى تتصفح معى ذكرياتها واحياناً تحكى قصة عن احدى الصور أو مناسبة التقاطها .. اتابعها بعينى ومصغيه الى اجراس الهاتف التى اخطأت عدة مرات .. يرد عليها ياسر فقيرى وياتى ليمازحنى وينصرف .

(٣)

احياناً اجد فى صفحات مفكرته اشياء غير مكتمله وتبدو لى مبتوره .. أو ربما اكملها فى مكان اخر وغالباً ما يكون ضجره ومللّه حالا دون عودته لها .. ولكننى قرأتها بتلذذ .

من منكم يا اصدقاء يدوّم .. ذاكرتى تتسول شوارع الخرطوم ..

حتى حنتك غيروا فيها اللون .. معقول الرحط ينقسم على مليون !!

خرجت من المعتقل بلا شعر وبلا شعارات وبلا .... امقت الوطن الذى لا يحترم إلا خصومه والذين هم يسرقون ويمنعون عنّا الماعون . لا احبذ ان اخوض فى تفاصيل يراودنى فيها الحزن بغاباته المتشابكه . خرجت مدان لبعض الاصدقاء والذين ايضاً تعرفت عليهم داخل المعتقل .. وفى نفس اللحظة اديّن هذه البلد التى تبلدت للابد .. قررت ان اقاضيها فى محكمة العدل الدولية ارفع تظلمّ ضدها .. اطالب

بتعويضات عن صبري بداخلها .. تحملي لقرارات ساستها العنجهية .. رضوخي للإنقلابات العسكرية .. مشاركاتى دون دعوة رسميه فى انتفاضات شعبيه ومظاهرات طلابيه . اطلب باجرى كاملاً مقابل لقاءات تحت لمبة التحقيق .

قطعاً لن اتحمل روتين المحاكم كي اصل الى بغيتي ومقصودي لذا اقترحت صالة المغادره كبديل . كنت احلم بمستقبل متواضع .. بيت ايجار ومصدر رزق .. هل حلمي تجاوز الواقع ؟؟ وماذنب احلام يسن التي ستشاركنى دفع الايجار !! اعرف اننى سافتقدها ولربما لسنوات .}

عندما اتخذ خالد عزالدين قرار سفره .. كنت يومها اشعر باجنحتي تصادم الريح .. اغدو رشيقه ومرحه .. امشى وكأنني اقفز وانقز من الفرح .. لقد تحررت من كآبتى السابقه .. يبدو ان الحظ ندّى لي اخيراً .. كأن المسؤلين وافقوا على تمديد جواز عشقي لسنوات اخرى .. اطير وانتقل بين اشجار اللبخ كعصفورة الجنة . اسرف فى ابتساماتي للاصدقاء واشتري لهم قهوة من حاجه امنه على حسابى .

سافرت الى مدني سراً قاصده شيخ مكي وداخل شنطتي بياض نيّتي .. دفعت له وعدي وعربون وساطته ثم اخذت منه تميمة من الخرز لخالد عزالدين كى تتجيه شر العين والفتيات الاوربيات ورجعت الخرطوم فى نفس اليوم دون ان ازور اهلي

لقد اصبح فى ايام سفره الاخيره اكثر شفافيه وترقب .. ويبدو لي انه كان خائفاً من الافتقاد .. لقد ضبطته فى تلك الايام عندما كبست عليه فى منزل صديقه "ياسر فقيري" متلبساً بصلاته .. ادهشتنى المفاجأة فكتمت ضحكتي ودخلت المطبخ افشي سر الخشوع لصديقه . رغم احساسي بالمفارقه وكساد ايمانه إلا انني وقفت اتأمله محتاره اراقب حركات ركوعه وسجوده البطئ حدّ الاناقه .. حتى ادائه للصلاة مختلف عن

الناس .. شعرت بالفخر والفرح .. انتظرته بصبر نافد كى ينهى صلاته واتذوق نكهته .
حرماً يا خالد عزالدين
كانه تورط فجأة فى زلة لسان .. احسّ بتهمه توجه له عن طريق الخطأ .. فتل عني وجهه خجلاً ثم قعر كلامه واخرجه بهدوء
لاتفهميني خطأ .. انا ابحث عن توازن الروح .
اثار المعتقل لا زالت على ذهنه .. لقد ضربوه وعذبوه وحشروه داخل شوال فارغ عندما رفض ان يشارك فى صلاة المغرب الاجبارية .
عندما وصل امستردام كان يحمل معه بقجه عداوه مزمنه لهذا النظام الحاكم .. فانخرط سريعاً فى التنظيم السياسى معيداً سياق عضويته الحزبية ومواصلاً عشقه السياسي .. مبدداً عن صدره بظلام مقصود اشعه الحنين الكاسره .. يمرّغ ذاكرته في اجتماعات الحزب .. ليصبح حنينه شحيحاً وشبه معدوم .
عرفه صديقه "طارق الزين" بشباب الحزب الشيوعي فرغم اختلاف هذا الصديق معهم وترجيحه لحركة القوة الجديدة الديمقراطية (حق) .. إلا انه ظل مدافعا عن صداقته بحميميه .. فقدمه لهم كمناضل جسور سيحرك بركة اجتماعاتهم . وشعر خالد عزالدين يومها ان بإمكانه ان يسنّم نار نضالهم ويجعلهم يشتموا شياط الانتفاضة القادمه .. جاء مندفعاً ومتهوراً زاعماً انه قابض على يده بجذوة النار .
سكن مع صديقه "طارق الزين" وازدادت علاقتهما اكثر عمقاً وحنيناً .. واكدتها جلسات البلكونه المسائيه ورنين الكاسات . ينددان بكآبة الطقس وانتحار السحب اليومى .. لقد سبقه "طارق الزين" الى احضان هولندا بعد ان فصل من الجامعه .. لم تكن علاقته بخالد عزالدين ذات خصوصية او عمق قبل لقاءهما فى هذه الغربه البارده .. اذكر يوم

عرفنى به خالد عزالدين فى احدى جلسات الاستماع .. كان يتوسد الارض ويتكى على كآبته .. وشاهدته بعد ذلك عدة مرات .. وكثيرا ما كنا نلتقيه فى امسيات شعريه حاملاً رزمة احزانه مع شنطة الجنز ويفتقد ايضاً احدى ازرار قميصه .. يحافظ على كثافة شعره ويهتم بلحيته .. كنت احسه يضحك بمراره .. يغمغم بكلام غير واضح .. اجده مهوسا يحملق فى صفق الشجر ويخاطب شخصاً غير موجود .. احياناً يبدو لى انطوائي لايحبذ مطاولة الحوار .. لم تكن لديه خصوصية مع المرأة بيد أنه يعاملها بنديه ولكنه لم يخصص لها مقعداً بداخله .. دائما يظل واقفا اثناء حواراته الشحيحه .. ينخر بسبابته داخل انفه اثناء طنطنته .. حركته سريعه يستأذن بعد ان يصافحك مباشرةً
لا ادري اين كان يختفي ليظهر مره اخرى بعد فتره .
بدا لي فى مفكرة خالد عزالدين كانه شخص اخر .. اكثر قدرة وصبر .. خوفه الدائم على المستقبل .. وحنينه المفرط تجاه صديقه .. امطار عينيه تزداد مع الغيوم الليليه .. دائما يخبئ دموعه عن خالد عزالدين .. اجده فى بعض الصفحات يجابه مستقبله وواقعه بذكاء ويفلي خالد عزالدين من احزانه وينتف عنه الروتين .. يحفذه على المستقبل .. يبسط له الحياه داخل هولندا وامكانيات الارتقاء وتحقيق الاحلام المدهشه .. وينفض عنه كساد المشاعر وخاصة بعد ان انهارت علاقتى به .. فكان يضع فى بعض الامسيات زجاجة الويسكي امام خالد عزالدين ويدفع له بالكاس الاول ومع بدايه الجمله الموسيقية لرنين الكاسات تبدا اوركسترا الاحزان سيمفونيتها وقراءة النوته الموسيقية تجعل احدهما يتعثر فى لكنة (السولفيج) .
...... لاتكن ساذج يا طارق .. يجب ان نعترف كما تقولُ انت : ونقتنع ان الحب ليس كما المسجد .. لقد توهمنا انه سيظل محافظاً على نقاءه كالتبر

.. فيجب ان تتفق معى الان ان الحب هو اول الاكسسوارات التى تصدأ
فى يد المراة فتتنازل عنها بكل بساطه .. او لنقل يا صديقى ان الحب
لايتعدى فى الاهميه اكثر من فستان سهره متلألئ.. تجتهد المراة فى
حياكته وتدفع دم قلبها لتظهر به فى حفله ساهره ولمره واحده ثم ترمى به
داخل دولاب ملابسها مع رسائل وصور .
لماذا تلح دائما ياصديقى وتصر على ان يظل مفهومك للخيانه احادى
هل تعتقد ان الاشياء تظل كما تراها انت فقط ؟؟ احساسك وانت مظلوم ..
بديهى سيشوه لك صور الاخرين . انا لا اعرف حبيبتك احلام يسن جيدا
ولا افهم دوافعها .. ولكن لم لاتكن انت من بدا الخيانه عندما تركتها
وحيده فى تلك السافنا الفقيره .. هل كنت متيقن ان العشق سينمو فى
غياب الامطار !! كلما طال زمن الحب يا صديقى قلت انجازاته ..
(ارجوك دعنى اكمل فكرتى) لقد اختارت هى حياة اخرى .. فانت
تركتها مؤوده وجاء احدهم ونفض عنها غبار غيابك فدعها تراكم
تجربتها والتفت انت الى احاسيسك وتجاوز حزازاتك .}
تعجبنى فلسفة صديقه "طارق الزين" ربما لانه كان يدافع عنى احياناً
داخل مفكرة خالد عزالدين لقد لاط بقلبى واحببت كلماته .
وبنفس وتيرة صداقتهما وعمقها فى برد شائب .. كنت انصهر فى
صداقتى مع ياسر فقيرى فى حر ظهيره محتدم .. ولكنى اصبحت اخاف
عليه من صديقتى "منال الطيب" .. اشعر بها ترمي شباكها حوله
وتخطط بتكتيك كى تحتل مشاعره .. لقد حاولت ان ابعدها بالتي هى
احسن .. اخبرتها عن صداقتي الهاتفيه مع خطيبته "ايمان" .. ولكنها
كانت جاده فى محاولات قنصها .. وخاصة بعد اصبحت تشاركنا نزهة
ما بعد الظهيرة ندور بسيارته حول الجامعة .. نتلذذ بنكهة المارلبورو مع
نسائم شارع النيل .. تجلس "منال الطيب" فى المقعد الخلفى تدخن لفافتها

بشراهة حتى تنتشى وتغني ليطغى صوتها على شريط الكاسيت ..
نشاركها نشوتها .. فترقص بهستريا .. تمد يدها خارج النافذه .. تتأكف
الماره تفتش عن متعه مضاعفه .. تهز جسدها وتصرخ .. تصفر بصوت
عالى .. تجعل "ياسر فقيري" يتجاهل جديته ونجوم كتفه اللامعه
ويشاركها الضجة والطرب .. واحيانا يصفر معها بصخب .
لقد ضبطته يراقبها فى مرآة سيارته ويخيل لى انها غمزت له بعينها
وكانت تخصه بّرجة حليبها .
اصبحت متهجسه ومهووسه من علاقتهما كنتُ خائفه ان يغرم بها .. اتذمر
حتى من تعاملهما العادى .. افسر كل حركة يقوم بها احدهما تجاه الاخر
واضعها فى خانة الوسواس .. لقد تعفرتُ عليهما لم ادع لها اى فرصة او
سانحه لتتفرد به فهى جعلية مهجنه بدم المحس فاستلفت لوناً خمرياً وجسداً
فارعاً متناسقاً .. شعر اسود غزير وفم ارجوانى .. لها نتوءات يمكن ان تصطاد
بها حتى امام جامع . رغم اننى اعلم بعلاقتها المستمرة مع ذلك العبقري ولكن
لن ينفي اعجابها بـ "ياسر فقيري" .. ولن يشفع لها داخل ظنوني ووسواسي ..
ادرى جيدا رايها فى حبيبها الاكاديمى .. لقد اصبحت لاتطيقه .. وتكرهه ..
تتذمر من احاديثه عن رسالة الدكتوراة .. تمتعض حتى من قمصانه البيضاء .
اصبحتُ اغير منها واكره تعاملها مع "ياسر فقيري" .. اتذمر منها لأتفه
الاسباب . اذكر عندما استلفت منه ولاعته الذهبية لانها ستحتاجها فى التدخين
داخل الحمام .. انفعلت يومها وزجرتها وشنفت لها سلوكها وبجاحتها ..
شعرت بغيرتى تطفح خارج جسدى ووصلت بى الحماقة حدّ اننى هشمت
قداحته الذهبية على الارض . ورغم ذلك ظلت صديقتى الوحيدة حتى الان
(اهاتفها من وقت لاخر فى ابوظبى .. لقد اصبحت ام لثلاث اطفال وسمينه
تعشق الحنه والذهب .. هكذا اخبرتنى .) _ لقد قررت ان ابعدها عن طريق
"ياسرفقيري" باى وسيلة .. فاسلم طريقة كانت هى ان ألتقي به خارج نطاق

الجامعة .. احيانا اهرب منها واذهب كي ازوره في مكتبه بسلاح المهندسين .. اقضي معه ساعات طويله .. استمتع بقفشاته ومزاحه مع زملاءه .. لقد اكتشفت انه محبوب حتى وسط رؤسائه اصحاب الرتب الجاده .. كثيراً ما كنت اذهب معه بعد ذلك الى منزله نتغدى سوياً .. وبعد ان اكتفى من التدخين نخرج لنتصل بخالد عزالدين وايمان . اذكر عندما بدأنا انا و"منال الطيب" دبلوم الدراسات الاضافية .. كنا ايامها نقيم فى الداخلية بطريقة غير شرعيه مما جعلنا نتعرض لإساءات ونشعر بالذل والإهانه .. سخط وضجر جعلنا نفترق لتذهب هى وتسكن مع عمها الوزير فى حي الصافيه واعتذرت لها على الاقامه الدائمه معها ولكن كنت اقضى معها بعض الليالى فى غرفة ابنة عمها الطبيبه ندخن ثلاثتنا بشراهه ونشاهد بانفاس مرتجفه اشرطة الجنس المشوشه .. كانت تجلبها لنا ابنة الوزير .

رغم الاغراء والمغامرة والمتعه فضلت ان اسكن فى غرفة خاصة بمنزل "ياسر فقيري" كنت قد شكوت له ظروف السكن فى الداخلية فهيأ لى غرفة خاصه واجواء هادئه ومناسبه لكتابة البحوث .. تهرب حتى من اصدقائه الذين كانوا يستغلون بيته لولائم جنسيه ويعتبرنه وكر مضمون .

كنت سعيده بالهدوء وامكانية التدخين بلا خوف .. اظل لوحدى فى المنزل لأوقات طويله دون خوف .. اقرأ واسمع موسيقى وادخن بتلذذ .. اطبخ اكلات شهيه واتخيل عودة زوجى خالد عزالدين مع صديقه "ياسر فقيري" ويجدانى اعددت لهما وجبه دسمه . اصبحت اشعر ان منزله هو بيتى أهتم بنظافته وترتيبه .. اطلب منه فى اوقات فراغه ان يساعدنى فى تغير وضعية الديكور واستبدال الستائر .. نتحدث اثناء الاكل عن خالد عزالدين وايمان ونلوم غربتهما ونخمن هل سيصبحان صديقين مثلنا .؟ نسرح مع حياتنا الرباعيه والمستقبل يتبرع لنا "ياسرفقيري" بنصف منزله لنعيش معهم انا وخالد عزالدين .

كان يقضى امسياته مع اصدقائه فى ام درمان يشرب معهم العرقي احتراماً لى رفض ان يتعاطاه داخل المنزل وحتى لا يداهمه الاصدقاء .. لقد ادعى ان شقيقته تسكن معه هذه الايام باولادها متهرباً من زحمة الاصدقاء .

كنت اظل قلقه ومتوتره من تأخيره .. ياتى مخموراً ويجدنى فى انتظاره انتف فى اعصابى من التوتر .. الومه على التأخير واسرافه فى الشراب .. اهدده باننى ساصدر سره الى ايمان واتبرم .. يعتذر لى بأدب ويدخل غرفته .. احيانا عندما يزداد قلقى عليه يتبرع لى بامسياته ويقضيها مع التلفزيون والجرائد .. نلتقى فى الصالة بالصدفه اكون لحظتها خارجة من المطبخ فاعانقه بلا مناسبه وادوسه على صدرى بقوة متصنعه المزاح والدعابه .. يشاركنى الموال ويحوينى ويضغطنى بقوة لكى يصرعنى .. فاشعر برجولته تيقظنى وتجعلنى اسخّن .. اعلق على جاذبية عطره واتمادى فى احضانه واستكين .. فيتملص منى واخرج من حرجى وادخل بباب الدعابة

مفروض يكون مكانك خالد عزالدين

وانت مفروض تصبحى ايمان .. موش!!

اصبحت لا اطيق خروجه فى الامسيات .. اغضب واغتاظ كلما غابت الشمس .. اظل انتظره بالعشاء على عتبة الشوق والقلق .. احرد الاكل واتبرم كالعاده يمازحنى بقفشات ويعتذر ويتأسف .. يعدنى الا يتأخر بعد اليوم .. اصبحت ظنانه وشكاكه .. إتهمته بخيانته لـ "ايمان" واقسمت ان لديه علاقة حب اخرى .. يتحول نقاشنا غير الجدى الى مغالطات ولكى اتاكد من براءته اطلب منه ان اشم رائحته وهل فعلا خالية من اى عطر نسائي .. يوافقنى على الرهان بكل جديه مثله مثل اى سكران .

لم تكن "ايمان" تهمنى فى تلك اللحظة لكى ادافع لها عن مشاعرها واحرس لها حبيبها .. بل شيئاً ما فى داخلى يحركنى ويدفعنى نحوه بلا تردد .. احس بانى ارغب فى عناقه فى اى لحظه .

اتقدم نحوه بدلال وغنج .. يقف مطمئنا على براءته وكسب الرهان .. اقترب منه اكثر .. احتويه بسواعدى واخاصره .. اجذبه نحوى وادفن وجهى داخل صدره .. التحم به واستكين .. استنشق عطره الممزوج برائحة الخمر ونكهة التدخين .. تشب اثارتى على امشاطها احتضنه بقوه واتمادى فى عناقى.. يتملص منى كعادته ويدخل غرفته .. اظل واقفه فى الصاله انتف عنى بقايا الاسف والاحراج .. اشعل سيجاره وادخل بها غرفتى.. انفث فيها ندمى والعن فيها مغبتى وجسارتى .. تخنقنى العبره .. اتخذ قرار عودتى للداخليه ..اقامتى معه داخل بيت واحد جعلتنى اتعود عليه وادمنه مثل التدخين .. ارفض حتى خروجه فى المساء ..اريده دوماً يظل بقربى .. لم اعد اطيق بعاده وقد اصبح جزءاً اساسيا فى حياتى .. اخرج معه بسيارته فى الصباح وانزل منه امام الجامعه ويعود يأخذنى بعد الظهر واستعجله لنصل منزله لكى ادخن واصبح معه وحدى .. اصبحت اتهرب حتى من الاماكن التى تذكرنى بخالد عزالدين اتحاشى ذكرياته .. لقد جرفتنى شخصية " ياسرفقيري" .. اصبحت منجذبه نحوه بصوره مذهله اعتى واقوى من ذاكرة عشقى .. وخائفه ان اتعلق به الى الابد .

اشعلت سيجاره اخرى بنكهة التحسر والندم .. حزتَ فى نفسى غربة خالد عزالدين وزحمة الشتاء البارد .. تذكرت وعدى له والرسائل اليوميه .. فقررت ان اترك هذا المنزل غداً .. عضضت على شفتى واجهشت فى بكاء حار .. ولم استطيع ان امضمض عينى بالنعاس حتى وقت الدغش .
فى الصباح مازحنى فى المطبخ بابتسامته الساحره معطلاً فى دواخلى مسيرة قراراتى السلميه وضاعت سدى شعارات ليلة امس .. لقد محقت حسرتى هباءاً .
ترجيته وطلبت منه ان يشرب العرقي داخل منزله كى لا افتقده حتى فى الامسيات ويزيد من توترى . اجلس فى غرفتى مطمئنه انه موجود معى

فى نفس الدار .. ابدأ فى كتابة البحوث وألخص من الكتاب دون تركيز انقل الكلمات كماهى كأنى ارسمها .. احاول ان اقنع نفسى بالاجتهاد .. املّ من الكتابه .. اذهب واجلس معه فى الحديقة .. استمتع بحكاويه عن علاقته بفتيات عابرات .. اخفى عنه غيرتى .. اراقب تعابير وجهه عندما يتجرع العرقى .. اضحك من تقلصات وجهه وكلما ينتشى يزداد مرحاً ويقتلنى بالضحك .. اشاركه تدخين اللفافة مناصفة غير مكترثه لكراسىالحديقة التى رسمت فيها مع خالدعزالدين احلامى الورديه .. لقد استخرجنا شهادات ميلاد اطفالنا على هذه المقاعد .. واختلفنا فى اسمائهم .. سطرنا حتى جدول النظافة والطبيخ .. ليلتها اكملنا النصف الاخر من القمر .
لم نعد نحكى مثل اول عن ذكرياتنا مع خالد عزالدين او "ايمان" .. ظللنا نستمتع بالامسيات .. اصنع له (المزة) واحيانا اصب له الكاسات ليزداد مرحا وطربا وفى خاطرى ليزداد جرأة ويخرج من قوقعة التزاماته الاخلاقية .اصبحت اشتهيه واتمناه .. اريد ان اعانقه كلما جاءت سانحة وضحكة .. اجلس معه على الكنبه واسند راسه على كتفي .. ادعى ان يدى نملت وامدها له لكى يمسدها لى ويدعكها .. اطلب منه ان يسند راسه على ربوة صدرى .. اقنعه بحالة سكره .. استلف احدى مقولاته واردها له
- (السكران فى ذمة الواعى)
اضع له يده المسترخية حول عنقى .. اخاصره بيدى اليمنى ونتحرك ببطء نحو غرفته .. نتمايل فى وسط الصالة .. نوشك على السقوط ونضحك . . ندعى عجزنا على المشي .. يمثل لى قمة الثمالة ويترنح .. اشاركه التمثيل واعانقه واضحك .. امازحه على حالة سكره واستكين على صدره ..اقوده الى سريره بانفاسى المتزاحمة .. اقف امامه مرتعشه وساخنه .. قاب شفتين أو قبله .. متمنيه ان يجذبنى اليه وارتمى معه على

سريره .. ولكنه كان يرمى راسه على المخده ويواصل معى حوارته
الناعسه .. اقف بجانب باب غرفته ناصبة له عيناى الشقيتان شركاً
والعب بمفتاح النور .. امازحه واناكف نعاسه بسذاجه مترقبه منه اخر
عناق .. يدفن راسه تحت المخده هاربا من تلاعب الاضاءه واغراءاتى .
اعود الى غرفتى اتأبط انوثتى بعطرها الفائح .. اتململ فى السرير .. اشعل
سيجاره واتركها تنتحر داخل المنفضة .. اشعل واحده اخرى وامرّغ وجهى
على المخده .. انهض وافتح باب الغرفه .. اعود الى سريرى اناجيه فى احلام
يقظتى .. اتخيله شبح طشاش يقتحم خلوتى فانهض مفزوعه ..ادعى
الاضطراب والتزمر .. لا لشئ سوى اننى انثي . اتخيله يدس جسده تحت
الملايه ويلتصق بى .. يشبك اصابع يده بيدى .. افتل وجهى عنه واسلمه
ظهرى .. يهمس لي فى محارة اذنى انفاسه الحاره المخموره اقشعر وارتجف
.. يقبل عنقى فأنكمش واتأوه .. يلثمنى على ظهرى فأنهار وقد تأججت نارى
.. التفت اليه واعانقه دون حياء فقد نضب ماء وجهى .
انظر الى الباب مشرعاً فلم يأتِ إلا فى خيالى .. احس بأنى اصبحت
مجوفه كالرغوه .. انهض مستنده على كأبتى وغمى اتدحرج نحو الصاله
.. اشعل سيجاره اخرى ابدد بها ضجرى .. انظر الى باب غرفته المغلق
.. اقترب منه على امشاطى واتصنت على شخيره ثم اطفئ سجارتى
واسحقها بغضب واعود الى سريرى حزينه .
ففى احدى الامسيات الحاره عندما تنعدم النسائم وتصبح الخرطوم بلا شهيق
والاشجار محنّطه وكئيبه والابدان لا تطيق ازياءها .. عرق وكتمه غليان وبوخ
حار .. طقس غيّاظ . جئت اليه فى الحديقه بفستان قصير وشفاف .. احمل (المزه
) فى صحن واضع فى ذهنى خطتى الجنونيه .. جلست لصقه ووضعت صحن
المزه على الطاوله وكعادتى صببت له كاساً ثم رحت اراقبه يتجرّع ويكشر على
ملامحه فضحكت عليه واسندت راسى على كتفه . صبْ لى كاس .

تعامل مع فكرتى بدون جديه وصب لى كاساً فامسكته بيدى ودون تردد
دلقته بسرعه داخل جوفى .. حاول ان يمنعنى ولكنى كنت اسرع منه ..
تجرّعته بصعوبه ومدت له الكاس فارغاً وانا مغمضه اعجن فى يده
بعصبيه .. اشعر بالمراره .. ملامح وجهى متصلبه .. كأننى ابتلعت
جمرة ملتهبه ..اتحسس صدرى اشعر به قد انشطر .. اتفقد حلقومى
وادلكه بقوه ..لسانى يتلوى داخل فمى من شدة الطعم الحازق .. تعابير
وجهى تجعدت .. راح يسالنى ويستفسرنى مندهشا من حالتى .. واصلت
مضمضة فمى وابتلاع المزيد من اللعاب .. اجتهدتُ كى ازيل هذا الطعم
الذى شل لسانى . وضع قطعة زيتون داخل فمى فاذابت عنى طعم
المراره .. رحت اضحك حتى ادمعت عينى .. اخبرته اننى كنت راغبه
ان اجرب هذا الاحساس .. حاول ان يصدنى عن المزيد من التهور
والمجازفه ولكن اصرارى كان اعتى من منطقه وركبت راسى .
شعرت بدوّار خفيف ونعاس .. استرخى جسدى والتحم مع الكرسى .. احس
بنفسى خفيفه ويمكن ان اطير .. اتخيل الكرسى مال بى للوراء واخاف ان
اسقط فامسك يد "ياسر فقيري" واضحك .. اعتدل فى جلستى وادعى اننى
متوازنه .. اشم رائحه الغيّ داخل صدرى وتزداد كثافة لعابى ..ادخن بشراهه
وامص الزيتون . اصبحت اسمع كلماته تأتينى من بعيد .. او كأنها من شخص
اخر فالتفت اليه بسرعه وأراه طشاش .. اقترب من وجهه اكثر لكى اتأكد من
ملامحه .. وهل هو الذى يتكلم ام انسان اخر !! اشعر بأنى اقتربت من وجهه
اكثر من اللازم فاجفل للوراء سريعاً واغتاظ من ضحكته .. واتبرّم .. ادنو من
وجهه بتعبير حازم وتخرج منى الكلمات بصعوبه
هسع.. فى حـاجه ... مهمه ... تستدعى .. الضحك !!!!
يزداد قهقهه ويتلوى .. اشعر به هو الذى يبدو لى مضحكاً .. فإنفجرت
معه فى ضحكة مدويه وعانقته بقوه .

وجدتني اغرز اظافري داخل قميصه وهو يلتهمني .. يمص شفتي ويرّضعها
. احس برغبه عارمه في ان اتكسر واصبح شظايا واتسرّب الى صدره عبر
المسامات .. اضمه الى نفسي بقوة .. التحم به الى الابد واتشنج .. اشعر بألم
خفيف وفي نفس الوقت لذيذ .. امرّغ صفحة وجهي على زغب لحيته واقشعر
.. احتويه اعمق .. اخاف ان يتذكر محاذيرنا الغائبه ويتوقف . لقد خططت
لهذه اللحظه منذ فتره وشربت من اجلها ام الكبائر لتزداد جرأتي ولكي اعلق
فستان الندم على شماعة العقل الباطني . لذا لم يكن في حساباتي اي تخاذل ..
مصلحة انوثتي تهمني بالدرجه الاولى .

اضمه الى صدري بعنف واتأوه .. يمص شفتي السفلى فيزداد المي لذه ..
ثمرة جوافه منتشية بمنقار العصفور .. احس بأنوثتي قد اينعت وحان
وقت قطافها .. ادعوه الى حقلي واتلوى .. ادفع به الى خطوة اعمق .
اجعله يحمل الفانوس ويسير امامي داخل اماكن مجهوله.. ممسكةً بيده ..
نسير ببطء بين سراديب النشوه .. ابدو غير عابئه بهذه المغارات القديمه
الموحشه .. امشي دون خوف .. بخطوات وئيده مطمئنه .. اتامل رهبة
المكان بمتعه مطلقه .. ابحلق مندهشه في طلاسم مكتوبه على جدران
الكهوف العميقه .. لم افهم معناها ولكني استطعت ان اقرأها بتلذذ وافك
شفرتها . نرفع الفانوس الى اعلى لنرى ازقه خطواتنا المقبله .. نتوءات
الصخور على الارض تألمني وتتغرز في باطن قدمي ولكن متعة
الاكتشاف تطغى على الالم .. خلفنا كانت تمتد مساحة العتمه وتكبر ..
تراجعنا لم يكن وارداً .

شعرت بنفسي على سريره واناملة المتوتره تفك ازرار فستاني الشفاف
انفاسي متصاعده .. احس بيده تغوص لتقطف الثمره .. ترتجف الشجره
حتى جزعها .. يتسلق الثعبان قعرها ويزحف متسللاً بين الفروع والثمار
.. تقشعر شجرتي وتهتز وتحتّ اوراقها على الارض المبتله .

في الصباح استيقظت مفزوعة لاجدني انام بجواره عاريه .. فستاني
القصير الشفاف وملحقاته على الارض .. اخفيت ثماري بيدي واخذت
الفستان وارتديته على عجل قبل ان يستيقظ ويراني .. وبينما كنت ألملم
في اكسسوارات جسدي فاذا بصورة "ايمان" تلتقي بعيني .. شعرت بها
حزينه وغاضبه مني ومنفعله داخل بروازها .. وكلما اتأملها تزداد غضباً
وشراسه .. تخيلت انها ستشتمني بعد قليل فهربت الى الحمام . إلتقيته في
المطبخ اثناء القهوه وتبادلنا تحيه الصباح بلا سكر .. ركبت معه في
السيارة بخجل ليوصلني الى الجامعه كعادته ثم يذهب بعد ذلك الى عمله
في امدرمان .. ظللنا صامتين على طول الطريق كلٍ منا يلوك في
منولوجه الداخلي .. انظر اليه حاوصةً بين حين واخر ارى عنكبوت
الندم يبني فوق ذهنه خيوط من الكآبه والغم .. اظنه يفكر في ان يتخلص
مني في اسرع وقت ممكن .. ربما يود ان يتركني امام مبنى الدراسات
الاضافيه ولا يعود لي ثانية أو يراني ..اتخيله بات يكرهني ويمقتني ..
يتهرب من نظراتي .. راح يلهي نفسه ويلتزم بقوانين المرور . الصمت
المطبق جعل كلٍ منا داخل نفسه .. رحت اراجع في تفاصيل ليلة امس
واحاول ان استرجع تلك اللذه واتذوق نكهتها مرة اخرى .. فهي ليله
مهمه في حياتي .. ليلة تدشين جسدي واكتشاف منابع متعتي . اشعر
باحساس النشوه هلامي ولا مقدره لي كي استعيده .. يبدو انه احساس
وقتي .. تعايشه فقط وتحس به في لحظته ولا مقدره لاحد كي يسترده من
باطن الذاكره . فقد كانت لحظات واقعيه فيستحيل ان تضاهيها اي ذاكره
او تقترب منها . في البداية ربطت هذا الاحساس بمفعول الخمره وتخيلت
انها هي التي صورت لي هذه اللذه وربما تكونْ ليله امس عباره عن
وهم!! .(ولكن فيما بعد ساكتشف مقوله يرددها السكارى ـ الخمره
زغاريد الجنس ـ)

عندما توقف بسيارته امام مبنى الدراسات الاضافيه فتحت الباب لكى انزل والتفت اليه بملامح شخص يريد ان يتضامن باحساسه معك ووضعت يدى فوق يده المرتعشه
ما تندم .. نحن كنا فى حوجه لهذه اللحظة
لكنى خنت صديقى وخطيبتى !!
نحن قمنا بواجبنا اتجاه احساسنا .. وسيظل حبنا لهما قائم .
كان ينظر امامه الى اللاشئ وينتظرنى ان اغلق باب سيارته .

(٤)

الاشاعات تتسرب الى خارج السودان اكثر مما بداخله .. كنت اعتقد ذلك ولكن بعد ان عشت هنا فى مدينه واشنطن وتعرفت على الجالية السودانيه .. تيقنت من اعتقادى .. فرحت اقتصد فى علاقاتى رويدا رويدا حتى اصبحت ضعيفه اجتماعياً.. اقضى معظم وقتى فى الكتابه وعندما احس بالملل افتح احدى صفحات مفكرة خالد عزالدين واقرأ :

احببتها للغايه
توقعت من احساسى
المزيد !!

لم اطلب منها مزيداً
من الاحساس يكفي
ان لا تمص ما أملك
-من رحيق

احيانا تشعر بالخيبه مدسوسه داخل جيبك عمداً .. تتحسسها مع كل خطوة ندم .. يدك الاخرى تحاول ان تزيل الغشاوه عن عينك لترى الناس عباره عن خياشيم يثرثرون حولك .. تنتقى صمتك من فضلات اوانى الكلام ..

تقرأ فى سرك الوسواس الخناس .. تمشى على هامش الفضيحة محازياً ضفة الغضب .
لم اعد اعاتبها لقد ولت فى داخلى كالفقاعات .. ذوبت احساسي داخل اناء اخر .. مخابرات العشق ارسلتها لي كجاسوسه ممتهنه الحب وتفهم فك شفراته .. اجدها تسرب اسرار عاطفتى لرجلٍ اخر .. رجلٌ يقاسمك حبيبتك ويظل حارساً لمذاقها . لقد مشيت على اطراف العتمه حتى لااظلمها .. ابحث لها عن ومضة ضوء تشفع لها داخل الروح يوم لا حقد الا لها .. خرجتُ من باب الظن ودخلت غرفة نوافذها مهشمة برياح الشائعات .. ستائرها معلقة على جدار الوساوس .. انكفى على وسادة عدم بختي وانتحب بلا خمور .. لم اعد اصدق حتى صورتى المنعكسه على المرآة .. واشك فى ملامحى .. اسمعها فى التلفون تخطىء فى اسمى وتنادينى باسمه .. ياالله ما ابشع تلك الخيبه .. تشعر بالوردة تمتص بجذورها احساسك المرهف وتتفرع لتثمر للاخرين وياتيك النحل بالرحيق اليقين .
فعلاً عندما ينهار مبنى الحب يظل احد العشاق تحت الانقاض .. وتصبح الهدايا غصة فى حلق الركام .. آه لو ينقذنى صديق لاجثو على ركبتى امام قبرها الافتراضى وانعيها بذاكرتي المبحوحه : [يا ايتها البنت المطمئنه ارجعى الى قلبى راضية مرضية فانتِ اقرب لي من ملابسى الداخلية]
اغلقت المفكرة بغضب وخرجت الى البلكونة انشر فى ملابسى الداخلية وقمصان زوجى البيضاء . حاولت ان اعصر ذهنى واجففه من مسحوق الندم !!
كانت الاتصالات الهاتفيه بينى وبين خالد عزالدين تقل وتتباعد .. احس بالملل فى مكالماته .. يوجه لي اسئله روتنيه لاتتجاوز صحتى واسرتى ..

ثم يقودنى نحو انهاء المكالمه حتى ولو كنت انا المتصله به .. لم يعد يسالنى عن "ياسر فقيري" او نتكلم عن خصوصياتنا .. لقد اصبحت مكالماته بلا نكهه لذلك تباعدت وانمحقت .

حتى اصدقائنا المشتركين .. احسهم اصبحوا ينفرون منى .. لم يعودوا يسالوننى عنه وعن اخباره .. حتى حاجه امنه (ومضة علاقتنا .. كمايقول عنها خالد عزالدين) فهى اول من وصلتها الاخبار فانحازت بلاتردد الى ابنها فى رضاعة القهوه .. لم تفتح لى باباً للنقاش او تسألنى كعادتها عن الاسرار .. صارت تمد لى القهوه بجفاء وتغمغم بكلام غير مفهوم .. ادفع لها ديونها .. تحسبها امامى دون استحياء ثم تحشرها داخل محفظتها بتذمر .. اصبحت تعاملنى معاملة الام شجاعة لابناءها فى مسرحية (بريخت) لا يهمها من امرى سوى ثمن القهوة التى اشربها .

بتُ اكره هذه المنطقه كلها .. اشجار اللبخ والظل الرطب .. البنابر والحجاره المقاصف الصغيرة والكفتريات .. درابزين مبنى الدراسات العليا .. مصطبه دار النشر .. سور مبنى الدراسات الافرويشن . لقد تحطمت هذه الاماكن فى داخلى .. واصبحت لا اطيق المرور بذلك الشارع الذى يضيق بى كلما عبرته .. اخرج من مبنى الدراسات الاضافيه وانتظر "ياسرفقيري" فى مكان آمن من اعين الاصدقاء .. امتنعت حتى من القهوه التي كنت اعشقها .

اذكر عندما رجعت اول مره الى السودان كى اعزى اسرتى واشاطرها الاحزان فى وفاة شقيقى "كمال يسن" الذى توفى فى ليبيا دون ان نرى جثمانه . كان عمر خالد ابنى وقتها بضعه شهور تركته مع والدتى فى مدنى وجئت الى الخرطوم بخصوص اجراءات سفرى فزرت هذه الاطلال .. شعرت بها كأماكن مقدسه.. رحت اتفقدها واعاينها بمتعه الاكتشاف نفس الاحساس الذى يأتنى عندما تفتح امى شنطة الحديد الكبيرة وتطلب منى ان ارتبها لها فألتقى

بمقتنيات طفولتى وشهادات المرحلة الابتدائيه وصور بلا الوان . شعرت بها اجمل الاماكن انعشنى ظل اشجار اللبخ واستدرج ذاكرتى .. لقد قضيت هنا اجمل ايام عمرى .. تذكرت ملامح خالد عزالدين ولحيته الخشنه ورائحة الخبز الحار . لم اجد اصدقاء او معارف حتى عمال الكفتريات استبدلوا بآخرين .. لم يتعرف على احد .. ولم اشاهد اولائك الشعراء الفقراء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. حتى الطلاب الجدد بدات لي اعمارهم صغيره على دخول الجامعة ولم احسب الذين علقت بورتريهاتهم على لوحات خشبيه هم طلاب عند ربهم يرزقون . وقفت اتبرك بالمكان تائهة وسطهم وغريبه .. شعرت بنفسى كلقب لم يجد حظه فى التداول ورغم ذلك رحت اتامل التفاصيل ومبتسمه لذاكرتى .. رأيت امرأه جسدها مسلوب تبيع القهوة تحت شجره حاجه امنه .. اقتربت منها وسالمتها بود ثم سألتها عن حاجه امنه ست القهوه .

يا بتى انتى ما سمعتى .. حاجه امنه ما ماتت .

رميت بجسدى علي اقرب (بنبر) واجهشت فى البكاء .. بائعة القهوه ذات الجسد المتأكل نهضت مفزوعه واقتربت منى .. يبدو انها حاولت ان تعانقنى ولكن اناقتى وملابسى الامريكيه حالت دون ذلك فبركت على الارض تبكى معى .. ظننت ان لى بها صلة رحم قويه .. لقد بكيتها بألم .. عرفت انها توفت قبل شهور بداء السرطان .

اعترفت لصديقتى "منال الطيب" عن علاقتى بـ "ياسرفقيري" ورأيت غيرتها وحسدها كالعاده ولكنها لم تخذلنى ووقفت منحازه مع جمله احاسيسى وحضنتنى على ذلك .

ياشيخه احسن ليك من الغربه ووجع القلب .

طبعا لم احاك لها عن التفاصيل فانا افهم نفسياتها جيدا .. لقد كذبت عليها حدثتها عن احساسنا المتبادل وعنفوان العشق .. رويت لها قصة من

خيالى. وحبكتها بامنياتى ووصفت لها الطريقه المدهشه التى اعترف لى بها "ياسرفقيري" وكيف عبر لي عن جذوة عشقه والتحنان الذى غمرنى به وعن نيّته الخالصه فى الارتباط بى نهائياً .
كنت اجتهد وادعو ربى ان تتحقق امنياتى .. فبعد ان تعودت عليه واحببته اصبحت اخطط كى احتويه للابد .. اجعله يدمن شفتى ومذاق ثمارى ليدور حول فلكى كالسكران عندما يتوه عن فكرته الاساسية . ارغمه ليعصى خطيبته "ايمان" ويتجاهلها .. اصبحت متيقنه اننى سانتصر عليها خاصة اننى اجمل منها وتدعمنى آراء شقيقته "هالة فقيري" .. رحت اراقب انعكاسات خطتى فى سلوكه اجدها تسير على قدمٍ وساق .. وبات يمتعض من "ايمان" وابتسم عندما يسب لليوم الذى جمعه بها .. وعندما تسخّن اسلاك الهاتف بينهما اتدخل بذكاء حامله فانوس اجاويدى .. اوهمه اننى لااريده ان يفقد خطيبته .. واتابعهما من خلال فتحات مشربية انانيتى وفى اللحظة المناسبه ارمى لهبة الفانوس على الاعشاب الجافه كى احرق ما بينهما من موده .. انانيتى كانت بدافع الطموح ولكنها ستصبح حقد . زودتنى "منال الطيب" بروشتات ووصايا ادعم بها خطتى .. لقد اعترفت لها بذكائها وعبقريتها فى مجال العلاقات العاطفيه لارضى غرورها اولا ثم اضمن بطاقة حسدها داخل شنطة يدى .. فأنا افهمها جيدا واحفظ دواخلها كسورة (الفاتحة) .
افرغت لها ما بداخلى من ضجر واستياء .. شكوت لها غلي من الاماكن التى تذكرنى بخالد عزالدين واعين اصدقائه وزملائه .. لقد شهروا بي وراحوا يخصوننى بعداوة وينظرون لى شذراً .
يا شيخه خلى الكلاب تنبح والقافله ماشه .. بعدين "ياسرفقيري" مستقبل مضمون .
ظللت مقيمه معه بشكل دائم وادمنته ولم استطيع ان ابتعد عنه واغيب عن عناقه .. تركت غرفتى التى هيأها لى من اجل كتابة البحوث وانتقلت

الى غرفته وقاسمته سريره .. لفافته وزجاجة العرقى .. لم اعد اخجل منه او اتحشم .. اخلع ملابسى واتعرى امامه .. ادخل بجسدى تحت الملايه الف ساقاي حوله اضمه على صدرى بقوة .. اشعر كأنه يغوص بى داخل مياه عميقه.. اشاهد الاعشاب المرجانيه .. استمتع بالوانها اللازورديه .. اتحسس لزوجة النباتات المائيه واقشعر منها .. تدغدغنى الفقاعات .. اسبح بليونه واتلوى كالاسماك .. انتفض عندما يقترب خطر الاصطياد .. اشعر بالامواج تنخر فى نتوئات اليابسة .. احس بالهواء يقل ويتناقص داخل رئتى .. فاسبح الى اعلى متلذذه باختراقى للماء .. التقى بالفضاء والاكسجين فاشهق وارتمى بجسدى على سطح الماء .. احس بالبحر يقذف اسماكة المنوية على فخذ صخرة ملساء .. اشعر باننى ارعف فاتمدد على ظهرى واتأمل السماء واستمتع بصفائها .. جسدى مجوفاً وغير مقيد باى جاذبيه .. واظننى ساسقط على وجهى فوق السماء .
فى الصباح اجلس متوهطة مقعد سيارته ليوصلنى الى الجامعة .. اراقب اناقته بالزي العسكرى واتأمله باعجاب اتحسس نجوم كتفه الذهبية .. اقترب من صدره واشم رائحة عطره .. احتضن يده واقبلها .. نحكى عن ليلة امس .. يفلت فى الكلام ويخجلنى .. يخبرنى اننى كنت اصرخ واتأوه بصوت عال لحظة صعودنا الى قمة الهرم .. يجعلنى اطأطئ راسى واطرق .. اشبك اصابع يدى واضمها بأفخاذى .. مازجه استحيائى بمتعتى .. التفت ناحية النافذة مخفيه عنه تعابيرى .
صورة "ايمان" داخل بروازها اصبحت تزعجنى وتقلقنى .. احس بها تشتمنى واحيانا اتخيلها تبصق على وجهى فاغتاظ منها وتزداد عداوتى بها .
هذه الليلة ادعيت اننى ضجره ومتبرمه .. منعته ان يقبلنى وزجرته عندما حاول ان يعرّينى بيدان ركبتاى ترتعشان من شدة الشبق ولكنى واصلت

فى تمنعى مدعيه ان صورة "ايمان " ملامحها ولت كئيبه .. وتحسسنى بالندم .. جعلته يلعنها فى سره ويرمى بها داخل دولابه بشكل مهمل ..(فيما بعد ساخرجها من الدولاب واحطم بروازها وامزقها) لقد ارضى غرورى وكنت سعيده بانتصارى عليها فى هذه الجولة .. فرحتى جعلت ليلتنا عامره بالعناق والتأوهات حتى فض الخاتم . استيقظت فى الصباح غاضبه منه ومن نفسى .. بكيت فى الحمام غياب عذريتى وانتحبت .. جلست بجانبه على السرير متوتره وضجره ادخن بشراهه واندب فى حظى وانتف ندمى .. وعندما استيقظ واستفسرنى وحاول ان يمازحنى .. لا شعوريا وجدتنى اصفعه على وجهه واهرب .

عطر الكتابة ــ مزاج علنى

(٥)

فى احدى شوارع امستردام ترجل من الترام .. عائداً كان من عمله .. تفادى زحمة السياح وانزوى بين ازقه ضيقه تنبعث منها رائحة التبغ والحشيش والرطوبه .. سار وسط مبانى لونها قاتم وكئيب .. طقس بارد الخمول يسرى فى ذهنه يحس بالغباء والتبلد .. عمله الشاق ارهقه وشل افكاره .. سأل نفسه كيف سيكون فعالاً داخل اجتماع الحزب ؟ ومامعنى هذ التشوش !! اين تختفى آراه وافكاره !! شعر بالاجابات حارنة مكانها وذهنه عاطل عن العمل .. حاول ان ينشطه ويحثه فراح يتأمل الابواب الزجاجيه المتلاصقه فى تلك الازقه باضاءتها الفسفوريه المنعكسه على ملابس العاهرات الداخلية وباقى الاشعه تمتصها اجسادهنّ ويصبحن اكثر دفءً واغراءً .. تمعن بعضهنّ بلا حس رجولى .. بعض الافريقيات رقصنّ له بمؤخراتهنّ وصوبت له احداهنّ

اشاره بذيئه فلم تصبه .. رد عليها بابتسامه خجوله .. فكر فى انواع المهن ومصادر الرزق .. متعثراً فى مهنة الدعاره .. فتيات فى قمة الجمال والرشاقة يعرضن اجسادهنّ للايجار .. تذكر الاعياد فى ايام صباه وايجار الدراجات فى قرية مصنع سكر الجنيد . نظر الى هذه المهنه من زاويه حزبيه واعتبرها تفسخ وجدرى يصيب الانظمة البرجوازيه فى قمة مجدها .. ولكى تخفى فعلتها النتنه تدعى انها تقلل من وطأة الجريمة التى يرتكبها كالعاده المجرمين المحرومين .

رجع خالد عزالدين يتذكر ايامه الاولى فى هولندا عندما جاء يزور هذه الفترينات مع صديقه "طارق الزين" كمعالم سياحيه .. ادهشته الفكره برمتها .. واثارت حفيظته الافخاذ العاريه لم ينظر ساعتها لهذه المهنة بعدساته النقديه . اضحكته واخجلته فى نفس اللحظه فكرة صديقه عندما الح عليه وطلب منه ان يختار احداهنّ ويتذوق جسدها .. تهرب من الاقتراح بجديه ثقافة المناطق الحاره .. واصرار صديقه جعله يتمايل فى الازقه من الضحك والخجل .. حاول ان يدارى استحيائه ولم يستطع .. فراح يناكف فى صديقه ويلعنه .

هدده "طارق الزين" اذا لم يختار الجسد الذى يعجبه سيختار نيابة عنه وسيدفع له المبلغ مقدماً .. ورطه فى تجربة يخاف ان يخوضها بطريقة علنيه .. طأطأ خالد عزالدين راسه واطرق موافقاً فى صمت امام باب زجاجى خلفه جسد اسيويه رشيقه وجذابه .. فمها قرمزى صغير وابتسامتها تتجاوز حدود المكياج المثير .. فتح "طارق الزين" باب غرفتها الزجاجى واتكأ على الحائط وراح يفاوضها على سعرها ويهاودها بلا خوف كان مطمئناً كأنه يسأل عن عنوان .. وقف خلفه خالد عزالدين وقلبه ينبض بسرعة ويرتجف من هذه التجربه .. لم يحدث له ان خاض تجربة جنسيه كامله .. شعر فى تلك اللحظات بالاحاسيس

والمشاعر تحمل حقائبها وتودعه .. راح يدعو فى سره ان توافق هذه الاسيويه على سعر صديقه ليخوض هذه التجربه . غمز له صديقه ودفعه برفق الى داخل الغرفة .. شعر بان هناك مؤامره حيكت ضده .. فالاسيويه سريعاً ما اغلقت الستار واطفأت الاضاءه الفسفوريه واشعلت لمبه حمراء فاقعه .. جعلت الغرفه تبدو له مرعبه ومخيفه .. احس بالاختناق وقرر ان يتراجع عن هذه المغامره .. و يدعى انه نسي شيئا مع صديقه . وقفت امامه وبدات اكثر ضآلة مما شاهدها من الخارج .. مدت له الواقى المطاطى اخذه منها بيد مرتعشه ولا يدرى ماذا عليه ان يفعل بعد ذلك .. خاف وتعرّق رغم برودة الطقس .. ظل واقفا وحائرا فى امره .. دفعته بقوه نحو السرير وراحت تنزع له ملابسه ثم فكت مشبك رافعة صدرها فبلع ريقه وانتصب .. اول مره يشاهد فيها نهدان حقيقيان وحجمهما مثل ثمرة الجوافه .. لونهما اكثر بياضا من جسدها .. شاهد بهام عينه الاورده الدمويه الخضراء .. انهار فى خرائط الجغرافيه .. ودنت عليه بثمارها فوقفت رجولته على ساعدها الاوحد .. ثم راح يقضم فى قطوفها بوحشيه وانفاسه اصطّفت فى زحمة حقل اخضر .

لم يكن يتوقع ان تتعامل امرأه مع قضيبه بهذا الاحترام والحنين .. لقد اوشكت ان تبتلعه وجبه دسمه ثم البسته ملابس العيد الشفافه .. شعر بتشنج وفورّان دم .. مبادئ دوّار .. حريق داخل عروقه .. دمه يبحث بهلع عن مخارج طوارئ . انقض عليها كفريسه سهله وبطحها ثم انغرز فيها كالسهم .. راح يصرعها وهى تصرخ وتلملم اطراف الملايه بيدها رتعجنها .. تعض المسند وتتأوه .. تلوك رطانتها الاصليه .. تشده من شعره بتشنج .. ينتلها بقوة .. شعرها يموّج ويضطرب .. الالم فريسته تزيده انفعالاً ونشوه .. راح ينهش فيها ويمضغ فى لحمها دون شواء .. يغوص فى احشائها ويمزقها .. يشعر برعشتها لحظة خروج الروح

وحشرجتها والانين المؤلم .. اطلق عليها رصاصة الرحمة فطارت فراشاتها بالوان مزركشه ثم همد على صدرها يلتقط فى انفاسه المبعثره . رفع راسه ببطء فابتسمت له وكاد ان يشكرها ويعبر عن اعجابه بها ولكنها دفعته عنها برفق وبطريقه تعشقها هى راحت تزيل عنه كيس الوحوش المنويه والقت به داخل سلة وغمرته بمناديل ورقيه ثم دخلت الى الحمام لتستعد لزبون اخر .

هرب من ذكرى تلك الاسيويه الشبقه وراح يقرأ بصوت عالٍ اسماء الشوارع ليتأكد من صحة سيره تجاه العنوان .. راجع فهرس افكاره فوجد ذهنه يتألق ويصدر احكام منطقيه على مهنة الدعارة عرج بافكاره نحو الاجتماع ولكنه شعر بالتشاؤم والملل .. تذكر اخر اتصال هاتفى بينى وبينه وبعدها انقطعت علاقتنا تماماً .. ومنذ ذلك اليوم وهو يشعر ان اجتماعات الحزب غير مجديه له .. اوباتت ممله .. لم تعد لديه دوافع حقيقية . حتى هذا الاجتماع لم يكن ينوى حضوره او المشاركه فيه ولكن صادف اليوم عيد ميلادى فلم يستطيع مواجهة الذكرى لوحده وحتما سيبكى بعد الويسكى .. لذا قرر ان يشوش على عاطفته بهذا الاجتماع ويحاول ان لايتذكرنى خلال هذا اليوم .. وربما يصب غضبه على رفاقه ويدين اجتماعاتهم المتزائده مثل عداوتهم .. وعندما اصبح على مقربه من مبنى الاجتماع رمم افكاره .. وقرر ان يكون مفيدا هذه المره .. ثم سبني فى سره وضرب ذكرى هذا اليوم عرض المبانى الضخمه .. رسم لنفسه سيناريو يقتحم به دراما الاجتماع وكانت خطته ان لا يشارك فى الحوار منذ البدايه كعادته .. سيظل متكئاً على نفسه كالمريض .. يستمع لآرائهم ونظرياتهم باذنٍ صاغيه ولن ينسى ان يسخر من ركاكة بعض الاحاديث .. سيجعلهم متوجسين من صمته .. يوهمهم ان وراء هدوءه تكمن عاصفه عاتيه .. سيقلق مضاجعهم.. ينتظرهم حتى يتقيأوا كل

افكارهم ويدون ملاحظاته دون قلم ومن ثمّ ينقلب عليهم بردود قاسيه ومؤلمه . راح يمتطى فكره وسريعا ما يسقط من ظهر جديتها .. واحيانا يوسّخ قميصه بذكريات وتداعيات مطبوخه بغضب .. فيبصق على شموع عيد ميلادى فى خياله . صعد بذهنه على تلة من الجديه وراى سذاجته واضحه فقرر ان يكون مفيدا وبشكل منطقى . _ احياناً تشعر بانك غير مفيد ولا تطيق نفسك .. ايضاً هذه نرجسيه مفرطه _ وجد اخيراً العنوان المقصود

. N.١٥٢ Bloom straat دخل مخبئاً خطته فى يده اليسرى وصافح اصدقاء قضيته الذين لم يلتق بهم منذ فتره .. عانق البعض مربّتاً على اكتافهم ومحذرهم فى ذهنه من مغبة هذا اليوم .

بدأ الاجتماع بعد ان تململت المؤخرات على مقاعدها .. قلة الحضور زادت الانتظار بللاً .. رغم ان معظمهم جاء يحمل اعتذارات غيره و يحافظ عليها فى ذهنه كواجب مدرسى .. راجع خالد عزالدين فكرته ولزم الصمت .. راقب الاعين تدور حوله وتدحرجه نحو فخ الجمله .. تستنفذه النقاشات ويهرب من مداخلاتهم .. حبس انفاسه .. لملم ذكرياته وصرّها داخل قلبه ثم لبد فى مقعده يتصيد إخفاقاتهم ويدونها على هامش ذهنه .

(اذكر يومها كنت اخطط كى احتفل بعيد ميلادي مع "ياسر فقيري" لوحدنا ولكن "منال الطيب" لصقت بي منذ الصباح وفاجأتنى بهداياها .. حاولت ان اتهرب منها دون جدوى .. ذهبنا ثلاثتنا الى فندق الهلتون دعانا "ياسرفقيري" على وجبة عشاء انيقة .. رفضت "منال الطيب" بعد ذلك ان تعود الى منزل عمها الوزير وتحججت بان الوقت متأخر ولا يمكن ان تدخل فى هذا التوقيت مما جعلنى اكرهها واغتاظ منها .. نامت معى فى سرير واحد داخل غرفة المذاكره التى هجرتها منذ فتره .. كنت

اعانقها وانا ممغوصه منها لقد حرمتنى متعة هذه الليلة ولكن رغم ذلك انسحبت منها فى وقت متأخر وزرته فى سريره وكتمت صرختى وعضضت على كتفه ثم رجعت اليها مبتسمة فى الظلام لأنام بقربها) .

تجنب خالد عزالدين كل الاسهم التى اطلقتها الاجنده وانزوى فى حانات افكاره واعتبرها اجنده ميته فى مهدها .. لقد حسم موقفه ازاء الوضع برمته .. شاهد السرطان يزحف على خلايا زملاءه ويدمرها قرر ان يحقنهم بمصل افكاره النضالية .. ينفض عنهم غبار افكارهم البالية فقد اتفق مع نفسه ان يكون مفيدا هذه المره .

نهض فى اللحظة الاخيره بعدما راح الاجتماع ينحصر فى ازقة التوجهات والتوصيات واذهان الحضور تعود الى افكارها الاعتيادية والحياتية .. كل منهم يفكر فى همومه الخاصة .. ومتعة الحركة بعد الاجتماع .. وماهى الترامات التى تختصر له الطريق .. !! ومنهم من راح ويستعيد آرائه التى عبر عنها فى الاجتماع ويلوم نفسه على الافكار المدهشة التى جاءته بعد فوات الاوان .

وقف خالد عزالدين وطلب كلمة قصيرة وكعادته لم ينتظر الموافقة تكتمل .. فراح يسترسل فى اسئلة ليست لها اجابه .. ودعاهم الى وقف اجتماعاتهم المتكرره والانضمام معه للمشاركة فى تكوين كتيبة نضالية مسلحة ويذهبوا ليتمترسوا مع جيش التجمع الدمقراطى بأسمره .. لم يثن على فكرته احد .. فحثهم وحضهم على ضرورة الحرب .. قدم طلبا رسمياً للحزب للموافقه له بالذهاب الى اسمره وتمنى ان يسرعوا بالرد عليه وحذرهم اذا لم يوافقوا على طلبه سيذهب بصفته الشخصية ويساهم فى الحرب معبراً عن نفسه . وراح يخطب فيهم بطريقة هزّ المشاعر والاعتماد على الصوت الانفعالى مستخدماً مفردات تصطدم بالحس ودعاهم إلى التبرع بأرواحهم الشابة من اجل سودان جديد . كان واضحا

انه منفعل بسبب مؤثرات اخرى .. وبدا متطرفاً فى ارائه .. هكذا شعر به الاخرون .. لم يعقبوا على خطبته الحماسية .. شعروا به قد نشز .

(٦)

توقعنى "ياسرفقيري" ان اعود اليه فى المساء ولن يعاتبنى على تلك الصفعة – ولاحقاً سيعترف لي انها اوجعته وآلمته فى ذاك الصباح – وسيحاول ان يهدئ من روعى وغضبى ويبحث معى عن بديل معنوى لمحافظة شرفى التى نشلها منى ليلة البارحة .

فبعد ان خرجت من منزله اكفكف فى دموعى وانتحب .. ذهبت الى الجامعة بتاكسى ..لم اتجرأ وادخل مبنى الدراسات الاضافية .. فضلت ان اجلس فى احدى الكافيتريات القريبه من المبنى .. ضجره ومضطربه حدّ التقيؤ .. اشعر بافخاذى مملوخه وتألمنى فادلكها بيدى .. لم تكن لدى رغبه فى رؤية احد حتى "منال الطيب" لن اطيقها فى هذه اللحظة .. واذا علمت بمصيبتى ستشمت وتوبخنى .. شعرت بأن زملائى فى دبلوم الدراسات الاضافية عندما يشاهدوننى حتماً سيكتشفون غياب عذريتى .. احس بمشروع العبرة فى حلقي .. اشم رائحة نتانتي .. ارى الشؤم يطاردنى من جراء خساستى وحسدى .. اسقط فى الحضيض .. اخفى دموعى من رواد الكافيتريا .. عيونى ذابلة من عدم التدخين .. راسى يتصدع . اتصلت بزميلة غرفتى فى الداخلية "احسان يعقوب" لقد اصبحت شريكة ذلك العجوز الاصلع .. لا ادرى لماذا اتصلت بها ؟ ولكنها قابلتنى ببشاشه ولهفه على الهاتف واثناء حوارى معها تذكرت المساء وفى اى سرير سأنام ؟ لذا طرأت فى ذهنى ان اذهب معها وخاصة انها استأجرت شقه مفروشه فى حي الرياض . لقد اصبحت "احسان يعقوب" اكثر بدانه وليونه ومهتمه بتفاصيل جسدها

والاكسسوارات .. ماعدا شفتها لقد اصبحت لمياء من كثرة التدخين .. عندما صعدت اول درجة فى السلم المؤدى الى شقتها كدت اصرخ من شدة الالم بين افخاذى .. اكملت السلم بمشقة .. داخل شقتها راحت تنتظرنى ان ابدى اعجابى بذوقها فى الاثاث الفاخر .. ولكن ذوقها فى الديكور لم يتطور مع ذهنها التجارى .. يبدو انها معجبة بالالوان الصارخة فستائرها مزعجه كمعظم فساتينها .. ولكنى جاملتها واثنيت على ذوقها المدهش وجعلتها تبتسم ففى حوجتى تكمن حرية رأيي .

لم تكن ملمّه بخصوصيتى . فبعد ان تخرجت واصبحت شريكة العجوز الاصلع فى الوكالة واعمال تجارية اخرى .. انقطعت صلتها بالوسط الطلابى واهلها ايضاً .. سألتنى عن اخبار خالد عزالدين الذى كان يمقتها ولا يحبنى ان اذكر حتى اسمها . وعندما نطقت باسمه عضضت على اضراسى وهززت راسى كى اعيق عبرتى .. تعاطفت معى عندما اخبرتها بما حدث بينى وبينه.. لقد كانت معجبه بتلك العلاقة فربتت على كتف احزانى بمقولة القسمة والنصيب ثم اخرجتنى من غرفة احزانى و اهدتنى تنوره قصيرة اشترتها من سوريا . لقد اخجلتنى قبل ان ارتديها وضحكت لانها كانت قصيرة جدا .. وعندما لبستها وتأملتنى فى المرآة .. شعرت بها تبرز مفاتنى بصوره مكبره.. ولكن قصرها الشديد جعلنى استحى من نفسى .. ورغم اننا لوحدنا فى الشقة إلا اننى رفضت ان البسها .. فلم اعتد ان تكون افخاذى مكشوفه لهذ الحد .. فانا اتحشم ان ابدل ملابسى الداخلية امام صديقاتى .. ولكن لا ادرى لماذا لم اكن اخجل من "ياسر فقيري" !؟

قررت ان اعود وارتدى فستانى هذه التنوره مخجله .. ولكن "احسان يعقوب" ادهشتها مفاتنى وساقاي الممتلئان .. فراحت تنظر لى بحسد واعجاب وألحت ان ارتديها ما دمنا وحدنا فى الشقة وحلفت بدينها ان لا ألبس غيرها .

جلست فى الصالة اتابع المسلسل اليومى على ايقاع الايسكريم وبدأت احداث الحلقة كأنها تخصنى وتسخر منى وتذكرنى بفضيحتى .. يتحدثون عن قيمة الشرف فى الصعيد المصرى .. مما جعلنى اضطرب وانفخ دخان السجاره بقوة .. وضعت المسند على حجرى وكوعت عليه كى اخفى افخاذى التى بانت لي اكثر بياضا من جسدى . وبينما انا اتابع حوار المسلسل بنكهة الندم و"احسان يعقوب" داخل المطبخ .. فاذا بباب الشقة يفتح بمفتاح من الخارج وبلا اذن او رنين دخل صاحب الوكالة العجوز الاصلع ومعه شاب كاد ان يخنق الاربعين ومستجد فى الاناقة .. ولا تبدو من طبيعته .. اطفأت سجارتى بسرعة وحاولت ان اهرب الى داخل غرفتها ولكن خطواتهما كانت اسرع من قرارى .. فوجدتهما يقفان امامى .. صافحتهما برعشة وتوجس واضعه المسند كدرع يحمى انوثتى من الاسهم الطائشة .. جاءت احسان يعقوب من المطبخ عندما سمعت صوت السلام .. كنت ممغوصه منها ولى رغبه ان اضربها بالمسند على راسها او اخمش لها وجهها بيدى .. سالمتهما ببشاشة مستلفة لهجه سورية وسريعا عرفتنى بهما .. فالعجوز الاصلع وجد اول خيط غزل وراح ينسج شباكه .. علق على جمالى واناقتى وكان يقصد مفاتنى واكد اننى اصبحت اجمل مما رانى اول مره - فعلا بعد علاقتى بـ "ياسر فقيري" اصبحت اكثر بياضا ونضره - ثم سألنى عن الحبيب المسافر وامكانية الجمال على الانتظار وعبثية الهجرة الاوربية .. ولكى لا ابصق بغضبى على وجهه جلس على الكنبة وذكرنى (بال state ment) الذى استخرجه لنا وساعد فى سفر خالد عزالدين .

ظللت واقفه ومنكمشه على نفسى ومحافظه على ابتسامتى المصطنعه.. دمى فائر من الداخل .. الجيبه القصيرة تأكل فى لحمى كالآفه .. ابدو مضطربه ومنزعجه .. ابحث عن مخرج مناسب ازوغ به من هذه الورطه .

"احسان يعقوب" التى لا اطيق ان انظر اليها فى هذه اللحظه .. شعرت بحرجى وارتباكى وفكرت سريعا ان تخرجنى من المأزق

- بالمناسبه احلام يسن بتعمل شاى رهيب .

رميت المسند على الكرسى وتحركت نحو غرفتها .. احس بالانظار خلفى تتابع اهتزاز اردافى وتنشن على مؤخرتى وافخاذى البضه .. اغلقت خلفى باب غرفتها حابسه دموعى بقوة اسنانى .. لعنت "احسان يعقوب" والداخلية التى جمعتنى بها . نزعت الجيبه القصيرة وارتديت فستانى وذهنى يفتح ازراره كى اشاهد عورة اخطائى (: اكيد هى كانت عارفه انهم جايين .. وممكن تكون اتصلت بيهم .. عشان كده اصرت انى ألبس الجيبه القصيره !! .. طبعاً عشان يتفرجو على بضاعتهم !! شرموطة معرصه ياربى سمسرتها كانت كم فى الصفقة دى ؟؟ انا استاهل .. ما كان مفروض اجئ معاها اساساً !! .. وكمان فى شقة مفروشه !! "منال الطيب" عندها حق حذرتنى منها .. فعلا ما عندها امان .. ممكن تتاجر فى كل حاجه .. وما يتهمها خسارة الاخرين !! تربية محرومين !! منعول ابو اليوم الجمعنى بيها)

اخذت حقيبة يدى ووضعت بها اكسسواراتى ثم ارتديت حذائى وقررت الخروج دون احدد وجهتى . فتحت شريحه من الباب ليخرج بها صوتى فقط .. وانتظرت الاصلع العجوز لينهى ضحكته العاليه ثم ناديت عليها .. وقفت انتظرها متكئة بظهرى على دولاب ملابسها .. قلقه ومنزعجه .. افتش عن غضب مناسب لهذه التفاهه !! ثم ابدله بكلمات جارحه ابتر بها هذه العلاقة نهائياً .. تداهمنى مواقفها الانسانيه معى .. اقرر ان اعاتبها واعتذر عن المبيت . يجب ان اغادر هذه الشقة فوراً .

جاءتنى بعد ان اكملت احدى حكاياتها ووجهها لازال مبتلاً بالمجامله وبقايا الضحكه .. فوجدتنى ارتديت فستانى واحمل شنطة اليد .

- مالك !! الحصل شنو ؟؟

غاظتنى اكثر بسؤالها .. عطست فى وجهها كلماتى بحروف جاحده للادب والاحترام .. عنفتها ولمتها بشده .. اخبرتها اننى لم اتوقع ان تضم انوثتى لمزادها العلنى .. فانا لست جزءً من اثاثها المستعمل لتقرع الجرس وتسمسر فى جسدى .. كان الاجدى ان اتخير مشاعر الموقف الذى وضعتنى فيه .. صرخت فى وجهها حابسه دموعى (لماذا لم تخبريننى بزيارتهما) . اغلقت الباب وراحت تهدى من قلقى وتتحدث بصوت خافض واقسمت لى بشرفى – فهى لا تعلم اننى افتقدته ليله امس – انها لم تكن تعلم بزيارتهما .. واكدت لى ان شريكها العجوز الاصلع له نسخة من مفتاح الشقة وهو شريكها حتى فى دفع الايجار واخبرتنى انه غبى ولا يحسن التصرف كان من الواجب عليه ان يرن الجرس قبل ان يدخل .. ثم راحت تعتذر لى وتؤكد ان جلستهما لن تطول .. عانقتنى بعنف وقبلتنى مخفيه دمعتها وهمست خلف اذنى بكلمات تبدو صادقه .. جعلتنى ابادلها العناق وارمى شنطة يدى على الارض .

طبعا لم اتمكن من متابعة احداث حلقة المسلسل .. اعددت لهم الشاى وقمت بالتفاصيل الانيقة واسئلة السكر الروتنيه .. نظراتهما بعد الفستان اصبحت اكثر بعدا عن مقتنياتى الشخصيه .. زحف الحوار نحو العموميه والطقس و السياسة ثم ابطأ فى حركته وحرن فى هموم التجاره والسمسره .

اتابع التلفزيون وقليلاً من حوارهم .. الشاب المتطفل على الاناقة يسرد فى حكاوى واكاذيب ويحكى عن مشاريعه المستقبلية وتجارته فى الازياء النسائية .. اشعر به يخصنى بهذه الحكاوى لكى استلطفه .. تحدث باستفاضه عن علاقته بصديقه وكفيله الامير السعودى والثقة التى بينهما كفيلة بان يصطحبه معه الاميرُ فى زيارات سريه الى باريس ولندن

وجنيف .. وتجارته فى العطور والثياب السويسرية .. واقترح لـ "احسان يعقوب" مشروع الثياب النسائية وجمعا فى خيالهما ارباحا طائلة .. رحت احسب معهما فى سرى .

العجوز الاصلع صاحب الوكالة اعتذر عن الشاى واخرج من كيسه زجاجة ويسكى وهذه المره الاولى التى اشاهد فيها المدعو الويسكى .. بلعت ريقى وشعرت بالخوف .. اختلجت حواجبى واصبحت ممتعضة .

- بعد اذنك يا استاذه احلام

اخبرته بلهجه جاده .. اننى مجرد ضيفه والشأن لـ "إحسان يعقوب" .. وتحركت هى برشاقة المصلحه العامه وجلبت له كأساً فارغة وثلجا داخل خلية بلاستيكيه .. وضعت قليلاً منه داخل الكأس وجلست مبتسمه وراضيه عن نفسها .. تذكرت "ياسر فقيري" غصباً عن غضبى منه .. وتخيلته الان يشرب لوحده فى الحديقة وربما داخل غرفته . شعرت باضطراب وقلق وكتمت غيظى لأننى خمنت ان تكون معه الان احدى صديقاته السابقات او جلب معه احدى فتيات شارع الظلط . هززت راسى كى ابدد الفكره عن ذهنى .. ورحت اتابع فى حوار العجوز الاصلع الذى راح يقلت فى الكلام .. وتلفظ بكلمات بشعه ووقحه جعلت "احسان يعقوب" تموت من الضحك وانا شعرت بنفسى وسط مسخره وقلة ادب .. لقد اقدمت على شيء ولا بد ان اتحمل عواقبه .. تذكرت حملات قوات النظام العام .. كنت اسمع عنها تداهم الشقق المفروشه والبيوت المشبوهه .. حسيت بالبرد والخوف .. ارتشفت الشاى دفعه واحده وحملت الصينيه الى المطبخ . عادت التخمينات تغسل فى اوانيها وتلمّع لي الافكار السيئه .. لم استطع ان ارتب ذهنى جيداً فالخوف داخلى يتأرجح .. فضلت ان اكون توفيقية فجلست معهم قليلاً . خفتُ من خاتمة هذه الليله فستأذنتهما ودخلت غرفتها هاربه من المسخره وبيات النيّه .

استيقظت فى الصباح ووجدت "احسان يعقوب" تنام بالقرب منى بملابسها الداخلية .. فكتبت لها مذكرة امتنان ثم ذهبت الى الجامعة .

(٧)

محاولات "ياسرفقيري" لم تتوقف .. اشاهده يومياً ينتظرنى داخل سيارته بالقرب من مبنى الدراسات الاضافيه .. اخبرت "منال الطيب" اننى مختلفه معه وارغب فى اذلاله ومعاقبته ورجوتها ان لا تتدخل بيننا .
اهرب عن طريق اخر لاصل الى الداخلية التى سكنت فيها هذا الاسبوع بطريقه غير شرعيه .. احمل بطاقة سكن تخص احدى شبيهاتى . كنت اتذكره فى الامسيات الحاره .. اتخيل بداية الدعابه وفوران الدم .. القشعريره الاولى .. انكماشى وتشنجاتى .. لحظة انعدام الملابس الداخلية وانسجام الروح .. جذوة الشبق .. اعتلاء هضبة النشوة واطفاء الحريق .
احس بحلقى يابس ومجدوب .. اتململ فى السرير .. امضمض عينى بالنعاس ولا اغفو .. احسنى حائله .. اقرر ان اعود اليه غداً .. اجدنى فى الصباح ملتزمة بغضبى واصرارى على عدم رؤيته .
فى هذا اليوم حاصرنى امام بوابة الداخلية وخفت ان يفضحنى .. ركبت معه فى سيارته واشترطت عليه ان لا نذهب الى منزله .. تحكرت على المقعد الامامى بغضب .. اتلصص على ملامحه اشاهد الشهوه تخرج مع انفاسه وتلمع فى عينيه .. اشعر به يرغب فى مضاجعتى باسرع ما يمكن .. وانا ايضا كنت احتاجه واتوق اليه .. ولكن لا ادرى ما الذى جعلنى اتلذذ بفكرة ممانعتى .. تعفرت عليه ومنعته ان يلمس حتى يدى .. قررت ان اسلّ روحه .. ارد على اعتذاراته ومنطقه بابتسامه ساخره واتعمد اظهار وجنتى كى اغيظه .. انثر التوابل على خطتى قبل ان تنضج

..اسأله عن اخبار ضرّتى "ايمان" يلعنها ويتف على سيرتها .. ابتسم فى سرّي .. اتجشأ رائحة غرورى وحقدى .
ذهبت معه الى مطعم (فاضل العراقى) قضيت معه وقت ممتع .. اخرجنى من جديتى وخطتى بأسلوبه المرح جعلنى اضحك حدّ البكاء .. مازحنى وزين لى اعتذارته وزخرفها بألوان قوس قزح ثم نسج كشكشه بيضاء حول احزانى واستطاع ان يخفى عنى نكدى وغضبى .
امام منزله رفضت ان انزل من السيارة .. اصريت ان اعود الى الداخليه .. لا اطيق ان ادخل غرفته مرة اخرى .. كنت (قرمانه) له وحردانه فى نفس الوقت .. وعندما اوصلنى امام مبنى الداخليه طلبت منه ان نرجع الى منزله لكى اخذ بعض ملابسى واحتياجاته التى تركتها فى غرفته .. ونحن فى منتصف الكبرى سرحت مع الاضاءه المنعكسه على الماء تذكرت خطواتى السابقة داخل هذه الكبرى ارافق خالد عزالدين فى ظهيرة قيّاظة .. انتعل مفرداته واشم رائحه الخبز الحار . التفت الى "ياسرفقيري" وطلبت منه ان اعود الى الداخلية فلا ارغب فى ملابسى الان ويمكن ان اخذها فى وقت لاحق .. لم يكن امامه سوى الانصياع الى اوامرى .. وراح يلهث ورائى ويستجدينى . وايضا امام مبنى الداخلية لم اتجرأ واترك سيارته ظللت جالسه احتضن اللاشيء .. لا ادرى ماذا اريد منه بالتحديد !! لقد فلتت منى حبال خطتى .. ولم يكف هو عن اعتذاراته وتبريراته .. احسنى مشوشه وغير متماسكه لم استطع ان اغادر سيارته .. خرجت من صمتى بمشقه .

- تعال نتزوج !!

لم يرد على اقتراحى ولكنه مسك يدى وضغطها بقوه وحسسنى انه موافق .. ثم حاول تقبيلى فمنعته وصرخت فيه

- ياسر الناس بشوفونا !!

وافقت ان اعود معه الى منزله بعد ان يشترى لي (طعميه ومخلل) رحت اكل وخيالى يخطط لهذه الليله ويسبق واقعه .. عدنا نتقاسم السرير واللفافة واحلم انه سيصبح زوجى .

رائحة الكتابة

(٨)

فى شقتهما المشتركة بمدينه امستردام .. فكر طارق الزين فى هذه الامسيه ان يفتح باب النقاش مع صديقه ويحاول ان يجد مدخل مناسب ومنطق جيد يقنع به خالد عزالدين ليعدل عن قرار سفره الى اسمره .. جميع الاصدقاء والزملاء تعاملوا مع قراره على انه تطرّف وردة فعل نفسيه والبعض ألصق ألتهمه على "طارق الزين" نفسه واتهموه بانه اثر على افكاره وحرّضه وربما يريد ان يستقطبه ويضمعه الى مجموعة (حق)

وجد طارق الزين المهمه صعبه وشاقه لمناقشة صديقه فى هذا القرار .. وخاصة بعد ان انهارت العلاقة التى بيننا وعلم انني ارتبطت بصديقه "ياسر فقيري" .. لقد اصبح شرس لا يتقبل اى انتقادات .. احمق وضجر .. احساسه متقشف .. يزدرى كل من يخاطبه ويجادله يراهن على كل شئ .. يشتم البعض فى حضورهم دون استحياء .. لا يتنازل عن آراءه حتى لوكان يعلم انه على خطأ . لذلك قرار سفره الى اسمره من اجل انضمامه للمعارضة المسلح ومشاركته فى الحرب لن يتنازل عنه .. حتى لو رفض الحزب طلبه .. ساعتها سيغادر بصفته الشخصيه .

"طارق الزين" يعرفه جيداً ويستطيع احياناً ان يقرأ حتى افكاره ويهضم حماقاته لذلك قرر ان يحاوره هذه الليلة ويمنعه من هذه المجازفه .

كان خالد عزالدين فى هذه الامسية يقف داخل المطبخ يراقب البطاطس على الزيت ويقلب فى رأسه الافكار ويتخيل انه قد سافر الى اسمره وخاض تدريبات عسكريه شاقه يرى نفسه بملابس "جيفارا" ويعتمر قبعته .. شعر بأشواك السدرة تنمو على سواعده .. اخفى ابتسامته وراح يدندن باغنية عندما شعر بصديقه طارق الزين يدخل المطبخ حاملا كرسى ويجلس خلفه .. ارعبته فكرة انه مراقب من الخلف .. وثمة مواجهة بينهما ستبدأ بعد قليل لذا تحرك الى غرفته وجلب ادوات مقدرته على النقاش وصب لنفسه كاس فودكا ولصديقه ايضاً

- اشرب !! انها قوية كالسلطة السوفيتيه ونقيه كقلوب العذارى

راح "طارق الزين" يرتشف فى كأسه ويراقب ذهن صديقه من الخلف يفتش عن منطقة هشّة يقتحمه من خلالها ويلين له افكاره الناشفه .. بدا ينخر فى انفه باصبعه كعادته عندما يبدأ فى التفكير ويطبخ فى خطته على نار هادئه .. ولكى يجد مدخل مناسب للحوار والنقاش قاد صديقه فى ممشى الذكريات عندما كانا فى معتقل واحد وبالتحديد يوم كانت عليهما ورديه غسيل حمامات المعتقل وهى كانت اهين وارحم لهم من الضرب والتعذيب .. وبينما بدا "طارق الزين" فى نظافة احواض الغسيل وبلاط الحمامات .. دخل خالد عزالدين ينظف احدى دورات المياه ويصب عليها كميات من الماء ويمسح فى مقعد المرحاض بالمكنسه ويدندن باحدى اغنيات الحقيبه التى يحبها .. صدى صوته داخل الحمام جعله يشعر برخامة صوته وعذوبته فراح يطرب نفسه اكثر ورفع صوته اعلى .. سمعه احد ضباط الامن فوقف امام باب الحمام يصنتنت وتركه حتى انتهى من اخر مقطع فى الاغنيه ثم دخل عليهما بصوته الجهورى الاستفزازى .. فهو ضابط ذو جثه ضخمه ولسان عريض تخرج الكلمات من فمه كفقاعات الصابون وتنفجر بصوت عالى .. لونه كالبن المحروق

.. له منديل يضعه حول ياقته باستمرار ويزيل به عرقه المتواصل ، والغريب فى الامر ان منديله دائماً لونه احمر – ويكون دائما فى حالة هيجان منذ ان يدخل مبنى المعتقل حتى المساء يظل متوترا بلا مبرر .. علق علية احد المعتقلين السياسيين : بانه ابتلع خنفسانه ولازالت حيه تنهش فى احشاءه وتقلق مضجعه .

هذه المره لم يكن فى حالة هيجانه المعروفه .. بل اظهر جانب اخر من شخصيته .. دخل عليهما الحمام بعجرفه وسخريه واطلق العنان لصوته الاستفزازى

- ماشاءالله .. نحن معانا راديو هنا وماعارفين !! تعال يا راديو من فضلك عشان نسمع اغانى تانيه !!

رصعه على وجهه ورفسه حتى ارتطم بباب الحمام ثم خمشه من ملابسه وطوّح به خارج الحمام . لقد حبسه داخل مخزن صغير مقابل مكتب الضباط .. مخزن مخصص لشوالات الفحم وكتب الضابط صاحب الجثه الضخمه على باب المخزن بفحمه كلمة راديو بخط عريض واحضر عسكرى موهوب ليرسم الموجات والترددات ومفاتيح الراديو .. ووضعت عصى غليظه امام باب الخشب وكلما يمر احد الضباط داخل المكتب او خارج منه يضرب بالعصى على الباب

- غنى ياراديو .

وما على خالد عزالدين الذى جلس على شولات الفحم إلا الغناء بصوت عالى واحياناً لا يعجب الضابط بالاغنيه ويطلب استبدالها او يختار اغنيه بعينها واذا عجز الراديو عن تلبية الطلب يفتح باب الخشب ويضرب خالد عزالدين بالعصى ضرباً مبرحاً ثم يعود يتألم فوق شوالات الفحم متوقع لدغة عقرب فى اى لحظة .. واحيانا يطلب منه ان يذيع بصوت عالى مباريات كرة القدم رغم انه لا يشجع اى فريق ولا يحفظ اسماء .

كرفسه الضابط داخل شوال فحم فارغ عندما رفض الغناء وصلاة المغرب الاجباريه للمعتقلين .

ضحكا على ذكرى تلك الايام التى لقب فيها خالد عزالدين داخل المعتقل ببرنامج (ما يطلبه المستمعين) ووجد "طارق الزين" نهاية الممشى مناسبه لفتح النقاش بعد صوت الرنين

- فى صحة المعتقل يا رفيق
- فى صحة الحرب يا صديق
- يجب ان نعترف يا خالد عزالدين باننا فاشلان عاطفياً وسياسياً .. ولكن كلما ازدادت هزائمنا نكون قد اقتربنا من ناصية الهدف .
- ما ابشع ان اسمعك ترتل الهذيانات والغيبيات .. انا لن انتظر الفرج مثلك !! فانت تدعو لكى نتسول الامل !!
- يجب ان نعترف اولا اننا ضحايا لجيل سياسي ثرثار اورثنا بدل المنجل لسان .. لذا نحن نؤمن بالتفاوض ولا نحب القتال والانتاج .
- بالمناسبة يا طارق الزين انت نموذج جرئ للمثقف المحبط .
- اعترف اننى احياناً اكون محبط ولكنى سريعاً ما اتجاوز عثرتى ..يجب ان تعترف وتفهم ان ثمة مهام على عاتقنا قبل الانتفاضة .
- الم تقل لي يوما ان الانتفاضة ليست مباراة كرة قدم لتبدأ بصفارة حكم !!
- نعم .. ولا زلت اقول نفس الكلام .
- اذن لماذا ترفض ذهابى الى اسمره ؟؟

اخفى "طارق الزين" الاجابه الحقيقية لسؤال صديقه وهرب بأنظاره لكى لا تحرجه دموعه .. فهو يرفض فكرة سفر صديقه لا لشيء سوى انه يخاف ان يفقده .. فقد اصبح ذو حساسيه مرهفه .. و متمسكاً بصديقه

للابد ولم يعد بمقدوره ان يتحمل اى افتقاد .. وحساسيته لا تتقبل فاجعه اخرى .. فهو يعرّف الجندى فى قاموسه : (ذلك الرجل الذى يحمل سلاحاً ويحرس جثته) . عرج بالنقاش متفاديا حرجه وحساسيته .

- يجب يا خالد عزالدين ان تستوعب الوضع الراهن دون تفاؤل كاذب .

ورد عليه صديقه بانفعال

- وايضا بلا تشاؤم يشل ارادتك ويمنعك ان تحارب .
- الا تعتقد ان فشل علاقتك بأحلام يسن له دور فى هذا القرار

لقد عزف له على وتر مرهف .. جعله يبتلع كأس الفودكا دفعه واحده ويخبئ وجهه خلف مذاق الكحول مبدلاً تعابير التوتر والانزعاج بقناع من التكشيرة .. وبصعوبة اخرج كلماته .

- انت اصبحت مثلهم .. كلكم تثيرون قضايا هامشية .. انا اعتبر نفسى صاحب خطاب حقيقى .

بعد فترة من الصمت المزعج واصل فى فكرته عندما شعر بأن اجابته غير شافية ولم تقنعه هو نفسه .. لذا فكر ان يعترف ضمنيا

- نعم !! لقد تنازلت عن احلام يسن ولكنى لست على استعداد كى اتنازل عن السودان .. ولن اتركهم يهننون به لوحدهم .. فسارفع سلاحى ضد خزعبلاتهم.
- (اوكى) ok .. طيب ارفع كاسك !!
- الكاس ليهو رافع يا صديق .

عادت الصداقه الى حميميتها وضحكتها واسرارها وانتقل الحوار من حوش السياسة الى غرفة الثقافة الخاصة وتحدثا عن محمود درويش وسميح القاسم وادونيس وعلاقة القصيده بالقضية واختلفا بلا مهاترة حول قراءة القصيدة بخلفية سياسية أو قراءتها من خلال شاعرها ومواقفه .

النكهــة الثالثــة
نكهــة الانهزام _ مؤلمـه _

(أ)

اضع رأسى على المخده وامرّغ رقبتى .. اتحسس افضل وضعيه مريّحه لرأسى .. افتح مفكرة خالد عزالدين واقرأ فيها بتلذذ :

{ : تعلن الخطوط المصريه عن وصول رحلتها
رقم ٤١٢ الى مطار اسمره
الكبتن عماد اباظة وطاقم الطائرة يتمنون
ان يكونوا قد امنوا لكم رحلة مريحة
درجة الحرارة فى الخارج ......

عندما حطت بى الطائرة فى مطار اسمره .. كانت درجة الحراره منخفضة والرطوبه نسبيه .. بللّ على الارض السوداء ونكهة (دعاش) تصطدم بالرئه .. لقد اجهشت السماء قبل قليل والشمس جلست مكوعه بعد ان صبت قهوة ظهيرتها وراحت تستمتع بحكاوى السحب عن اخبار فضيحة الطين . غياب اربعة سنوات عن المناخ الافريقى والارض السوداء .. احس بنكهة الظل وجدية الرؤيه .. السماء تبدو اوسع من المكان والمبانى بالكاد شبت لتشارك برأيها .. البشر اصناف من درجات البن المسحوق .. بعضهنّ جذبنى .. خلاسيات بتدرج الوان المغارب .. يتحركن برشاقة داخل صالة المطار .. يحملن على صدورهنّ فاكهه طازجه ومن رؤوس البراعم ينسلّ التوقع . بعد اجراءات الدخول الروتينية زودونى بابتسامات شاسعه تجاوزت محيط الوجوه الدائريه .

من نافذة التاكسى .. اتأمل اسمره واقارنها بالخرطوم .. طقسها اجمل وكذلك الفتيات. رائحة الارض المبتله تعبر بى الى شوارع طفولتى .. فاشم رائحة قصب السكر المحروق .. فى قرية مصنع سكر الجنيد ..

رائحة ملابس جدى عندما يأتى من قريته .. نكهة الزوادة فى اليوم الثانى من السفر .. ورائحة شجر النيم فى الخريف .. نكهة اليوم الاول من العام الدراسى .. الفوضى ورائحة الكتب الجديده .
بصدف عندما تعاودنى الذكريات وتنتر بداخلى .. احس بانى سادمع .. اهز راسى ..اتذكر اننى جئت لاحمل بندقيه فى يدى فهى افضل لى من عشرات الاحلام فى ذهنى .. لم يعد مجدياً ان نبكى فى الامسيات ونحاول ان نقلل من وطأة المنفى بصب احزاننا داخل كاسات النشوة و نطرب مع الرنين . محض صدفه ان ارى قوس قزح واتوقع ان يهطل الفرح .. ايضا محض غباء ان افتقد الحبيبة والوطن .
لم يعد مجدياً ان ننتظر (قودو) بطل مسرحية(صمويل بيكت) لينقذنا ويخلصنا للابد .. لقد كنت اكثر عبثاً منه .. ولن اصبر مثل زملائى انتظر الفرج على شاطئ الترقب . رجعت اتأمل معالم اسمره واتخيلنى "جيفارا" الافريقى .. ويوما ما سأدوّن مذكراتى عن ايام النضال ولن انسى هذه اللحظات .. ساكتب عن هذه المدينه منبت الثوار ونكهة النضال وحتما ستشترى احلام يسن هذا الكتاب ـ المذكرات ـ لتبكى وتندم داخل صفحاته .
وصلت الى العنوان الذى اقصده .. استقبلنى فى منزله احد قادة الحزب .. لا اعرفه معرفه شخصية ولكنى كنت معجباً به وبمواقفه .. ودوما كانت تستفزنى مفرداته . استقبلنى امام باب شقته بجلابيه سودانيه وعدد من الاطفال .. لقد اقتحمت عليهم وجبة غداء على وشك المضغ .. وبطريقة سودانيه موروثه زلل عني حرجي واستحيائى .. فجلست معه حول صينيه تضم زوجته المترهله وخمسه اطفال .. لقد سألتنى عن اخبار الخرطوم وعندما علمت اننى قادم من هولندا امتنعت عن مخاطبتى وراحت تحفر بجدية الكنز داخل صحنها .. بدأ لى زوجها ضئيل امام جسدها الضخم . تذكرت احلام يسن عندما نبهتنى بأن الشيوعين الذين

عرفتها عليهم اجسادهم نحيله .. وسألتنى عن سر هذه الرشاقة .. وهل كفيله لصمودهم امام احزاب الكروش المترهلة !!؟ .
كنت اعتقد سابقاً ان المناضل امثال هذا القيادى لا يتزوج الا القضية نفسها فهى حبيبته وامتداده الطبيعى .. ومواقفه وتضحياته المتعدده ستصبح فيما بعد بمثابة ابناءه الشرعيين .. لقد اصبح رمزاً من رموز الوطن لذلك اعتقدتُ ان ملابسه لا يمكن ان تغسلها زوجه طبيعيه . هكذا كنت اتخيل !! اتلصص على ملامح هذا القيادى فرغم اعجابى المفرط به وثقافته غير المحدودة له زوجه تنهش فى الغباء وتلوك فى اخبار النضال كاللحمه غير المستويه .. ملامحها باهته وطريقة اكلها مقززه .. تيقنت ان هذا الرجل مناضل حقيقي يكفى صبره على هذه الزوجه وفيما بعد سالاحظ ان كل الذين اعجبت بهم لم يحسنوا اختيار زوجاتهم أو هكذا تخيلت .
جئت الى اسمره احمل فى داخلى بذرة "جيفارا" .. ارتدى ملابسه .. اردم فى خيالى انتصارات متوقعه .. فالمعارك الكلاميه مع زملائى فى امستردام يجب ان اوكدها بانتصار قريب .. فحرب الكلام غير مجديه .. نقاشنا فى السياسه احسه لغو عادى لا يحرك ساكن .. نختلف ونهيج ثم نشجب وندين وايضاً هذا هو الصمت بعينه ازاء الافعال النكراء .. اشعر الان اننى فى وئام مع نفسى .. لقد استطعت ان اسل "احلام يسن" من دواخلى وجعلتها تخرج كالدم الاسود من طعنة الخنجر .. وفى خيالى قد مضغتُ كبدة مشاعرها كزوجة (ابى سفيان) وها انا ابصق الان فى ألياف العشق الحمراء.وادق اوتادى على جحيم الحب .
فى صباح اليوم التالى من وصولى الى اسمره .. ذهبت مع القيادى الى مكتب التجمع الديمقراطى وفتح لي ملف بإسمي .. الإجراءات كانت اشبه بمعاينات اللجوء السياسي فى هولندا مع اختلاف التوتر والتوقع . بعد اسبوع من الانتظار واحلام اليقظة والمعارك التى انتصرت فيها داخل

ذهنى تم ترحيلي الى ما يسمى بالميدان وهى مدينه الجيش قرب الحدود السودانيه .. فوضعت ثقافتى وشعرى داخل جيبى وركزت انتباهى للتدريبات العسكريه .. ومع كل خطوة تكبر بداخلى بذرة "جيفارا" وتنمو .. سكنت داخل (هنقر) كبير مقسم الى وحدات صغيره عبارة عن غرف من الحصير ومسقوفه ايضا بالحصير لان الطقس هنا حار .. اكل وجباتى مع جنود سفرت الشمس وجوههم وآذتها .. معظمهم من جنوب السودان .. تعرفت عليهم تلقائياً ولكن صداقتى الاولى نمت مع ابناء قبيلة البجه .. فطقوسهم فى صناعة القهوه المسائيه كانت تغرينى كى اتغلغل فيهم واجلس معهم .. استمتع باحاجيهم والاقاصى الساحره متنقلا بخيالى فى عوالمهم وازقة براءتهم .. اتوه بعيداً عن خصوصيتى .. اسقط من على ظهر نرجسيتى . احياناً اقضى معهم الليل تحت (القمره) بمزاج علنى .. اسامرهم واضحك معهم .. يمر بذهنى اصدقاء فى جنيف وباريس وامستردام .. اقارنهم بالظلام .. اتمدد على ظهرى .. اتامل القمر .. اسمع صوت الذئاب ياتى من بعيد .. اتخيلهم اعدائى .. اخربش على خريطة ذهنى خطة الهجوم وانتصر عليهم وادمرهم مشتتاً شملهم .. اسرح مع انتصاراتى وكيف سأذل "أحلام يسن" وابصق على وجهها عندما تسقط الخرطوم .. ساجعلها تتقيأ الندم ولا تتوقع التحنان والرحمه .. اما عشيقها "ياسر فقيري" فلى معه صمت اخر .. سأذله فى مسقط علاقتنا اولا ثم اجرده من رتبة صداقتنا واعنفه رمياً بالكلمات الجارحه ورغم ذلك ساكون عقلانياً واقول لهما : من دخل دار فقيري فهو آمن .
بعد عدة اسابيع من التدريبات العسكرية الشاقه وشتلة "جيفارا" فى داخلى يقوى عودها والجينات تتواءم وتتفق .. تم تعيينى بعد ذلك كحارس فى احدى معسكرات الاسرى .. وهو ايضاً هنجر شبيه بالمعسكر الذى تدربت فيه .. وقفت امام الضابط اتلقى الاوامر والتعليمات العسكرية

و"جيفارا" يضحك فى داخلى بسخرية .. لقد رفضت تنفيذ الاوامر وطالبت باقحامى فى الخطوط الاماميه لكى اشارك فى معارك جنت من اجلها . والاجدر بى ان اظل فى اجتماعاتى السياسية بامستردام من ان اصبح حارساً لبعض الاسرى .. كنت غاضباً ومنفعلاً رغم المنطق العسكرى الذى ابداه الضابط .. فلقد اعترض على امكانياتى العسكرية وقلة التدريب لن تؤهلنى كى اخوض معركة الا بعد فتره زمنيه محدده ولكى يرضى "جيفارا" بداخلى وعدنى بمعركه مهمه وحاسمه فى القريب العاجل .. جعلنى اخفى ابتسامتى وتزداد احلام يقظتى وضرب لى مثلاً (بعم صباحى) الطباخ : وهو لا يقل نضالا عن اى جندى داخل المعركة .
استلمت محل اقامتى داخل هنقر الاسرى وايضاً واجباتى وجدول المناوبه .. تعرفت سريعاً على زملائى الحراس .. ابحث عن صداقات تملأ الفراغ وتقلل وطأة الحزن .. احاول ان اتعلم صبر العناكب والدود .. ادرب نفسى على عناصر الترقب والانتصار .. اصبحت اشعر بقيظ النهار واحتدامه .. لقد آذت الشمس وجهى بحرها .. العرق فى نوبات مستمره .. الامسيات تبدو محتفظة بعهدها للشمس .. اشتهى امستردام وبردها .. اتذكرنى عاطلٌ اتسكع على ممشى ظهيرة الخرطوم .. واستريح على مسطبة الوعود .. ادهن الدرابزين بالامل والمخاطر و"احلام يسن" فى الخاطر .
عندما حان وقت مناوبتى فى الحراسه .. دلفت الى هنقر الاسرى بتوجس .. لقد تذكرت ابن عمتى الذى فقد فى الحرب منذ فتره وهناك شائعه غير مؤكده تقول انه سقط فى الاسر .. وربما اصادفه هنا !! وكيف ساتعامل معه !! هل اضع بندقيتى على الارض واسلم عليه بالاحضان !! ام ماذا على ان افعل ؟ انسج فى ذهنى عناصر السلوك التوفيقى ... رحت اقوى

فى مشاعرى واحجرها .. ابن عمتى لم تكن لي به خصوصيه غير لقاءتنا الشحيحه والمحصوره بالمناسبات .. لذلك يجب عليه ان يتحمل مسؤلية قرارته .. لقد اصبح الان احد اعدائى .. ويجب ان اتعامل معه على هذا الخصام .. وفكرت حتى ان اتباه امامه بسلاحى .. فهذه البندقية اصبحت تحسسنى بالقوه وتضاعف العنجهيه .. سابقا كنت انظر اليها كحديده مقززه لا تعرف سوى القتل .. اما الان بعد ان تعرفت عليها عن كثب واصبحت اجيد فكها وتركيبها .. اتحسس يومياً ملامحها .. اتوسدها عند اللزوم .. حتى نشأت بينى وبينها علاقة صداقة .. احس بها ساحره لقد غيرت حتى ايقاع مشيتى وخطواتى .. تزيد من انفعالاتى الداخلية وتدفعنى للبسالة .

تجولت داخل هنقر الاسرى بعنجهيه وازدراء ابحث عن ملامح ابن عمتى كى اتباه امامه... رفت عينى وانتابنى احساس بانى ساصادف احد الذين اعرفهم .. وتمنيت ان التقى بأحد الذين عذبونى فى المعتقل كى ارد اليه طعم تلك المراره ... تمعنت فى سحناتهم ببطء وجديه اضافتها لى بندقيتى .. اشكالهم بائسه .. اعمارهم متقاربه .. لا تبدو عليهم شراسة حكومتهم .. قررت ان اتعامل معهم حسب اللوائح ولا داعى لجرعة العاطفة الزائده .. شدّ انتباهى اسير شعره كثيف وقامته طويله .. بدا لي كأنه من قبيلة الهدندوه ولكن ملامحه خرطوميه .. اكبر منى عمراً .. عيناه واسعتان .. هناك شيئا ما جعله مختلف عن الاسرى .. رحت اراقبه اثناء توزيع وجبه الاكل .. يقف دائما فى اخر الطابور يتعامل مع الوجبات كالاوامر .. لا يرد على الاسئله .. يجلس دائما لوحده .. ارقبه اثناء شراب القهوه .. حزناً فى عينيه يستفزنى .. اقرر ان اقترب منه وانتقى اسئلة كى اطرحها عليه .. وقبل ان اخطو نحوه ابدد فكرتى واصل الى اجابه منطقيه .. فهو اسير ومن حقه ان يحزن .. انا ايضاً كنت حزين داخل المعتقل .. امر طبيعى ان تكتئب عندما تفتقد اخرين تحبهم .

اجد نفسى مره اخرى اراقبه اثناء خروجهم فى استراحة الصلاة .. ينظر بعينيه الواسعتين الى الاشياء دون ان يضيف اليها من ذهنه .. لاتصدر عنه سوى همهمه او جمل مبتوره .. ارى فى مقلتيه وهج حزن لا تتوقف محاولات اخماده .. اشعر ان لديه رغبه فى ان يبوح و يصرّح بشيئا ما ولكن لا تسعفه الجرأه ولا حتى الشخص المناسب .. سالت عنه زملائى الحرّاس .. قيل لى انه مريض ودائما مكتئب .. اصبحت افكر فيه حتى عندما اكون فى استراحتى داخل السكن .. اشعر ان هناك شيئا ما يجذبنى اليه .. قرأت تقرير طبى عن حالته الصحيه وجدته فى مكتب الضابط المسؤل .. لقد كتبته الطبيبه الجنوبية المتطوعة واكدت فى تقريرها ان لديه حالة اكتئاب نفسى وربما تتفاقم فى الايام القادمه .. لم تذكر فى تقريرها اسباب انهياره العصبى .

عرفت انه توقف عن اداء الصلاة واصبح يبكى اثناء الليل ويهذى .. انزوى داخل نفسه لا يكلم احد .. لا يخرج حتى فى الاستراحه وامتنع عن الاكل . سمعت اليوم بعد صلاة المغرب امام الاسرى يخطب فيهم ويحدثهم عن الاسير ذو الشعر الكثيف ويتهمه بالرّده وان هناك شيطان قد تقمصه ودعا الله ان يفرّج عنه كربته ويرجعه الى دينه . وفى نفس الليلة اصيب الاسير ذو الشعر الكثيف بنوبة هياج وتشنجات عصبيه جعلته يصرخ باعلى صوته .. جئنا مسرعين واضأنا اناره (الهنقر) الخاص بالاسرى وجدناه منبطح على الارض بعد ان كسر سياج الحصير الفاصل بين الغرف.. راح يمرّغ جسده مع التراب و دموعه تحولت الى طين .. جسده الفارع يرتعش .. حذرنا (مولانا) الامام بعدم الاقتراب منه او لمسه واكد ان هذا الاسير مصاب بمرض الصرّعه .. ورغم ذلك حملته مع زملائى الحراس الى غرفة العياده المرفقة مع مكتب الضابط واستدعينا الطبيبه الجنوبيه المتطوعة .. فهى كانت

متزوجه من احد قادة الحركة الشعبيه وعندما انفصلت عنه .. سكنت فى مبنى تابع لمنظمة (اطباء بلا حدود) جاءت منزعجه و حقنته بمهدئ وظلت بجانبه حتى الصباح ثم كتبت تقرير اخر عن حالته النفسيه وطالبت تحويله الى مستشفى اسمره .

فى مساء اليوم الثانى وجدتنى اجلس على كرسى خشبى واستند على بندقيتى امام باب غرفه بمستشفى اسمره .. فلقد تم تعينى حارسا للاسير ذو الشعر الكثيف .. وضعوه فى غرفه خاصه بجناح المرضى النفسانيين ووضعوا لى معه سرير كحارس ومرافق . اعتقد ان الضابط المسؤول تعاطف معى وحاول ان يبعدنى عن اجواء الميدان الحاره وهو لا يدرى انه يسئ لعناصر النضال وشتلة "جيفارا" .

ظللت جالس على كرسى الخشبى فى الصالة الاماميه لجناح المرضى النفسانين والذى بدا لى هادئاً الا من خطوات الممرضات الرشيقه .. جلست ابحلق فى اهتزاز اردافهنّ واحلام يسن تتردد على ذهنى .. يبدو انها لن تتسلّ إلامع روحى .

(ب)

لم اعد اتذكر خالد عزالدين إلا نادراً فعلاقتى بـ "ياسر فقيري" جعلتنى انسى كل الذين من حولى وافكر فيه وحده واخطط لزواجى به .. حتى اهلى فى مدنى اصبحت لا ازورهم الا فى حالات الضروره .. ولم اخبرهم اننى اكملت دبلوم الدراسات الاضافية حتى اكون بجانبه .. اقاسمه سريره واحاصره وازرده ليوقع على قسيمه زواجنا الحقيقية . لقد جعلنى ألهث وراءه منصاعه لاوامره العسكريه لا اشاهد سوى ملامحه القاضبة .. لقد اصبح هو الذى يتحكم فى مصيرى ولا خيار لى سوى ان

اخضع له وامثل لقراراته .. فمصيرى اصبح مقرونا بمزاجه.. اقدم له كرامتى مع قهوة الصباح .. اتملقه لحدّ اهانة نفسى .. اجبرّ كرامتى يومياً بعد ان يكسر خاطرها .. ازحف بمكر وغباء نحو هدفى وزواجى منه.. لا استطيع ان اتزوج غيره فهو من فضّ عذريتى .. لم اكن اتخيل ايامها اننى ساعيش مع رجل اخر والمهر هو ان يصدق الكذبه .. فـ "ياسر فقيري" هو زوجى فى احلام يقظتى ولابد له ان يصبح واقع .. ولكنى للاسف بدأتُ اشعر به لايطيقنى .. يهيننى باحساس بخيل ويقبلنى ساهياً بلا شفتين وحتى لعابه ولى معدوم .. يتهرب من لقاءاتى .. يعتذر بحجة انه يسكن هذه الايام مع شقيقته "هالة فقيري" لان زوجها فى مهمه خارج الوطن .. وراح يتحجج بان دخولى لمنزله فى وضح النهار يثير حفيظة الجيران وتعددت اعاذيره . قضيت بعض ايامي متنقله بين حي الصافية وشقة "احسان يعقوب" .. اعاونها فى عملها بوكالة السفر والسياحه مقابل مصاريفى الشخصية .. فكرت ان اتجاهله واجعله هو الذى يبحث عنى ويتوق لرؤيتى . اوصتنى "احسان يعقوب" ان احرد لقاءاته ليتشوق لرؤيتى اكثر .. اشعر به يشدنى ويجذبنى نحوه بخيط عصب .. ارتباطى به اصبح مزمن .. لقد سرق محفظة شرفى وراح يتهرب من دعوة المحكمة .. اشعر به قد اصبح فى نظرى رجلٌ عرقوب يتمادى فى اكاذيبه ورغم ذلك احن إليه وألوم الملل الذى زحف الى سريرنا المشترك .. وارجح هذا السبب لان انفعاله بجسدى ولى بارداً لا يحسن التصرف مع انوثتى . تهربه منى وتبريراته باتت تذلنى وتخنقنى فسافرت الى مدنى كى استعين بالجو الاسرى وخاصة بعد ان عرفت ان هذه الأيام "إلهام" وابنتها "غيداء" معنا فى المنزل .

فعلا شعرت كاننى خلعت الحذاء العالى من قدمى .. وسرقنى الجو الاسرى من كآبتى .. رحت ألعب مع "غيداء" واعيد معها ايام طفولتى .. اعلمها نطق

الكلمات والاسماء .. استمتع معها .. ترافقني الى مشوار السوق وتزور معي صديقاتي .. احياناً اساعد امي وإلهام في المطبخ واغسل الاطباق واشارك في تداعي الذكريات .. اجلس مع اخي "احمد يسن" في الصالون اصحح معه كراسات تلاميذه .. يشكي لي من غباءهم وظروف التدريس السيئه ويبدا بمنولوج المرتبات الغائبه . اكتب نيابة عن امي رسائل عتاب لـ "كمال يسن" في ليبيا وتطلب مني ان ابعثها له من الخرطوم ـ عندما سمعت خبر وفاته تذكرت هذه الرسائل .. اعتقد انها لم تكن تصله مثل جثمانه الذي لم يصلنا وظل بين قوسين تحت الرمال الليبيه ـ في المساء كنا نضع اسرتنا في وسط الحوش .. "إلهام" تلصق سريرها بسرير اخر لتنام عليه ابنتها "غيداء". اما انا وامي اسرتنا متقابله .. والدي ينام في حوش الحديقه الصغير من الجانب الاخر للمنزل مقابل للجزء الذي فصلناه بحائط قصير لشقيقي "احمد يسن" وزوجته .

وبعد ان اطفئ النور استلقي على سريري اراقب النجوم .. لحظتها تبدا إلهام في حكاويها وثرثرتها عن اخبار الحي التي لم اسمع بها .. سردت لي اخر اخبار المشاجرات الحديثه وحكاية "فاطمه عوض" الارمله التي استدعت رجال الشرطة ليراقبوا سكان الحي والمنازل.. لقد ادعت ان هناك شخص في احدى المنازل يقذف دارها بالحجاره في وضح النهار واربكت الحي لمدة اسبوع وفي النهايه اتهمت نجوى بت عبد الفتاح . واوجعت بطني "إلهام" من الضحك عندما راحت تقلد لي في جاراتنا وردت فعلهنّ .. ولم تنسى ان تحكي لي عن اخر شطحات "منصور" السكران وطلاقه لزوجته للمره العشرين .

اما في هذه الليلة القمريه انتظرت حتى سمعت شخير امي ثم التفتت لي وكوعت وراحت تحكي لي بهمس عن "سامية" جارتنا التي اكتشفوا اهلها انها حامل وهددوها بالقتل فاعترفت ان صاحب البذره هو "سعيد" سيد الدكان .. ويقال انه وافق على الزواج بها تحت الآم الضرب .

تابعت هذه القصة بخوف وحذر .. اعتلت ذهني مخاوف واسئلة مزعجه .. ماذا سافعل لو حدثت لي هذه الفضيحه !! اكيد سأموت لحظتها .. حتما سانتحر !! امي ستموت بحسرتها .. وماذا سيفعل بي ابي ؟؟ لابد انه سيقتلني ويئده ويخفي وجهه بكفيه ولن يعود يبحلق في الوجوه كعادته .. التفت الى الناحيه الاخرى .. ابصق الفكره عن ذهني .. تبدأ تتغلغل نفس الفكره من زاويه اخرى وباسئلة اكثر رعباً .. اشعر بالخوف .. ألف رأسي واعود للناحيه الثانية .. احاول ان اخلد الى النوم .. اتململ برأسي على المخده .. استأذن إلهام واخبرها انني مرهقه ونعسانه .. انظر الى السماء فلا اشاهد نجومها .. فكرة الفضيحه تحوم داخل ذهني كالغيوم .. تحجب عني الصفاء والرؤيه .. تقودني الى اماكن صحراويه .. تهطل فيها بغزاره ..تتفشى الغيمه واسقط مع اخر حبات المطر .. اجد الرمال العطشى شربت الماء وابقى وحيده في صحراء لا تعبأ باحد .. اشعر بالموت يترقب مقدرة صبري على العطش ويتلذذ بخروج الروح .

فضيحة ساميه جارتنا جعلتني اشعر بالخوف وبخطورة ما افعله تجاه جسدي .. راحت ترعبني نفسي وارتعدتُ من سلوكي .. شعرت بأنوثتي تدفع بي نحو حافة الفضيحه .. ولم انتبه لعواقب لذتي إلا في هذه اللحظة .. بدأت اتذكر واراجع في حساباتي وتاريخ اليوم الذي انقطعت فيه الدوره الشهريه .. كنا نتعامل معها انا و"ياسر فقيري" بمصطلح خاص ويسميها رجل الراية واحياناً يلقبها بالكرت الاحمر وذلك لشدة شغفه بكورة القدم .. فكان يمازحني في تلك الايام ويعتبر نفسه في حالة تسلل تستدعي رفع الرايه الحمراء .

بصعوبه تذكرت تاريخ انقطاعها كنت يومها مع "منال الطيب" في منزل عمها الوزير ومعنى ذلك سيكون موعدها القادم خلال هذا الاسبوع .. نوعاً ما شعرت بالارتياح وانهزم الخوف تدريجياً بداخلي .. توقعت ان قلقي ربما يساهم في تأخير زيارتها .. فهذه عادتي كلما شعرت بالخوف والقلق تتزلق

من مدارها الثابت لتبدأ دوره عشوائيه وسريعاً ما تنتظم . تنفست الصعداء واستبعدت فضيحة الحمل .. رحت افكر فى النحس الذى يتعقبنى كالظل وتهرب "ياسر فقيري" من ديون عذريتى .. (فعلا كلام منال الطبيب حقيقى الشاب الشرقى اذا سلمته جسدى عن حب سيعتقد اننى حتماً ساتبرع به بعد ذلك لغيره) لذلك بدات اقتنع ان "ياسر فقيري" ربما ينسلخ بسهوله عن عشقى وخاصة بعد ما قطف زهرة البستان وهو مثله مثل غيره يشك باننى ربما صدرت فى غيابه الرياحين أو خنته فى مملكة النحل .. رحتُ اقارن نفسى بشقيقتى "إلهام" وحظها الوافر واحسدها على حياتها الهانئه .. تمنيت لو كنت فعلت مثلها .. فهى لم تواصل تعليمها الجامعى وافقت على اول زوج طرق بابها وهاهى سعيده مع زوجها المقيم ببورتسودان وتاتى لزيارتنا من وقت لاخر ولها اجمل طفلة. . واحيانا عندما كنت اسالها فى اوقات تجلياتها عن حياتها الخاصة مع زوجها .. تحكى لى بتلذذ عن متعتها ونشوتها معه .. تروى لى تفاصيل حسيه وتاكد لى اننى لن استوعب هذه المتعه الا عندما اتزوج وهو احساس وقتى لا يروى ويستحيل لذهنى ان يتخيله .. فهى لم تكن تعلم اننى جربته واحفظ تفاصيله .. آه لو تعلم اننى فقدت عذريتى !! .. اشعر بدموعى تسيل حاره .. العبره توّسع وتسد فوهة حلقى .. اتمرّغ من شدة الاختناق .. هارمونى شخيريهما يزيد من نحيبى واجهش باهتزاز ورجة جسد .. اتمنى ان تتسلّ روحى وتغادرنى للابد .. استغفر ربى واحاول ان اقرأ آية الكرسى ولكن نحيبى اصبح فى اوج حالاته ووقف عارضاً بينى بين الاياَت .. نهضت من سريري بمشقه وسرت حافيه على امشاطى فى اتجاه الزير .. شربت وغسلت وجهى .. رجعت ببطء متمنيه ان يصبح السرير قبرى .. نحيبى متواصل .. اراقب القمر .. اتذكر خالد عزالدين كان يقول لى : عندما تشتهينى وانت بود مدنى انظرى الى القمر ساكون بجانبك . اشعر الان بالقمر يضحك بسخرية ويمد لى لسانه. آمنت بان ما يحدث لى بسبب خيانتى له ..

ينهمر الدمع اكثر .. يزداد ايقاع النحيب .. كان من الاصح ان اتحمل غيابه واحتفظ له بعذريتى .. نعم !! لقد اخطأتُ فى حقه وهاهو القدر يشفى غليله منى .. اصبحت اكره جسدى و"ياسر فقيري" يتهرب منى وينسلخ ومشاعره نحوي تتكمش تدريجياً كجلد الاضحية .. ارتفع صوت بكائى (كصولو) حزين داخل كونشيرتو الشخير .. انكفأت على وسادتى مكممه صوتى .. واندب فى حظى واتململ .. تمر بخاطرى افكار بشعه .. شعرت بالاعياء وغفوت .

رأيت "سامية" جارتنا تقتحم علينا المنزل ببطنها المنتفخ وتصرخ بأعلى صوتها .. كنت جالسه فى سريرى فاحتمت خلفى مفزوعه ومواصله فى صراخها .. جاء خلفها شقيقي "كمال يسن" وكعادته منفعلاً وكان يحمل فى يده سكين .. ماالذى جاء به من ليبيا .. راح يهددها بالقتل ويشتمها ويطلب منها ان تغادر المنزل .. ظلت ملتصقه وراء ظهرى وتصرخ وتجذبنى الي بطنها .. فجأة جذبتنى امى من بين يديها واخبرتنى انها فى حالة مخاض .. رحتُ انبه فى امى واشير اليها فى اتجاه ابنها "كمال يسن" واريد ان اخبرها انه قد عاد من ليبيا .. لم تعيرنى اى انتباه ظلت تحملق فى "سامية" .. شاهدت فجأةً "ياسر فقيري" يدخل منزلنا بملابسه العسكريه ويهجم على شقيقي وياخذ منه السكين ويتصارعان وسطَ الحوش رحت اصرخ فيهما باعلى صوتى .. اشعر ببطنى تكبر مع كل صرخه حتى انفجرت .. استيقظت مفزوعه ووجدت المخده فوق بطنى وافخاذى مكشوفه .. نظرت حولى .. "إلهام" و"غيداء" نائمتان .. سمعت حركة امى داخل المطبخ .. عدلت فستان نومى واستلقيت مره اخرى مستمتعه بنسائم الصباح الرطبه .. حاولت ان استرجع الحلم .. تذكرت ان اخى "كمال يسن" كان يرسل معى جوابات غراميه لجارتنا "سامية" .. تثاءبت ومططت اطرافى ودست باقدامى على ماسورة السرير البارده .. ومتلذذه بالهواء البارد .. حسيت بنفسى مشتهيه (زلابيه) .. تمنيت ان لا

تخذلني امي .. وعندما سمعتها ترمى شيئاً على الزيت الحار .. تحركت
حافيه فى اتجاه المطبخ كى اتاكد من حاستى السادسه فوجدت يدها داخل
عجين الزلابيه .

رجعت فى اليوم الثانى الى الخرطوم بحجة اننى اتابع فى اجراءات وظيفتى
فى احدى البنوك ولكى ابعث برسائل شقيقي الى ليبيا . اخترت توقيت
مناسب تحركت فيه من مدنى لأصل الى منزل "ياسر فقيري" قبل الغروب
بقليل ففى هذا الوقت دائما يكون متواجداً ببيته .. لقد كنت مشتاقه له ومتلهفه
لقبلاته بشكل جنونى .. اول مره اشعر برغبتى تدفعنى نحوه بهذا الشبق
والجنونى .. وضعت كرامتى داخل شنطة يدى وركبت اول تاكسى .. كنت
خائفه ان اتاخر ولا اجده او ربما يداهمنى رجل الراية الحمراء .. طلبت من
سائق التاكسى ان يزيد من سرعته .. افخاذى ترتعش .. ركبتى تهتز بسرعه
اثبتها بيدى كاتمة على ضحكتى .. ألم لذيذ فى حلمات صدرى .. خيط لعاب
ما يريد ان ينزلق .. ادق على بابه وارن الجرس .. قلبى يرفس ويهضرب ..
اتلصص على الشارع كى لا يرانى احد .. له جيره متعددة الامزجة ..احيانا
يحترمونه وغالباً ما يتذمرون من حركته الليلية .

فتح لى الباب ووجهه متجهم .. تقدمت خطوة نحوه بفرح خرافى واغلق
خلفى الباب .. وقفت احتضن شنطة يدى وألملم فى خجلى .. وكتلميذه
مهذبة لاول مره تخطئ ولم تستطيع اخفاء ابتسامتها امام معلمتها ..
انتبهت لملامحه الجاده .. فرحت انقب فى جيوب الاعتذار مرتبكه فى
وقفتى .. وعنما ابتسم لى رميت نفسى على صدره وضحكت برموشى ..
ركبتى لازالت ترتعش .. دخلت غرفته ابعثر فى انوثتى على سريره
وانلوى وانتفض .. كنت سابقاً امر بحالة اغماءة خفيفة بعد ان يطفئ
نارى واظل مستلقيه بجسدى المنهار غير عابئة بعريي .. ورويداً رويداً
اعود الى حيويتى .. اما اليوم كان شبقى متالقاً غير عادته .. رفضتُ

الانفكاك عن جسده .. احاصره بتأوّهاتى .. اجذبه على صدرى .. **اتشنج**
وأئن .. اصرخ واهذى .. احك بأصبعى اسفل بطنى .. احس بالنار **كلما**
اخمدت تنهض ألسنت لهب اخرى من تحت الرماد تسخّتنى وتهيّجنى ..
ازداد تشنجاً وانادى عليه بصوت انين مجوف .. كاننى داخل بئر ..
النارتأكل حتى لزوجتى .. انتحب بلا عبره .

داخل الحمام وقفت معه عاريه تحت الدش اذوّب عنى لهيبى والرماد ..
نظر لى باحتقار وانتقد لزوجتى وحلمات صدرى المتورمه .. عانقته
وانتظرت منه المزيد .. قضيت معه ثلاث ليالى لم تكن كافيه لاطفاء
حرائق غابه بكاملها .. فكلما يخمد جزءاً يشتعل الاخر .. جعل انوثتى
عباره عن كابية يغطيها الرماد وقابله لان تشتعل فى اى لحظه . غادرته
غير راضيه عنه .. فمصلحة انوثتى كانت فى المقام الاول .. متجاهله
فضيحة "ساميه" جارتنا وغير عابئه سوى باناقة جسدي وتفتح ازهاري
.. تيقنت ان صدأ العلاقة بدأ يبنى فى مملكته او ربما الملل كعادته وجد
سانحه ودسّ نفسه بيننا هارباً من اشتباهه .. رغم اننى اشعر بملله منذ
فتره ولكننى لم اورط انوثتى فى اى اتهام يدين شهوتها .. بل براءتها
حتى من انانيتها وألبستها فستان من الاشواق الحره وحفزتها لكى تطالب
بقيمة احساس يناسب ذوقها .

تأخرت الدوره الشهريه ولكنى اودعت مخاوفى خانة التوقع .. اكيد قلقى
عليها حال دون قدومها .. وابرر لنفسى بتجارب سابقه كثيره .. فمهما
حدث حتماً ستأتى هذه العادة اللعينه .. يجب على ان ابدد خوفى اولاً ..
ولكن حلمات صدرى المتورمه وشهوتى الزائده تعيدانى الى دئرة الشك
.. تهربت من "احسان يعقوب" و"منال الطيب" .. رجعت اعتكف فى
منزل "ياسر فقيري" .. قلقى تجاوز حدوده .. ودخلُ فى خصوصية النوم
.. تتراءى لي كوابيس مخيفه وهواجس ليليه .. اصبحت اكثر عصبيه ..

فى النهار ابكى داخل الحمام .. وعلى عتبة المساء تنتظرنى الكوابيس .. انتقلت جرثومة الخوف الى "ياسر فقيري" .. حاول ان يربت على ذهنى باسئله لحوحه ولكنه زاد من عصبيتى .. يسألنى عن مواقيتها والتواريخ السابقه .. يحاول ان يشكك فى حساباتى .. واسئله اخرى ساذجه ضاعفت من مخاوفى .. شعرت به يبحث عن طمأنينة لنفسه .

فى صباح هذا اليوم ذهبت معه بسيارته الى مستشفى السلاح الطبى .. كان الطقس حاراً وخانق .. اشعة الشمس تلسع فى البن المشوى بلا رحمه .. ولم اسلم منها فقد آذت صفحة وجهى .. حالتى النفسيه السيئة صورت لى ان اضاءتها اليوم اكثر من المعتاد .. او ربما لانى كنت معتكفه داخل منزله عدة ايام لم ارَ خلالها ضوء الشمس .. ظللنا صامتين داخل سيارته .. اغلق المسجل وراح ينتف عنى احتمالات الحمل ويرمى بها من نافذته .. استجدانى ان اكون طبيعيه وعاديه .. وعرج بى الى المرح دون ان يفلح فى مهمته .. تذكرت اننى اهديته فى عيد ميلاده السابق كرت عباره عن طفل حديث الولاده داخل صدفة .. وكتبت له كلمات حب وحلمت داخل المعانى بان يصبح ابا لطفلى .. شعرت بدموعى تنهمر فإلتفتُ الى الناحيه الاخرى انظر الى النيل ونحن داخل الكبرى اتأمل الماء من خلف رموشى المبتله واعض على شفتى بألم .

داخل صالة حوادث مستشفى السلاح الطبى وصل رعبى الى بلكونة مرتعشه .. مددتُ عينة البول الى اخصائى المعمل بيد مرتجفه ثم جلست فى احد مقاعد صالة الانتظار .. اناملى ترتعش وتتعرّق .. اعجنها مع بعضها .. احبس انفاسي بترقب ادعو ربي واقرأ جزءً من سوره (يس) فى سرّي .. ابلع ريقى واراقب النساء الحوامل .. انظر الى بطونهنّ المنتفخه ..امسح دموعى .. خوفى ان اصبح حامل يتنامى .. اتشبث بالمقعد .. احس باننى جائعة ولى رغبه ان اتبول مره اخرى .

"ياسرفقيري" كان يقف لحظتها مع احد زملائه الضباط .. تركه وجاء ليجلس لصقى وبدأ فى تعليقات ساخره حول الممرضات والسسترات ويبحث عن المفارقات وعدم انسجام الزّى الكاكى على اجسادهنّ المترهله .. يلفت انتباهى الى مواقف داخل الصالة وتبدو مضحكة ولكنى لم استطيع .. كان ذهنى كله تحت المجهر .. اترقب نتيجه الفحص بقلق .. حاول ان يشتت لي ذهنى ويبعدنى عن فكره الحمل .. سرد لى مواقف طريفه فيما يبدو وذكرنى ببعض الاشياء التى كانت تضحكنى حدّ البكاء .. ولكن خوفى كان قد ترهل وابتسامتى اصبحت مقعده على كرسى الذهول .. كرر محاولاته دون فائده مجتهداً فى ظرافته ومرحه حدّ الاغاظه.

نادى اخصائى المعمل على إسمى .. شعرت بقلبى يسقط داخل بطنى .. لم استطيع ان اتحرك .. لقد تسمّرت على الكرسى . تحرك ياسر فقيرى فى اتجاه معمل التحليل .. نهضت خلفه بمشقه اقتلعت مؤخرتى من المقعد .. وقفت خلفه على بعد خطوتين ارتجف وقلبى كطفل جائع .. انادى بنفس ايقاع الرفس على ربي .

مد له اخصائى المعمل ورقة الفحص من خلال شباك الزجاج الصغير وانحنى ليرى الرتبه العسكريه .

مبروك ياجنابو .. حامل .

شعرت باظلام تام ودوّار فظيع .. اسندت جسدى المرتعش على ساعده .. تقهقرت للوراء وكدت اسقط على ظهرى فامسك بى وبالكاد اوصلنى الى المقعد.. ارتميت فيه كالجثة .. احس بدوّار وغثيان .. ورغبه حقيقية ان اصرخ بأعلى صوتى .. الهواء ينعدم في رئتى .. اتنفس بصعوبه .. انهمر دمعي ثرّ من عينى .. عض على اضراسه بقوه وهمس لى بغضب كى امسح دموعى واكف عن البكاء .. راح يشكك فى مصداقية الطب وراجع نتيجه الفحص وهددنى باقتراحات مقززه .. كنت ممغوصة منه وتمنيت ان اصفعه على وجهه

انت عارف حامل يعنى شنو !!!!!؟

خلاص قفلى.
... لم اعد املك سوى دموعى فتركتها تسيل .
تركنى فى منزله وعاد الى عمله فى سلاح المهندسين .. بكيت حتى حافة الاعياء .. تذكرت رؤيا الحلم عندما كنت فى مدنى .. رحت اقارن مصيرى بمصير "سامية" جارتنا وفضيحتها التى يلوكها سكان الحي بكامله .. فكرت جاده فى الانتحار .. قررت ان اقوم بمحاولات اسقاط الحمل اولاً .. اخذت من الثلاجه اربع حبات (كلوروكين) وبلعتها بسرعه .. لقد سمعت انها تجهض الحمل .. جلست انتظر خلاصى بترقب .. وبعد ساعه نصفها بكاء والنصف الاخر ندم .. اخذت علبة الكبريت من المطبخ وجلست فى وسط الصالة امص فى اعواد الثقاب وامعط مادة البارود باسنانى وابتلعها بتقزز (سمعت "احسان يعقوب" تحكى عن صديقتها التى اجهضت بأكل الكبريت) اضع عيدان الكبريت على الطاوله بعد ان امصها جيدا .. وجدتنى لا شعورياً اصمم بهذه العيدان شكل هندسى لمنزل كبير مكون من عدة غرف وحوله حديقه واسعه رحت ابنى لها سياجاً .. فجاةً تذكرت ما بداخل احشائى فضربت الطاوله بعصبية وهديت المبنى الهندسى فوق راسى .. اشعر بالكآبه والغم .. دخلت المطبخ .. احسست اننى جائعه .. فتحت الثلاجه .. تراجعت عن الفكره .. ربما ساعدته على النمو .. وانا اريد ان اتخلص منه فى اسرع وقت .. ألعن "ياسرفقيري" بصوت مسموع .. لقد ذهب الى عمله ولم يعد يهمه امرى .. اتحرك بقلق واضطراب بين الغرفة والصالة .. نكهة التدخين اصبحت مقززه .. خرجت الى الحديقه .. رحت انط على الحبل واقفز وثبات عالية .. اسقط سقطات موجعه ومؤلمة .. رجعت الى الغرفه ألتقط انفاسى .. اتحسس بطنى .. اضرب عليها بقوه .. اشعر بمحاولاتى فاشله .. اعود الى البكاء دافنه راسى تحت المخده .. تمر بذهنى ردود

افعال اهلى والذين احبهم عندما يكتشفوا فضيحتى .. وفى مقدمتهم **خالد** عزالدين تخيلت ردة فعله عندما تصله اخبار الفضيحه .. سيشعر بالزهو ازاء هذا الانتقام الالهى .. سيحتقرنى اصدقاءه ويسخروا من جثة الخيانة الطافحة .. ازدادت غبينتى ولعنت نفسى بصوت عالى .. دعوت ربى ان يسترنى وينجنى من هذه الفضيحه .. تضرّعت اليه خانعه .. ونذرت له صوم سبع ايام متواصله .
جلست فى وسط السرير .. اترقب الفرج .. اتصفح بعض المجلات ابعثر بها ذهنى .. وجدت معظم المواضيع والمقالات تتحدث عن الحمل وخطورة الاجهاض ومضاعفاته .. ازدادت عصبيتى .. رميت بالمجلات بعيداً .. كأن احدهم دساها هنا عمداً .. تملكنى الخوف .. رحت افكر فى حلول اخرى . استبعدت فكرة زواجى من "ياسرفقيري" لنعبر دوامة الفضيحة .. لقد تحدثت معه سابقاً وحاصرته بمشاعرى وجسدى .. ولكنه دائماً يتملص وينزلق من طرحة زفافي . زواجه من "ايمان" واجب أسري وهناك مصالح مشتركة بين الاسرتين فانجازاتهما يجب ان لا تتسرب الى اوردة وجينات اخرى .. وهو يعلم انه زواج مصلحه ولكنه سعيدا بهذه الصفقة .
تذكرت صورة "ايمان" داخل الدولاب .. فتحته واخرجتها ثم نظرت لها وتأملتها .. مسحت ذرات الغبار من سطح بروازها .. شعرت بها ترمقنى باستفزاز وتسخر منى فقذفت بها حتى ارتطمت بالحائط و تناثر زجاجها مثل غضبى ثم اخرجت صورتها ومزقتها .. لقد اغاظتنى .. جلست على السجاد ابكى بألم .. بعد ذلك لملمت دموعى وحطام البرواز ورميت به داخل المخزن . رجعت افتش فى الحلول الاخرى بعيداً عنه .. فهو رغم شخصيته وبذلته العسكريه يبدو سلبياً فى مثل هذه المواقف .. وفى نهاية الامر الفضيحة ستدبغنى لوحدى رغم مشاركته فى صناعة تعليبها – وارجو ان لا يكون قد

ساهم فى تصديرها ـ اتصلت بزميلتى "احسان يعقوب" استقبلتنى بلهفه كعادتها ولم يخلى سلك التلفون من لوم واشواق .. جاوبت على اسئلتها باختصار .. ابحث عن مدخل مناسب .. اخبرتها ان لى صديقة عزيزة تدعى "ساميه" من ود مدنى تحمل فى احشائها طفل وتريد اجهاضه باسرع ما يمكن قبل ان ينفضح امرها .. واكدت لها انها لا تعرفها فهى زميله دراسه منذ ايام المرحله الثانوية وتسكن معى فى نفس الحي .. ونحن الان فى منزل عشيقها .
بسطت لى عملية الاجهاض وجعلتها لى هيّنه وسهله ولكن العثره تكمن فى المبلغ المطلوب .. وافقتُ عليه بلا تردد .. فهذا اقل مايمكن ان يشارك به "ياسر فقيري" .. وعدتها ان ازورها غداً فى الوكاله ومعى المبلغ المطلوب وتحدد لنا موعداً مع صاحبة الشأن ولا داعى لوجودها وهذه ضمن شروط "ساميه" بان لايراها احد غيري .. اعتذرت لها بسكل ودى لتبتلع كذبتي وانا اعلم جيداً ان ما يهمها فى الامر سمسرتها وعمولتها فقط .
رجعت اتحسس بطنى وألعن فى احشائى .. تذكرت ايام علاقتى بـ خالد عزالدين عندما كنت اخطط فى خيالى لزواجنا .. واحلم ببطنى تتكور متجاوزه حتى شهر العسل .. اتحسس طفلى الاول ينمو داخل بطنى .. امسك يد خالد عزالدين زوجى واضعها على بطنى ليشهد القسم على شقاوة طفلة .. ونضحك مع رفساته البهلوانية .. ينحنى ليلثمه داخل الرحم .. نهتم بصحتى من اجله .. اناديه باسمه قبل ان يولد .
اما الان فقد كرهته اصبح خطيئة يهددنى بفضيحة .. جعلنى اشعر بالشماتة تمد رأسها من باب الصاله وتختفى .. تمنيت لو انتنى قوه خارقه ونزعته من مشيمته وألقيت به بعيداً .. اطلاقاً لم يحسسنى بغريزة الامومة ـ اعتقد الان ان الامومة لها ظروفها المنطقية والعلنية ولا تخضع لقانون الصدفة ـ لم اعد اتعامل معه كطفلى .. بل كأداة جريمة احاول اخفاؤها واتستر عليها او كشئ قذر ابتلعته صدفة وعجزت ان اتقيأه .

ثلاث ايام بلياليها لم اذق فيها طعم النوم من شدة المغص .. انلوى **من** الالم .. احس بايادى خشنه تضفر فى مصارينى بالقوة .. اكتم صرختى .. اعصر بيدى فى حبل (العنقريب) .. قوتى خائره واتمنى الموت من **كل** قلبى . عفاف بت الدايه وقفت ممحنه امام عجزها التام فى اجهاضى .. انفر منها وامنعها من محاولاتها المتكرره لتوسيع فتحة رحمى .. لم اعد اطيق واستحمل رزمة الآلام التى صدعت ذهنى .. ارفسها برجلى واشتمها ترد على بقرصة على وركى وتزجرنى وتفلت فى الكلام .. امسك عداوتى من اجل خلاصى .. اعود واتمنى الموت كى استريح من هذا الألم .. اشم رائحة الفضيحة على عتبة الباب .. اناجى ربى واتضرّع بدموعى ليقف بجانبى اذكره بصيامى والقربان .
لقد وضعتنى عفاف بت الدايه فى احدى غرف منزلها الطينى .. استلقى على عنقريب حبل .. اعصر بيدى حباله الخشنه لاخفف الم المغص .. اجد قواى ممحوقه ومستهلكة .. امرّغ راسى وانكش شعرى .. احس بجفونى ذابله .. ابحلق فى عفاف بت الدايه .. تقف امامى بوجهها العابس وشفتها اللمياء .. تسندنى لكى اقف وتأمرنى ان اتحرك معها داخل الغرفه وندوّر حول العنقريب فى طقس مجوسى .
يا بت اقوى شويه عشان ينزل !!
ما قادره ... ألم فظيع ... آه يا امـي
ينهار جسدى واتكئ على كتفها فتعيدنى الى العنقريب وتهرب مخفيه رعبها عنى . وعندما شعرت بحالتى تسؤ وخافت على نفسها اتصلت بـ "ياسر فقيري" لتخلى مسؤليتها من هذه الجريمه . دخل معها فى نقاش حاد وهددها وتوعدها .. كنت اسمع انفعالاته وكلماته الجارحه لها وانا على حافة الاغماء مستلقيه على مقعد سيارته الخلفى ولم يعد يهمنى احد .

ذهب بى الى صديقه اخصائى نساء وولاده .. استقبلنا فى عيادته الخاصة بترحاب وبشاشه ويبدو ان بينهما صلة رحم او مصلحة مشتركة او شيئا من هذا القبيل .. كنت منهاره جلست فى اقرب كرسى لقد وجدنا معه مريضه لازال يباشر معها علاجها وارشاداته .. طلب لنا شاى وراح يسأل فى مريضته امامنا .. فهمت انها تشكو من حالات اجهاض مستمره .. تمنيت ان تبادلنى رحمها الان – فاطفال الخطيئة اكثر تمسكاً بالمشيمه كأنهم يريدون اثبات الجريمة على امهاتهم ليعترفنّ بهم – فهذا يبدو عليه لايريد ان يغادرنى قبل ان يعاقبنى على جريمتى .. رغم ألم المغص المتواصل ..سرحت مع هذه المرأة نقيضى وتعاطفت معها .. جاءت تبحث عن علاج يمنع اجهاضها وانا عكسها افتش عن اجهاضى .. ليتنى استطيع ان ابادلها .

بعد خروج المريضه مباشرةً إلتفت لى الطبيب ودخل معى فى اسئلة عن الاجهاض وماذا فعلت لي القابلة .. إلتفت مفزوعة الى "ياسر فقيري" لاستنجد به .. وفهمت سريعاً ان صديقه الطبيب لديه معلومات عن حالتى قبل ان نأتى إليه .. فرددت على اسئلته باستحياء وخجل ثم فحصنى جيدا خلف الستار واخبرنى ان عملية الاجهاض تمت ولكنى احتاج الى نظافة رحم مستعجله .

انتظرناه امام عيادته الخاصة حتى انهى مقابلاته مع زبائنه المرضى وذهب معنا الى المستشفى الذى يعمل فيه كأخصائى نساء وولاده .. كنت مستلقيه على المقعد الخلفى للسياره وقد اصبح المغص جزءاً منى .. تعودت عليه حتى خفت حدته – زمن الألم يتناقص مع تكرار الألم – ولكن اهتزاز السياره فى بعض الشوارع كانت تعيده لى فأكتم صرختى .. اتابع حواريهما غصباً عنى .. كانت تغيظنى الضحكة فـ "ياسر فقيري" دوما مرح مع اصدقاءه وهم كالعاده يستلفون منه ضحكاتهم ..

حوارهما معظمه مشفر بمصطلحات كرة القدم .. خمنت ان بينهما مغامرات نسائيه مستتره .

عندما وصلنا المستشفى كان الوقت متأخر وجاءنى احساس القريه .. هدوء كامل وصمت مطبق .. اسندت جسدى المتهالك على كتف "ياسرفقيري" والطبيب يهمس لى متوتراً ببعض التعليمات .. رجونى ان امثل اننى متزوجه ولا بد لي ان اظهر امام الممرضات والطبيب المناوب كزوجة "ياسر فقيري" وقد داهمنى اجهاض مفاجئ – رغم اننى كنت احلم ان اصبح زوجة "ياسر فقيري" وعشت هذا الاحساس فى احلام يقظتى إلا اننى لم اعجب بدورى فى هذه المسرحيه – حفظنى قصه ارويها للطبيب المناوب .. جعلنى اخاف ان يفتضح امرى .. توقعت ان الممرضات هنّ من سيكتشفن امرى وخاصةً اننى لا املك اثار حنه على أقدامى وهى ابسط مقومات المرأه المتزوجه .

جلست على كرسى داخل مكتب الطبيب المناوب وظل "ياسر فقيري" متكىء بظهره على حائط المكتب وكاتم على انفاسه بترقب .. انسلق ذهنه بصعوبه .. هل هو حزين من اجلى ؟ ومندمجاً بكل احساسه معى!! ام انه متوتر ومضطرب لمغامرته بمهنة صديقه !! يبدو لى انه انسجم مع شخصية الزوج الذى اجهضت بذرته الاولى .. ورغم ذلك لم يتخلَ عن خروجه من النص ليمازح الطبيب المناوب .

الخوف خفف عنى ألم المغص وخاصة عندما سمعت ان غرفة العمليات جاهزه .. هذه المره الاولى التى ادخل فيها غرفة عمليات .. اضطربت ومرت بذهنى صورت خالتى "سعاد" التى توفت اثناء العملية .. شعرت ببروده خفيفه تسرى على جسدى .. وضعت كفى البارده على يد "ياسرفقيري" وتحركنا خلف صديقه الطبيب صامتين .. اجتزنا ظلام قصير وشاحب .. انامل ترتعش .. قلبى يهضرب .. ارغب فى التبول .. وصلنا باب غرفة العمليات .. انسحبت يده من كفى .. دفعنى الطبيب

برفق الى الداخل .. سحبتنى احدى الممرضات الى غرفه صغيره وطلبت منى أن اخلع كل ملابسى واكسسواراتى ثم اتلفح بملايه خضراء .. ساعدتنى فى مهمتى وحقنتنى باسئلة نسائية وقحة .. انتقدت حذائى العالى وخمنت بذكائها المناسب انه سبب اجهاضى ثم حذرتنى ان لا ألبس هذا النوع من الاحذيه اثناء حملى القادم .. ظللت اجاوب على اسئلتها محافظه على شخصية الزوجه المهمله . خطوت خلفها متدثره بالملايه الخضراء لاجد ثلاث ممرضات مكتنزات ويبدو عليهنّ الغباء واخصائى التخدير والطبيب المناوب ملتفون حول طاوله مرتفعه ينتظرون وجبتهم الدسمه .. عرفنى بهم الاخصائى ليزيل عنى اضطرابى وخوفى

لا ادرى كم مره من الوقت وانا نائمه .. استيقظت بحركة "ياسر فقيري" داخل غرفته .. حاولت ان اتذكر .. وجدتنى مستلقيه على سريره ولازلت نعسانه وجسدى مرضرض وفاتر .. اشعر بالمغص طفيف .. كأنه يأتى من مكان بعيد أو كأنه لا يخصنى .. فتحت عيناى بصعوبه فابتسم لى وجلس يحكى لى بعد خروجى من العمليه .. يسرد فضائحى وتداعيات البنج .. حكى عن رعبى وخوفى وراح ينتقى التفاصيل المضحكة وكيف نكرت صلتى به امام الممرضات .. ضحكت معه بمشقه .. ضمانى الى صدره وقبلنى على وجهى .. كنت سعيده باحساسه وجائعه ونعسانه فى نفس اللحظه .. اشعر بالفتر فى كل مفاصلى .. جلب لى سندوشات والمخلل الذى احبه وراح يطعمنى فى فمى .. ولكن النعاس كان يغلبنى .. لم اعد قادره على تحريك فكى .. فترجيته ان يتركنى اواصل نومى .. ألح علي ومازحنى .. حفزنى على الاكل بالقوة .. عادت له شخصيته المرحة وراح يستهتر بعملية الاجهاض وحولها الى دراما كوميديه ومثل احدى شخصياتها .. وتعامل معى كزوجه انجبت طفلها قبل قليل خيرنى بين شوربة الحمام !! او (مديدة الحلبه) !! وراح يحضنى كى اتماسك واقوى

نفسى لكى ارضع طفلى .. ووضع المسند بالقرب منى وأكد **لى انه** يشبهنى .. زاد لى ألمى من شدة الضحك .. توسلته ان يتركنى او **اصل** نومى .. قبلنى واغلق خلفه الباب .

لازلت احتفظ بابتسامتى التى تركها على وجهى .. رحت اهدئ فى **ألم** المغص واتخيلنى لو لم اجهض طفلى وهربت به داخل احشائى .. اركب قطاراً لا ادرى الى اين يتجه .. احلم فى ان انجب طفلى بعيداً عن "ياسر فقيري" واهلى .. يصل بى القطار الى اخر محطاته .. وجدتها مدينه (نيالا) لا اعرف فيها احد ترجلت من القطار واتجهت صوب الجبل القريب من محطة القطار .. مررت بقريه صغيره بيوتها من الحصير ومتفرقه حول الجبل ومشتته كافكارى .. اعيانى الجوع واتعبنى المشي .. اجلس حزينه على حجر .. تقترب منى إمرأه عجوز .. تكتشف اننى غريبه عن القريه ثم تدعونى الى بيتها .. تقدم لى وجبة ساخنه من الدخن والسمن اشرب بعدها حليب غنم وانام . اظل اعيش معها واحكى لها قصتى .. تتعاطف معى .. اساعدها فى اعمال الزراعه .. بطنى تنتفخ وتكبر اتلذذ برفسات طفلى داخل بطنى وغير عابئه بما يحدث خلفى **فى** مدنى .. انجب طفلى فى بيتها وتغمرنى بحنانها الدافئ وتساعدنى **على** تربيته .. اقوم باعمال المنزل واحلب الغنم .. اتعود على حياة **القريه** وأدمنها .. طفلى يترعرع بيننا .. اخبره ان والده قد توفى .. يكبر **وارى** فيه ملامح "ياسرفقيري" ويرث منى رموشى .. اتركه يواصل تعليمه .. احلم به يكبر فى لحظات ويسافر الى الجامعه .. يأتى لزيارتنا فى العطل والاعياد .. يحكى لي فى ضوء القمر عن الخرطوم .. يعشق احدى زميلاته فتاة جميله وغنيه تغرم به وتبادله نفس الاحساس .. تأتى **معه** لزيارتنا فى احدى الاجازات .. تدهشها حياتنا الطبيعيه .. تعجبها القريه ومنازل الحصير .. يخبرنى ابنى انهما يخططان للزواج بعد التخرج ..

اسألها عن اصلها وقبيلتها واسمها اتفاجأ أنها إبنة "ياسر فقيري" من زوجته "ايمان" لا ادرى كيف ساقول لابنى انها شقيقته .
لا ادرى ماذا تخيلت بعد ذلك .. لقد انتصر على النعاس وغفوت .. بعدها ساحكى لـ "ياسر فقيري" عن خيالى الجامح وسيضحك معى وانا اعلم انه كان يضحك من سذاجتى .
عندما رجعت الى مدنى شهقت امى لحظة ان رأتنى .. جسدى منتحل وعيناى غائرتان داخل محجريهما .. لونى شاحب وشفتى يابسه .. احتضنتنى وهى تبكى وتسألنى بين الدموع .. اخبرتها اننى كنت مصابه بالملاريا واتضح فيما بعد انه مرض التيفويد .. لقد اكّدت على كذبتى وروت لى انها شاهدتنى خلال هذا الاسبوع اكثر من مره فى رؤيا منامها : وانا محبوسه داخل غرفة انعاش وقد منعوها من زيارتى .

عهد الكتابة

رائحة الكأس الاخير ـ طعم الرصاصة

(ت)

جاء خالد عزالدين الى اسمره ليحارب حكومه بكاملها وينتصر عليها .. يحلم انه "جيفارا" الافريقى وتسقط على يده الخرطوم . ولكنه وجد نفسه يحمل بندقية ويقف حارساً لاحد الاسرى داخل مستشفى اسمره .. يجلس على كرسى الخشب .. يشعر بالملل .. يتحرك نحو باب الصالة .. يقف ليدخن سجارته ويتأمل مفاتن الممرضات .. وعندما يشعر بذكورته ترفع سلاحها الاوحد يعود سريعاً الى كرسيه ويفلّى فى ضجره .. يراقب طبيب وممرضه حسناء يقفان فى نهاية الصالة .. يتخيل ان بينهما علاقة حب .. يسرح فى سيناريو الحوار .. يتخيل مفردات الغزل معتمداً فى

لغته على ثنايتنا السابقة ايام وهج علاقتنا فى جامعة الخرطوم .. يشعر بملامحه تزداد قساوة وهو مسافر داخل ذاكرته بقطار ندم محطات توقفه ملأى بسحنات الغضب واحلام الباعة المؤجلة للابد .
هل يترك هذه الحماقه وينصرف !! يضع لهم بندقيتهم على كرسى الخشب ويذهب الى المطار !! شعر بأراءه تنحرف فى اتجاه الردّه والتجديف .. داهمه حنين للخضره الهولنديه الشاسعه .. اقتنع بان حظه فى الانتصار ضاع وتفرق بين القبائل والاصدقاء .. نكهة الهزيمة تبدا عندما يهطل التخاذل فى مكاناً ما .. لحظة نشم رائحة الحزن وهو يبتل بالماء النحيب .. ومن العبث ان نتفاعل فى تلك اللحظة _ (بداية الهزيمة نهاية الجريمه) .
وقفت امامه ممرضة خلاسيه عيناها واسعتان .. عرفته بنفسها متحدثه انجليزيه سلسه .. فهم انها تنوى نقل المريض الاسير الى العنبر رقم (٦) فكر ان يتصل بمكتب التجمع الديمقراطى ويخبرهم بهذه التطورات وينتظر التعليمات .. ولكنه سريعاً ما سلخ الفكره عن ذهنه عندما شعر بسذاجتها . وافق على قرار الممرضه (سمراويت) وساعدها فى نقل الاسير ذو الشعر الكثيف الى غرفته الجديده .. وراح يتلصص على صدرها الذى ينقز مع خطواتها .. عاونها فى تحويل الاسير النائم الى سريره الجديد وراح يتأمل فى وجهه المنتفخ وعينيه المغمضتين .. تذكر ملامحه الحزينه عندما كان يراقبه داخل معسكر الاسرى .. واحساسه بكآبته .. ولماذا كان متعاطفاً معه !! حتى تلك الليلة التى انهار فيها وراح يصرخ ويمرّغ جسده فى التراب .. ترجم احساسه السابق وعاطفته وأوّلها على انها مجرد تداعيات مسبقة لهذا اللقاء الذى جمع بينهما فى غرفه واحده داخل مستشفى للامراض النفسية .

عاين خالد عزالدين الغرفة جيداً واطمأن على قوة سياج النافذه الحديدى ثم تاكد من الحمام المرفق بالغرفة ثم وضع اشياءه الخاصه تحت سرير المرافق وخرج ليجلس على كرسيه يمارس انتظاره وينتف عن ذهنه الاحباط .. شعر بهذا العنبر افضل نوعاً ما ويقابل الكافيتريا مباشرةً ويمكن له المراقبة اثناء الاكل .

درجة الحرارة فى الخارج منخفضة والطقس يزيد من كابته .. السماء تمخضت .. سحبٌ دانيه وترعف باستمرار .. شعر بالمغارب تعجل بنفسها وتداهمه بلا صديق او حبيبه .. تدفع به نحو منحدر التيه والحيره .. يتكى على بندقيته .. تسقط من عينه دمعه حاره .. لم يعد مجديا ان يغامر بإحساسه .. حتى شتلة "جيفارا" اصبحت كنبات الظل وزابلة بعض اوراقها .

دخل الى الغرفة فى وقت متاخر من الليل يجرجر احزانه ويشعر بكآبة المراهقه عندما تستيقظ من نومة بعد الظهيره وتخجلها هيرموناتها .. دخل بهدوء لم يسمع سوى انفاس الاسير .. تمدد على سريره بملابسه العسكرية معانقاً سلاحه وقد اصبح ممتعضاً من هذا الاسير ذو الشعر الكثيف لقد تسبب فى ابعاده عن المعركة .. فكان يعتقد ان وجوده بمنطقة الميدان ستجعله اقرب الى هدفه .. يتوقع فى اى لحظة ان يستدعونه للمشاركه فى المعركه الحاسمه كما وعده احد الضباط .. وهاهو ذو الشعر الكثيف يتسبب فى حسرة "جيفارا" بداخله ويعطل طموحاته .

احس بإخفاقة تباغته فجفل بسرع والتفت الى الاسير النائم .. تحرك ببطء واغلق باب الغرفة من الداخل ثم خلع حذاءه العسكرى ووضع بندقيته تحت المخده واستلقى على ظهره وراح يتخيل مصيره اذا هرب هذا الاسير !! وماذا عليه ان يفعل ازاء تلك المصيبه !! ولكنه نام قبل ان يبتكر خياله قصة الهرب .

استيقظ فى الصباح على صوت الممرضة "سمراويت" وهى تتحدث مع الاسير وتساعده على تناول بعض الادويه .. نهض مفزوعاً وبحلق فيهما بدهشه .. حياه الاسير تحية الصباح واردفتها الممرضه , رد على التحيه كأنه يرد على سؤال لم يكن راضياً عن نفسه, هل يعقل ان يستيقظ الحارس بعد السجين !! تحرك نحو الحمام ليغسل وجهه المكفهر ولكنه رجع سريعا قبل ان يغلق باب الحمام واخذ بندقيته وإلتفت ليرى ردة فعل الاسير على فِهرس علاقتهما .. وجده مبتسم بخبث ومتكئ على كتف الممرضة ليأخذ دوائه .

عندما خرج من الحمام وراح ينفض فى نعاسه من ملابسه العسكريه وجد الاسير لوحده فالممرضة اكملت مهمتها وخرجت . إلتقت عينيهما صدفة فتشاغل كلٌ منهما بأشياء خاصة ولكنها ليست ذات اهميه بقدر ما هى محاولات هروب .. الاسير راح يطلع على اوراق التقرير الطبى والفحوصات .. خالد عزالدين راح يزيل بقع الماء من اطراف بندقيته ويتحسسها ليشعر بجبروته وقوته .. نفس الاحساس الذى جاءه عندما ارتدى قناع مخيف على وجهه . جلس على السرير فى مواجه الاسير مواصلاً تلميع سلاحه ليرضى غروره ويرعب عدوه .. تأمل جزءاً من وجه الاسير المختفى خلف اوراق التقرير الطبى .. فاطلق عليه اول رصاصة استفزازيه

- بتفهم كمان فى الطب !!؟

دون ان يبعد الاوراق عن وجهه .. وبدا طبيعياً ومختلفاً عما كان عليه سابقاً

- احياناً !!
- هل انت حزين لانك اسير ؟؟
- ربما .
- اكيد كنت ترغب فى الشهادة لتتزوج احدى حسْناوات الحور .
- لا تكن انصرافى .. هذه مواضيع خلاف هامشيه .

اغتاظ خالد عزالدين منه وهاجمه فى سره بألفاظ بذيئه .. وانفعل ليمد انفاس النقاش

- بل جوهريه !! والساده الذين دفعوا بك الى هذه الحرب كل خرائطهم وخططهم الحربيه موجه بأجنده إلهيه .
- ربما تكون على صواب .. ولكننى جئت لهذه الحرب بدافع شخصى .. جئت برغبه دنيئة كى استقبل الموت فى دهاليز الروح .

احس خالد عزالدين بلغة الاسير المختلفه .. وربما يكون يسارى منافق ومنتفع .. فكر فى ان يستدرجه فى النقاش ليتلصص على ذهنه

- انهم يدقون اجراس المزاد على ارواحكم !! كان بإمكانك ان تنتحر بوسائل اخرى !!
- من حقك ان تقترح ماذا ينقش على شاهد قبرى .. ولكنك لا تستطيع ان تختار لى طريقة موتى !!
- انا متيقن ومقتنع تماماً ان موتاكم ليسو بشهداء .. انهم مجرد حمقى لا غير .
- اخلاقياً لا تستطيع ان تدين احداً يقدم روحه من اجل قضيه مؤمن بها مهما كانت عداوتك به .. لا يمكن ان تبخس له اغلى شئ يمتلكه .

شعر خالد عزالدين بطعنه حاده فى صدره .. احس به مختلفاً عن كوادر اعداءه الذين حاورهم فى اركان النقاش ايام جامعة الخرطوم . كان ينتظر منه فلسفه ميكافيلية ليدحضها له فى الحال .. راهن على انه يريد ان يتملص عن مبادئه الحزبيه بعد اسره ليرتدى وطنيه او استقلاليه تبدو ضيقه عليه ولا تتناسب مع ذوقه . طرأت عليه فكرة ان يشنف لهذا الاسير الاهلب ايدلوجيته مستخدماً عصب منطقها نفسه .

- ولا تلقوا بأنفسكم الى التهلكه

- يبدو لى انك غير حريص حتى على اسقاط حكومتنا .

انفعل وضرب مؤخرة البندقية على الارض بقوة

- ولكنى حريصٌ على اسرك !!

لم يعلق ذو الشعر الكثيف .. اكتفى بمراقبة سقف الغرفه .. كان خالد عزالدين رماه بسكاته فصمت . لم يشعر بحالة الاسر إلا عندما نطق بها حارسه .. داهمته رائحه الكآبه والغم .. عادت له نكهة اليتم والوحده .. ثنى ركبتيه وراح يهزهما فى قلق .. شعر بالحزن يكبس على نفسه .. لا احد لديه فى هذا الكون !! ولا يطمع ان يكون قد تسكع فى خيال احد .. حتى "اياد العراقي" اخر صديق له لن يهتم بما حدث له أو ما قد يحدث .. والدته وحدها هى التى كانت تتذكره قبل ان يخطفها الموت وقد اخبره احد اقربائه انها كانت تنادى باسمه لحظة خروج الروح .. شعر بخطواته تمشى على حافة الفاجعة .. كان يتخيل انه قد تغلب على وحدته وانسلخ عن احزانه .. ويستطيع ان يتعود على فكرة غيابه فى ذاكرة الاخرين .. وهاهو حارسه خالد عزالدين يفجعه بوحدته ويذكره بحالة اسره وخذلانه حتى على مستوى الموت .. سرح مع فكرة موته المتوقع والحد الادنى لاحزان المقربين منه .. ولم ترضه اجتهادات خياله .. وحزنهم عليه لم يشبع غروره الميت . تراجع عن فكرة موته القادم .. راح يضفر فى كآبته .. اختلجت عينيه واضطربت .. سألت على خده الايسر دمعه وسريعاً ما اخفاها عن حارسه .. شاهد اخرين ينتظرون دورهم فى دهاليز ذاكرته .. نهض من السرير وهز راسه ليحتّهم من ذهنه ثم تحرك نحو الحمام معلناً اضراب عام عن مشاعره .. ولعن فى سره الحكومة التى جاءت به الى هنا وحارسه خالد عزالدين ومعمر القذافى ايضاً .

تبوّل وغسل وجهه الحزين ثم عاد الى سريره بخطوات لاتتناسب دواخله .. جلس ازاء حارسه والتقت الاعين الاربعه فى سانحه غير جريئه ثم

تبعثرت فى ارجاء الغرفه . رجع خالد عزالدين الى رتابته يدندن رتم حزين بمؤخرة بندقيته على بلاط الغرفه .. حزّت فى نفسه كآبة الاسير .. شعر بانه نادم على هذا النقاش لقد اهتزت بداخله خصلة مغارب حزينه .. وهاهو ذو الشعر الكثيف ينكفى على الامه .. ربما يكون قد ضاعف له سقمه .. فكر فى ان يكون ملتزما بمعاهدة الاسرى الدولية ولا يدخل معه فى نقاشات استفزازية .

دخلت الممرضة سمراويت بصدرها الوثاب .. تحمل وجبة الاسير الاهلب والادويه .. تركهما خالد عزالدين وانسحب الى كرسى الحراسة وراح يفسّخ فى عداوته بهذا الاسير .

فى ظهيرة اليوم الثالث .. كانت درجة الحرارة منخفضة فى الخارج والسحب فى انتحارها اليومى .. عاد خالد عزالدين من كفتريا المستشفى يحمل معه سندوتشات فجلس على السرير وسحب الطاولة لتصبح بينه وبين الاسير .. كأنما بينهما مباراة شطرنج حاسمه .. وضع السندوتشات على الطاوله ودعى الاسير ليشاركه الاكل ولكنه فجاةً لمح رصاصة فى يد الاسير يغازلها بانامله .. فإلتفت مباشرة الى سلاحه وقبل ان تخطر على باله اى تكهنات سيئه اخبره الاسير انها سقطت من سلاحه هذا الصباح اثناء عملية الفك والتركيب .. ثم وضعها على الطاولة كجندى لعبة الشطرنج وحسم المباراة لصالحه .

كانت نقطة انطلاق لحوار مختلف وبعيدا عن السياسة والاسئلة الشخصية .. نقاش من النوعية الفضفاضة التى تستوعب كل الاراء .. وبعد الوجبه المشتركه استلقى خالد عزالدين على سريره وعلى ساعده الايسر تنام بندقيته .. يراقب السقف بلا معنى .. تدور فى ذهنه معركه حاسمه وينتصر .. يتمنى ان تتحسن حالة الاسير لكى يعود الى الميدان . دخلت عليهما ممرضه رشيقه وخفيفه فى مشيتها .. رموشها لا تحصى ولا تعد

.. حيتهما بوجناتها ثم وضعت بعض الاشياء داخل دولاب الغرفة .. راحا يراقبانها فى صمت حتى خرجت واغلقت الباب خلفها .. رجع خالد عزالدين ينظر الى السقف ويتذكرنى .. فرموش هذه الممرضة ونوناتها جعلتاه يستحلبنى من ذاكرته .. وطرأت فى ذهنه تلك الليلة نصف القمرية التى قضيناها فى حديقة منزل صديقه "ياسرفقيري" وكيف كان يمسك بيدى البارده ويدفئ لي اطرافى .. جعلته يتحسس انفى المثلج .. وانفجرت بيننا ضحكه عندما شبهها بانف الكلب من شدة برودتها .. ابتسم عندما تذكر تلك الضحكة ولكنه سريعاً ما نهض زافراً غضبه عندما تخيل علاقتى بصديقه "ياسر فقيري" .. شعر بالضجر رغم انه علم بنهاية تلك العلاقة ووصلته شائعات فى امستردام تؤكد له اننى بعد فشل علاقتى بصديقه اصبح مكياجى مزمن وانسى اكسسواراتى الفضية داخل السيارات المظللة .

شعر الاسير ان حارسه غاضب من شيئ ما فراح يؤازره بقصاصات شفهيه .. فمنذ اللحظة التى وضع فيها الاسير الرصاصة على الطاوله واخبره انها سقطت من سلاحه تعدل مزاجيهما ونشأ بينهما ود متحفز .

لقد لاحظ خالد عزالدين ان هناك فرص كثيره تهيأت للاسير لكى يهرب ولكنه لم يفعلها مما جعل الحراسه تنتفى وتزول .. ويصبحان اشبه بمريض ومرافق .. حتى البندقيه اتكأت على ركن الغرفه حزينه على هذا السلام المفاجئ وفى اعتقادها ان تلك الرصاصة التى سقطت منها وشت بها وافشلت عليها خطتها .

فى نهاية الاسبوع الاول لاحظ خالد عزالدين اهتمام الممرضة "سمراويت" بالاسير وترددها المتكرر على غرفته ولكنه لم يسرح كثيرا خلف ملاحظاته بل توقف عند اول نتيجه اصطدمت باسئلته . لم يخطر على باله ان الخلاسيه الحسناء ذات العيون النجلاء والارداف المكوّره قد

عشقت جسد الاسير وفتنتها قامته الطويله وشعره الكثيف .. ولكنها استطاعت ان تخفى مشاعرها وراء واجبها الانسانى .. فحتى بعد ان عادت له عافيته ظلت تسنده على صدرها المتعجرف وتسقيه الدواء بيدها وتطعمه .. تراقبه بشبق سرى .. تتلصص على شفته السفلى وشعر صدره .. ولانه لم يكن من المعجبين بفكرة الاكل فسريعاً ما يهدم لها احلام يقظتها ويدعى الارهاق والتعب .. يتهرب من انوثتها ويتصدى لها .. وكانت تزداد اعجاباً به وتلاحقه حتى فى احلامه .

لم يشك خالد عزالدين فى مشاعرها .. وعندما تأتى بالوجبه والدواء يتركهما ويجلس على كرسيه امام باب الغرفه يغازل بندقيته .. وحتى بعد ان توطدت علاقته بالاسير بعد حادثة تلك الرصاصة واصبح يأكلان وجباتهما سوياً .. كانت "سمراويت" تقتحم ثنائيتهما وتأتى باكل مستورد من منزلها لتشاركهما الوجبه واحيانا تفتعل الغضب عندما يرفض الاسير ان ياكل من يدها .. وبذكاءها الانثوى كانت تميّله على كتفها وتطعمه فيخفى حرجه من سجانه الصديق الذى لم يشك مطلقاً فى احساسها وترجم سلوكها فى خانة واجبها الانسانى نحو مريضها النفسى .

ولكن فى الاسبوع الثانى بدأت بين الاسير و"سمراويت" حوارات سريه تتوقف عندما يدخل خالد عزالدين مما جعله يجفل ويخمن ان هناك مؤامره ضده فرجع يحمل بندقيته مره اخرى وتبتسم الذخيرة بتشفى .. واظب على حراسته وشددها .. شعر بأنه كان غشيم وقد اسرف فى وده .

واصبح يراقبهما عن كثب ويشك فى تصرفاتهما وحتى عندما تطول جلسة "سمراويت" داخل الغرفة يدخل عليهما بلا نحنحه او إستئذان فيجد المشهد عباره عن مريض وممرضه ولكن الحوار توقف فجاةً مع دخوله .. بدا يرى بذور الغدر فى عينيهما .. ولى مهوساً من فكرة المؤامره .. زعم انهما سيحيكان قميص الغدر على مقاسه .. ازدادت شكوكه .. بات

يكره "سمراويت" ولا يثق فيها واساساً ثقته اصبحت ممحوقه فى المرأه بعد ان ارتبطتُ بصديقه "ياسر فقيري" فى علاقه فاشله .. اصبحت ثقته معدومه .. ويشك حتى فى ظله ويشتبه فيه .. احياناً يتهمه بانه لم يعد يقلده فى حركاته . ازداد هوسه وبداء يحاول ان ينبش فى خطتهما المطموره .. راح يعاين الغرفه مره اخرى ويتاكد من سياج النافذه .. انفصل بوجبته فى كرسى الحراسه واسرف فى غضبه حدّ الكآبة .. شعر بانه يرمي فى بذور حزنه تحت اقدامه وفى الصباح يجدها تنمو كآبة متشابكه .. ظل يداوم على كرسى الحراسه ومله .. يحسب الايام بتراكم الاوساخ على جسده .. يفكر فى المؤامرة التى تحاك خلفه .. يلهث وراءها . عندما تدخل "سمراويت" الغرفه يدخل خلفها مباشرة .. يراقبها حتى تنتهى من مهمتها .. شعر بانفاسه تتلاحق وخوفه يزداد من هذا الاسير وممرضته الخاصه .. توترت علاقته بهما حتى الحوارات الهامشية واسئلة الطقس اختفت وحلت مكانها نظرات استفزازيه .. رفض خالد عزالدين ان يرد على اسئلة الاسير ذو الشعر الكثيف.. وامتنع عن فتح اى خطوط تفاهم جديده .. بل تذمر ولام نفسه على التعامل السابق .

اما الاسير ذو الشعر الكثيف فقد ظن ان حارسه يعشق سمراويت وعندما لم تنحاز اليه ابدى امتعاضه ورجع لعداوته ـ عندما تعشق امرأة ولا تهتم بك .. حتما ستجد امرأة اخرى تعشقك ولكن انت لا تحبها .. معادلة صعبه رغم تكرارها ـ لم يجد الاسير فرصه لينفى خصوصيته بها .. فهى لا تهمه فى حد ذاتها بقدر ما كانت تهمه خطته التى رسمها معها ويرغب فى تنفيذها ربما اعادت له توازنه .. فهو مصنف حسب التحاليل الطبيه ذو انفصام فى الشخصية ويرغب فى الانحياز الى الشخصية الاقوى بداخله .

(ث)

لقد بدأ لى هذا الاسير الذى التقاه خالد عزالدين فى اسمره .. شخصية اسطوريه .. وكنت متشوقه لاعرف ماذا حدث له !؟ وهل هرب ؟ وما الذى حدث بينه وبين الممرضه ؟؟ .

فبعد ان نام زوجى واطمأنيت على ابنى خالد فى غرفته .. دخلت المطبخ وصنعت لنفسى فنجان قهوه وذهبت الى الصالة واستلقيت على الكنبه السوداء واضعه راسى على حافتها بعد ان اشعلت الاباجوره الكبيره ورحت اقلب فى صفحات مفكرة خالد عزالدين واقرأ بشغف لكى اعرف مصير هذا الاسير .

{ : رأيت سمراويت تدخل غرفة الممرضات مرتديه بنطلون جنز ضيق وبلوزه قصيره من الحرير الاحمر .. اعلم ان اليوم يصادف عطلتها الاسبوعية فما الذى جاء بها فى هذا اليوم ؟؟ اراهن انها جاءت لتغدر بى .. ان كيدهنّ لعظيم .. ولكنها لن تجدنى غافلاً كما تتوقع .

كان الوقت شاحباً .. الشمس ودعت سماء اسمره منذ قليل بعد ان طعنت غدراً وتناثر دمُها على الافق .. كنت جالساً على كرسى الحراسة ممسكاً بسلاحى وابعزق فى افكارى بلا معنى .. اتأمل هزيمة المحارب واللون الهارب .. انتف فى كآبتى بلا جدوى .. شاهدت سمراويت تخرج من غرفة الممرضات وتتجه صوبى .. تضع على ثغرها ابتسامه رنانه .. داخل بلوزتها ينقز صدرها فى مرح .. حيّتنى ثم دلفت الى غرفة الاسير .. رددت عليها التحيه باشمئزاز مهيئاً الطريق لغضب واقف على اشارة مرور .. راقبت مؤخرتها التى اصبحت اكثر تكوّراً واغراء .. رغم ذلك بصقت خلفها اساءات بزيئة لم يسمعها احد غيرى تذكرت فجاةً انها عندما دخلت الغرفه كانت تحمل شيئاً ملفوف داخل جريده .. اقشعر بدنى .. نهضت مفزوعاً ودخلت خلفها قبل ان تكتمل دائرة تخميناتى .. وجدتهما يضحكان والغرفه عابقة برائحة الشماته .. او ربما هوسي هو

الذى صور لى ذلك .. تقدمت خطوات نحو سريرى .. بعد ان كتّما ضحكتيهما .. رحت ابحلق فيهما واكبل فى غضبى .. تفرعنت عليهما بسلاحى .. نظرت الى الشئ الملفوف داخل جريده لقد وضعه الاسير على يمينه .. جلستُ اراقبهما بتوجس استأذنته سمراويت ووعدته ان تعود اليه بعد قليل .. خرجت خلفها اجرجر معى سلاحى والغبينه .

رجعت اجلس على كرسى الحراسه وافشّل فى ذهنى كل محاولات سمراويت واندد بفضيحتها اذا استدعى الامر ذلك . غضبى ينحنى بزاويه حاده نحو الحقد .. ثم اعود كى انتقد تربيتى واخلاقياتى السودانيه وعدم صرامتى مع هذا الاسير الاهلب لقد جعلتُ الامور تفلت من يدى .. كان من الاجدر بى ان اهد كل جسور الود منذ البداية فهو فى النهاية عدو واسير وانا حارسه فلم يكن هنالك داعى لكى اتعاطف معه واربى صداقتى به .. وحتى لو صبأ وتبرأ من حكومته .. فلا يجب ان اثق به..

فانا افهم جيداً اخلاقياتهم .. لهم تبريرات حتى لسلوكهم المشين .

الطقس فى الصالة اصبح بارد ورغم ذلك فضلت الجلوس هنا حتى لا اصطدم به .. اصبحت اكرهه ولا ارغب فى رؤيته . جاءت سمراويت مر ه اخرى تحمل كيس به اشياء ملفوفه .. جعلت خوفى يتشبث بالذخيرة .. دلفت وراءها مباشرةً قبل ان يرتديان ملابس الغدر والخيانه .. جلست بالقرب منه .. وظللت انا واقفاً ومتحفزاً .. انتظر بداية المعركه .. اشعر بجيفارا يترك الاحراش والغابات ويتحول الى جندى يحارب اعداءه داخل غرفة صغيره .. لا صوت سوى انفاسنا .. ثلاثتنا نتبادل النظرات فى صمت وترقب . انفجرت منه ضحكه اغاظتنى وضغطت على اسنانى بقوة .. ثم اختلطت ضحكته بكحه حاده وبعد ان جمع انفاسه تحدث معى بنبره محايده :

اليوم يا صديقى الحارس يصادف عيد ميلادى وسمراويت تكرمت واحضرت لى هذه لنشربها وارجو ان تكون ثالثنا .

واخرج من الكيس زجاجة ويسكى هدم بها كل طموحاتى العدائيه اصبحت مندهشاً من هذا الاسير الذى ارتد عن ايدلوجيته فى وضح النهار هل يا ترى فعلاً مجنون !! ولكن حواراته وسلوكه لا يدلان على ذلك !! ربما خطتهما فى تضليلى تبدأ الان !! قررت ان اكون مستيقظاً لكل احتمالات هروبه وغدره .. ابتدأ الاحتفال .. شعرت باعصابى تهدأ قليلاً .. جلست على حافة السرير .. استند على بندقيتى واراقب سمراويت التى اخرجت شمعه من الكيس ووضعتها على الطاوله واشعلتها ثم وضعت حولها ثلاث كأسات فى شكل مثلث وفتحت حافظه صغيره اخرجت منها مكعبات ثلج ووضعت منها على الكأسات ولقد وزعتها بالتساوى .. كنا نراقبها بمتعه قررت بينى وبين نفسى ان لا اشرب معهما هل يعقل ان تكون كل هذه السريه والخطط التى رسمت خلفى فقط من اجل هذا الاحتفال وزجاجة الويسكى !! تركت الامور تسير كما هى عليه وحتماً ساكتشف ملعوبهما وساكون قاسياً اذا بدرت منهما اى محاولة غدر .

انتبهت لها تخرج شيئا من شنطة يدها ملفوف بورق هدايا لماع ومددته له بإبتسامه .. وعندما لمحنى اتابعه بشغف .. فضّ الورق اللماع ليبدد لى شبهاتى .. فكانت هديتها عباره عن ساعة وضعها على يده وابتسم لها .

واصلت سمراويت احتفاليتها بعيدا عن الحساسيه وتوخى الحذر .. ظلت منسجمه مع الطقوس ويبدو انها معجبه بفكرة احتفالها مع المريض الخاص .. صبت الويسكى على الكأسات بمقادير متساويه ومناسبه .. واستأذنتنا ووضعت مكعبات ثلج اخرى فى كأسها .. ثم تحركت نحو الباب برشاقه ورجع صدرها ينقز .. اغلقت الباب وعادت بخطوات دلال وغنج وراحت تدندن باغنيه سودانيه شعبيه .. صوتها جميل ولكن ادائها اللحنى مضحك .. وحتى هذه اللحظه كنت اراقب المشهد بحذر .. وبنفس

دلالها ودندنتها مدت لكل واحد منا كأسه .. وطلبت من الاسير ان يطفئ الشمعه .. وبزفرة هواء مشتركه بينهما ارتجفت اللهبه وطارت .. شاركتهما اللحظة بإبتسامه باهته .. او لنقل غير جريئه .

ورنت بعد ذلك موسيقى الكأسات نغمه راقصة جعلت الود يدور حولنا .. تحدثنا عن الطقس وكآبة السحب .. عرفت انه عاش لفتره فى احدى الدول الاشتراكيه .. فضلنا التخاطب بإنجليزية متواضعة تعاطفاً مع سمراويت وخوفاً من ان تصاب بغربه داخل وطنها.. الجمل كانت تقريريه .. وتعقبها ارهاصات وشكوك .. لم نرتق حتى لمستوى التعليقات المرحه .. ظللنا ندور حول اجواء الغرفة واسمره .. لاذلت ممسكاً بكأسى اتأمل الثلج يسبح داخل الكحول .. اصدر نغمات مركبه من تصادم الثلج مع اطراف الكأس .. اراقب الاسير خلسه .. كان متلذذاً بطعم الويسكى .. ومستدعياً بحاسة تذوقه ايام خوالى .. عبرت خلال عينيه لحظات وهج مدهشه جعلته يردد مقاطع الاغنيه مع سمراويت التى استأذنتنا وذهبت الى غرفة الممرضات لتطمئن على الوضع ثم تعود .. شعرت بالاسير يسترخى فى جلسته .. يتأمل ساعته الجديده بمتعه .. لا اعتقد ان التوقيت كان يهمه فى تلك اللحظة .. يرتشف فى كأسه بتلذذ .. المتعة ترتع فى وجهه .. تزوره احتفاليه مدهشه تنفخ فى رماد النسيان لتتوهج ذاكرته .. يبدو منتشي واصبح اكثر جرأة فعطس فى وجهى بسؤال ليعيد توحيد ثنائيتنا مره اخرى

اسم الكريم منو !!

انفجرت فى ضحكة مدويه مستنداً على بندقيتى.. قهقه هو ايضاً ورمى بنفسه على يمناه محتضناً المخدة . لقد ادهشنى واضحكنى هذا السؤال الذى جاء بعد اسبوعين .. خرج من ذهنه فى لحظة تجلى .. وقفت سمراويت تنظر إلينا بدهشه .. لم تفهم سر ضحكتنا .. ولكنها تابعتنا

بابتسامه بلهاء .. ولم يستطيع احداً كبح ضحكته ليفسر لها .. فكل ما يهدأ
ايقاعى استلف من ضحكته الشبيه بالصهيل .. يبدو اننا ضحكنا فترة
طويله مما جعل سمراويت تخفى زجاجة الويسكى تحت الطاوله وتخرج
لتستطلع الاجواء خارج الغرفة مره اخرى .
عندما عادت وجدتنا منهكين من آلام الضحك .. وراح الاسير يمسح فى
دموعه بمناديل ضحك شفافه .. جلست وصبت لنا كاسات اخرى وجلست
تأكل فى مكعبات الثلج ثم سألتنا عن سر الضحك !! فركبنا موجه اخرى
من الضحك وجاملتنا قليلاً ثم ترجتنا ان نخفض صوتنا كى لا نسبب لها
احراج وظيفى وطلبت ان نخفى زجاجة الويسكى تحت الطاوله وهى
ستتغيب لفتره من الوقت لتنتظر صديقتها امام باب المستشفى لتنقلنا
بخفاء الى احدى صالات الرقص .
انتبهت الى ان هناك ملعوب ينتظرنى .. لديهما خطة مرسومه باحكام
لهروب الاسير كما توقعت .. بعد ان اسكر معها يبدان فى تنفيذ الخطة ..
وكل هذه الاحتفالية عباره عن فبركه وفقاعات صابون ملونه .. بدات لى
خطتهما ساذجة . لقد اشعرانى بانى انحدر من شخصية المناضل جيفارا
الى قاع البهجه .. اتخيل ملامح وجهى وجديتى تحولت الى قناع مهرج ..
لقد تدربت على السلاح وشخصية جيفارا الافريقى الذى ترك هولندا
الخضراء وجاء ليحارب اعداءه فى صحراء لا تعبأ إلا بالذئاب ورياح
الهبباى .. تقمصت شخصيته وسلمته غصن" من شجرة الاراك وحفظت
حواراته .. وها انا اصعد الليلة على خشبة المسرح وقد تبخر عن ذهنى
كل السيناريو والمفردات الثوريه .. حاولت ان اتكئ على ذاكرتى ونسخة
الملقن ولكنى شعرت بحوجتى للحماقات .. حماقات تجعلنى التفت الى
الجمهور واسألهم لماذا يصفقوا لى !! ؟ وانا نفسى غير معجب بها !!

حتى سقوط الخرطوم فى ذهنى لم يعد يعجبنى !! ابدو سيئا للغايه ..
اجعلهم يسدلون الستار هذه الليلة دون تصفيق وبهرجة .
بدا برنامج سمراويت فى تهريبها للاسير مكشوف وساذج .. وتحولت من
حارس الى ضيف مهم فى هذه الدعوه .. راح الاسير يلح ويستجدينى
لكى نخرج مع سمراويت وصديقتها الى احدى صالات الرقص.. ماذا
يدور فى ذهن هذا الاسير !! ولماذا كل هذا الاصرار !! هل يعتقد اننى
بهذه السذاجه لكى ادعه يهرب بهذه البساطه !! ام له مآرب اخرى !! ..
هل ياترى يريد ان يوهمنى ان شرابه للويسكى ورغبته للذهاب الى صالة
رقص سيقنعنى انه انسلخ عن ايدلوجيته ومبادئه !! وما دخلى انا بذلك !!
ذهنى مشوش رغم استرخاء جسدى .. وجهت له سؤالى جرعة واحده .
بدأ منتشى .. صب لى اولاً كأس ويسكى خاص واستلف مكعبات ثلج من
حافظة سمراويت .. حكى لى عن عشقه السابق للسهرات الليلية الصاخبه
.. وحبه للشراب والرقص .. سرد لى جزءاً من حياته السابقة فى ملاهى
ليلية وصالات رقص متنقلاً داخل لاوعيه بين بلغاريا والمغرب ..
شوارع مدينه صوفيا وازقة طنجه .. ثم حكى لى عن شخصيته التى
انتمى اليها مؤخراً باحثاً عن خلاصه وموت يرضيه .. لم يعد يدرى اى
الشخصيتين ينتمى لها بشكل مطلق .. اصبح متنازعاً بينهما .. وحتى
التقارير الطبية اكدت ذلك وصنفته مزدوج الشخصيه .
قرر ان يمتحن نفسه فى ليلة عيد ميلاده ويجرب شخصيتة السابقة ..
ينتشى ويخرج طاقته فى رقص هيستيرى .. ويرى هل يندمج فيها ام
يعدمها نهائى !! فهو يعتقد ان انتمائه لشخصيته الحالية والتى دفعت به
الى هذا الاسر .. احياناً تبدو له غير مقنعه واحياناً يرى فيها خلاصه ..
قرر ان يدخل هذا الامتحان وسيترك الانتخابات الالهيه حره دون ان
يتدخل فى قدره . لم تكن تهمه سمراويت بقدر يهمه سعيها فى تحقيق

ر غبته وليحسم ازدواجيته بنفسه .. رغم انه يعلم انها معجبه به وخاضت هذه المجازفه من اجله ولكنه ظل مهتم بنفسه وبرقصته الهيستيريه على ايقاعات صاخبه .. قدم لى ضمانات واغراءات حتى لا اخذله وامنعه من مغادرة الغرفه .. وتنازل لى حتى عن جسد سمراويت اذا كنت معجباً بها او اذا كنت امن بالهبات الانثويه .. وفضل ان تكون الصفقة على اضاءه تامة بلا عتمه .. ووعدنى بعد ان يرقص فاذا انحاز الى شخصيته السابقه سيتولى امر صديقتها التى ستحملنا بسيارتها الى صالة الرقص .
وصرّح لى بعدها انه يملّ المرأه التى تعشقه بسهوله حسب اراء شخصيته السابقه . لقد ادهشتنى جرأته واعجبتنى فكرة الرقص التى سيحسم بها صراعه الداخلى . رغم اننى لم اكن اتعامل معه بشكل جاد معتقداً انه فى بداية نوبه مرضيه ولازلت احضن البندقية وشكوكى .. بيد اننى فضلت ان اقامر معه كى اخرج اولا من رتابتى واذهب معه فى تحدى الى نهاية رقصته .. واشاهد زوربا يرقص .. ومن فينا سينتصر زوربا ام جيفارا ؟؟

اخبرته باسمى ومعلومات روتينيه عن شخصيتى .. احسست به يبتسم عندما رأى الصدفه تنسى مقتنياتها الذهبيه عن قصد .. رد على بفرح المغامر وكأنه بدا يجهز فى خطة المعركه واكتشف التساوى فى العتاد الحربى .

رايك شنو لو قلت ليك اسمى خالد عبد المنعم .. واثناء دراستى فى بلغارية تحرف الاسم الى خالد منعم .

فى سرى قلت له : (بعد ان ترقص يا زوربا سنكتشف من فينا خالد) .
لقد انخفض منسوب الويسكى الى الربع الاخير من الزجاجة واصبحت المستشفى هادئه كالقريه .. جاءت سمراويت كاتمه على انفاسها وتبشرنا

بان صديقتها تنتظرنا بسيارتها خلف السور الجنوبى للمستشفى.. وطلبت منا ان نتبعها ونسير خلفها ببطء .
شعرت بخوف طفيف يحوم حولى .. ازدادت سرعة نبضى .. رعشه وعرق على اناملى .. بدات لى فكرتهما جاده حدّ الخوف .. عادت لى شكوكى .. لاحت امامى فكرة انهما ينويان الغدر بى .. اصبحت مرتبك من هذه المجازفه ـ الرحله ـ رحت افكر سريعاً فى عرقلة هذه النزهه الليلية متنازلاً عن فكرة انتصارى على زوربا وجسد سمراويت .. اعتذرت لهما وتعذرت بالبندقيه وملابسى الكاكيه .. مازحنى خالد منعم الاسير عندما استشف جبنى وخوفى وراح يذكرنى باستراحة المحارب واهميتها للمعارك القادمه .. حفزنى لكى انتصر عليه .. اما سمراويت فقد اغرتنى بدلالها واقترحت ان احمل معى بندقيتى واتركها داخل السياره واكدت لى ان بامكانى ان ادخل صالة الرقص بملابس عسكريه .. وهو شيئا عادى فى اسمره التى خاضت حروب طويله ضد استقلالها .
تسحبنا بهدوء من الغرفه تتقدمنا سمراويت .. احمل بندقيتى واسير خلفهما .. اجتزنا ممشى العنبر بنجاح .. فتحت باب الصالة ببطء حتى لا يصدر اى صوت ثم تقدمت لوحدها داخل ظلام مخدوش باضاءه شاحبه .. وعندما وصلت الى ركن حائط المبنى واستطلعت المكان وعاينته جيداً اشارت لنا بيدها بطريقة اقتحام القوات الخاصة .. التحقنا بها فى خطوات سريعه وظللنا ثلاثتنا ملتصقين على جدار مبنى العنبر الخلفى نتابع بخوف وحذر شخصٌ وقف يتبول على جدار العتمه .. انتظرناه حتى انهى مهمته وتحرك فى اتجاه احدى العنابر دون ان يلمحنا .. بعدها تحركنا بخطوات سريعة واجتزنا فسحه بها اعشاب خريفية وبعض الاشجار .. احتمى كلٌ منا بقعر شجره لكى نستعد للمغامره الاكثر خطوره وهى ان نجتاز الممر القريب جدا من مبنى الاداره . الطقس كان

باردا ورطب ولكن مفعول الويسكى جعلنا لا نشعر الا بمتعة المغامره .
تحركت سمراويت محنيه ظهرها من اضاءات النوافذ ومتواريه خلف سور شجيرات (الحنه) ثم اشارت لنا ان نتبعها بنفس الانحناءه .
اصبحت اكثر جرأة ومستلذ بالمجازفه وغير عابئا بعواقبها .. اتأمل صدر سمراويت فى الظلام واتخيلها عاريه واوشكت على ان اضاجعها فى ذهنى . مررنا بالقرب من مبنى مهجور وخلفه ظهر لنا سور السلك الشائك ولمحنا السياره تقف بالقرب منه . تسللنا من خلال فتحه صغيره وساعدنا بعضنا فى الخروج منها بمشقه وتعب . مسك فجاة خالد منعم يدى وربت عليها وهنأنى على نجاح المغامره فعانقته فى ذلك الظلام دون ان انتبه لنفسى ووضعى .. داخل السياره عبرنا عن فرحتنا بصخب وكاسات وسكى سريعه .. جلس هو فى المقعد الامامى ملتزماً بتنازله عن سمراويت التى اقتسمت معى الكنبه الخلفيه وضحكاتى .. انطلقت بنا السياره فى شوارع اسمره بموسيقى صاخبه .. شعرت بايقاع الموسيقى يتسلل داخل صدرى ويجعلنى افلت من الجاذبيه واحلق طرباً وابتهاجاً .. التفت الى سمراويت واعانقها اثناء رقصها .. ابصم على خدها فرحى .. اتأمل خالد منعم الاسير وشعره الكثيف .. لقد تاهت عنه كآبته .. اسمعه يصرخ مع الموسيقى .. ارى فيه زوربا مبتهجاً بشواطئ يونانيه صاخبه والارمله بجانبه تقود سفينتها وتحكى له عن عشاقها الهاربين .
فى بالى كانت تمر المغامره والخواطر الدنيئه .. ساشاهده يتحطم داخل مبادئه كسفينة قديمه .. جيفارا لا يعرف فلسفة الرقص ولكنه يجيد حرب الادغال والانسجام مع افكاره .. وسينتصر ويضحك على زوربا وصديقه الاقطاعى . اتحداه فى سرى واقسم انه سيفشل فى رقصته ولن يستطيع ان يحسم ازدواجيته .. لحظتها ساسخر منه ومن تربية مبادئه .. فزوربا شخصيه خياليه ابتكرها الادب .. اما جيفاره مناضل حقيقى .

اكتشفت فجأة اننى احمل فى يدى زجاجة الويسكى وخالد منعم الاسير يحمل بندقيتى فسريعاً ما تبادلنا الاكسسوارات بضحكة مختصره لا تؤدى الى اى مفاوضات سلام . . تذكرت اننى سلمته بندقيتى اثناء اجتيازنا للسلك الشائك .
وقفت اتابع رقصته الهستيريه داخل الصالة .. كان يرقص بانفعال كأنه داخل حلبة زار .. اتأمل جسده الفارع يتحرك برشاقه مدهشه ليخرج عفاريته .. ظلّ يرقص لوحده فصديقه سمراويت وقفت تراقبه معجبه بحركاته .. التف حوله بعض المعجبين واحاطوه بدائره بشريه .. جعلوه يشعر بالزهو وينفعل اكثر .. يرتجل فى لغة جسده يتمايل ويتعرّق .. يزداد ايقاعه الداخلى ويصرخ وينطرب كنت قلقاً على سلاحى الذى اخفيته داخل السياره .. احمل المفتاح فى يدى واتردد على السياره بين لحظة والاخرى كى اطمئن على عهدتى ومستعداً لاى محاولة غدر ثم اعود اتابع فلسفته الهستريه . هذه المره تاكدت من بندقيتى وجلست داخل السياره امسح العرق من صدرى و اخطط فى طريقة استدرج بها سمراويت لكى نختبئ داخل السياره .. وبينما انا افتش عن نشوه قبل ان انتصر عليه فاذا بى اسمع صرخ عالى وتوقفت الموسيقى .. رايت الفتيات يهرعنّ مضيئات فى الظلام كحبات سبحة امى عندما ينقطع خيطها .. بعضهنّ انزوى داخل السيارات ومعظمهنّ انزوينّ عبر الازقه .. حتى الشباب غادروا الصالة محافظين على درجة من وقارهم .
اخرجت بسرعه بندقيتى من السياره واصبحت مفزوعاً ومتحفزاً .. توقعت ان مكروها قد حدثً للاسير .. او ربما حاول الهرب .. شاهدت سمراويت مفزوعه وصديقتها اخذت منى المفتاح واشارت لى نحو الصالة .. لم انتظرها ان تشرح لى ما حدث فهرولت شاهراً سلاحى فى غضب . وجدته يقف فى وسط الصالة و فى يده زجاجة ويسكى مهشمه

مهدداً بها شاب اريترى سقط على الارض وكتفه ينزف .. اسرعت نحوه وجذبت من يده الزجاجه المهشمه ورميتها على الارض ثم نتلته من يده دون ان يقاومنى .. خرجنا من الصالة بخطوات سريعه لنعبر الى زقاق ضيق لاادرى الى اين يذهب بنا .. فتشت عن سمراويت وصديقتها ولا اثر حتى لسيارتهما .. تابعنا سيرنا فى شارع ضيق وإضاءته شاحبه .. لا ادرى كيف نعود الى المستشفى !! واين اتجاهها !! لا احد نسأله فى هذا الوقت المتأخر .. كان يسير فى محاذاتى صامتاً لا يرد حتى على اسئلتى .. ترنح فى الطريق وخارت قواه من شدة انفعاله فى الرقص .. اتكأ بجسده على عمود امام احدى المحلات التجاريه ثم هبط بكامل جسده ليجلس على المسطبه متحدياً تحذيراتى ولعناتى .. اخرج زجاجة ويسكى صغيره من جيبه ارتشف منها عدة قبلات ومداها لى .. جلست على المصطبه لصقه ورحت اشرب من الزجاجه واحدق فى اللاشئ .. الموسيقى الصاخبه مازالت بقاياها على صدفة اذنى .. كأننى اسمعها تاتى من مكاناً بعيد تحملها لى رياح الشمال التى هبت فى الهزع الاخير من الليل .. احس بالبرد يتخللنى .. احتضن بندقيتى اكثر .. افكر فى كيفية العوده الى المستشفى قبل ان يكتشف امرنا .. وفى نفس اللحظة غير راغب فى القيام باى خطوة اجابيه .. اتحرك فقط فى ذهنى وانا جالس .. اللحظة كانت اشبه باجواء مسرحيات (صمويل بيكت) نفس العبث المطلق .. كأننا ننتظر احدا ولا يبدو علينا سننتظر احد .. او ربما يجب علينا ان ننتظر . لا ادرى ماذا حدث لى !! ذهنى مشوش . التفت اليه ووجدته يحتضن زجاجة الوسكى كابنته المريضه باغتنى بسؤال دون ان يلتفت لى

لماذا تحارب ؟

اريد ان احرر الشعب من هيمنة حكومتكم .

كان من الانسب لك ان تبقى بهولندا وتحارب طواحين الهواء فما اكثرها هناك .. فانت لن تنتصر إلا على خالد منعم الاسير .

سانتصر .. وحينما تسقط الخرطوم ونعود الى الوطن لن نعفو عن احد.

ابتسم خالد منعم فى الظلام وواصل حواره دون ان يلتفت لى

عندما تعود يا صديقى .. ستكون عودتك للوطن مثل عودت (اودو ديسوس) بعد حرب طرواده لم يتذكره احداً سوى كلبه!!

انا لا اطمع فى ان يتذكرنى حتى التاريخ .. ما يهمنى هو وطنى بالدرجة الاولى .

الوطنيه اخر ملجأ يقطنه الشرفاء .. كان الاجدر بك ان تعتنق (يعقوبية بلانكى)(٤).. دعك من هذه اللعنه

الان سميتها لعنه !!

لقد اغاظنى بحواراته وجعلنى انفعل .. لكنه انتبه لغضبى فراح يتحدث بصوت هادئ وحزين

نعم !! هى لعنه ستتبعك اين ما حللت .. ساعترف لك الان لماذا انا شاركت فيها !! كنت ابحث عن طريقة موت تحسم لى حياتى بشكل مشرّف .. لم تكن شكوكى فى ماهية هذا الكون تؤرقنى وتتعبنى كنت منحاز بشكل مطلق لشخصيتى السابقه ولكن حادثه صغيره هيجت بداخلى هذا الصراع السرمدى .. جعلتنى اقرر استشهادى كى اكفر عن ذنوبى الطافحه واودع الحسره والندم .. حتى الموت بات يخذلنى .. لم اضع فى حساباتى لحظة الاسر .. كنت اتوقع موتى بالشخصيه التى ارتضيتها وآمنت بها . قبل قليل حاولت ان ارقص لكى انحاز الى احدى شخصياتى فوجدتنى اغوص فى ازدواجيتى الى الاعمق .. لقد رأيت شخصاً يخرج من بين ضلوعى ويهشم القنينه على راس ذلك الشاب لانه فعل منكراً وقبل صديقته امامى . لم اعد افهم شيئا .

لقد ارسلنى اهلى لدراسة الطب فى بلغاريا .. وفى نهاية السنه الاولى انقطع عنى مصروف الدراسه بسبب خصام وعداوة نشبت بينى وبين شقيقى الاكبر وهو الذى كان يدعمنى مادياً .. ايامها كان برتبة نقيب فى سلاح المدفعيه .. اصبحت بعدها اعمل فى العطل والاجازات الاسبوعيه من اجل مواصلة دراستى وفى ذهنى احلام يقظه جافه. فصادفتنى اول فاجعة فى حياتى .. لقد توفيت شقيقتى التى تصغرنى بعامين اثناء انجابها لطفلها الاول .. رغم عداوتنا فى الطفوله الا انها اصبحت بعد ذلك صديقتى المخلصه .. وكانت تحبنى بلا حدود .. تعشقنى حدّ الاستحياء وتغار علي حتى من صديقاتها . لم اكن موجوداً عندما تزوجت فارسلت لى صورة زفافها وبعدها بشهور توفيت .. قتلت بداخلى احاسيس جميلة ودوافع اكاديميه .. حاولت ان ابعزق احزانى وابددها فواصلت عملى فى نظافة احد فنادق مدينه صوفيا حتى تم فصلى من كلية الطب فادمنت الكحول والرقص فى الصالات الليلية .. ازدادت شراستى واصبحت عصبى .. ادخل صالة الرقص وفى يدى زجاجة خمر ماركة(ركيكة) وفى الاخرى سبب تافه ابدأ به المشكلة.. افتعل المشاجره داخل حلبة الرقص .. اسب للحكومة البلغارية .

اصبح زملائى لا يطيقوننى .. يتهربوا منى .. يمتعضوا من لقاءاتى .. اشاهدهم يتوارون منى بين ازقة مدينة صوفيا.. بت مزعجاً وعلى الاستعداد لكى اصبح عالة على كل من ألتقيه اجبره ان يستضيفنى ويشترى لي خمور بلغارية وبعد ذلك اتشاجر معه حتى جلساتهم الليلية اصبحوا يخططون لها فى سرية تامة ويحددون مقر جلستهم فى ساعة الصفر.. يخافون ان اداهمهم وافشّل عليهم متعتهم ونشوتهم .. اشعر باننى منبوذ بينهم ولكن لم يشفع لهم اعترافى واحساسى المرير .. فوليت اكثر قساوة وشراسه لم اعد اعى بحركاتى الليلية صديقى (عبدالوهاب نمر)

كان وحده يتصدى لى ويخبرنى فى الصباح بمشاجراتى ويحكى لى عن تفاصيل المعارك الداميه.. فلولا وجود هذا الصديق بجانبى فى تلك الفترة لا ادرى ماذا كنت سافعل بزملائى .. اسب فى اى لحظة .. اشعر بالغربة تختصر فى عمرى وتحاول ان تحسمه بشكل انانى .

وفى احدى الايام تعرفت على شاب ليبي مخنث التقيته صدفه داخل بار صغير فى وسط مدينه صوفيا دعانى الى شقته وبعد اسبوع حجز لى تذكرة سفر معه الى طرابلس الغرب .. وهناك استطعت ان اهرب منه وسريعاً ما وجدت عملاً فى مصنع لدائن (بلاستيك) .. استأجرت غرفة داخل منزل مشترك بالمدينه القديمه واصل إليه بعد توهان فى ازقة متعرجه وملتويه . لم تأتنى الجرأة لاعود الى الوطن خالى الوفاض .. لم احقق شيئا يذكر .. ماذا اقول عن فشل دراستى . اصبحت اقضى اجازاتى فى المغرب بين طنجة والرباط .. اتسكع مع العاهرات بين الفنادق وصالات الرقص .. ثم اعود الى طرابلس استانف عملى .. سمعت بالصدفة استشهاد شقيقى الاكبر الذى كنت اكرهه وامقته واحمّله مسؤولية فشلى منذ ان قطع عنى مصاريف الدراسه .. ظللت اشتمه فى سرى واجتهد فى مستقبلى الفاشل من اجل ان اذلة فيما بعد .. سمعت انه توفى فى حرب الجنوب .. بكيته لوحدى فى غرفة مظلمة .. بعدها بفتره قصيره توفيت والدتى بحسرتها على غيابى .. لم تكن تعلم اين اعيش !! فيما بعد حكى لى احد اقربائى رغم اننى أنكرت صلتى به .. اخبرنى انها كانت تنادى على اسمى لحظة خروج الروح .. اصبحت انتحب وابكيها كلما اسكر .. رغم كل هذا الحزن لم اعد للوطن او ارسل برقيات تعزيه .. ظللت مستلذا بفكرة اختفائى .. هربت حتى من اقربائى الذين سكنوا فى طرابلس .. فحملت احزانى وسافرت غربا الى مدينه (صبراته) الاثرية اعمل معلما لمادة الاحياء فى ثانوية بنات .. اسكن لوحدى فى منزل

عتيق خلف المدرسه مباشرة يقف لوحده كالمتبوذ .. اتجول على شاطئ (صبراته) متأبطاً احزانى .. اتأمل آثار الفينيقيين ومعابدهم وتماثيلهم التى حطمتها عوامل التعرية وايادى البدو .. ظللت مداوماً على هذه النزهات محاولا ربط الشبه بين الفينيقيين والليبين . لم تكن لدى علاقة مع زملائى المدرسين أعيش لوحدى واكل لوحدى وانام ايضا لوحدى .. حتى اللهجه الليبيه تعلمت مفاتيحها وفك شفرتها من (سنيّه عريبى) تلك الطالبه التى تعشق مادة الاحياء وفيما بعد اكتشفت انها كانت تعشقنى انا ولم تحب هذه المادة اطلاقاً.. حقيقة لم اكتشف هذه المعلومه بنفسى بل هى التى اعترفت لى بعد ذلك . ومن خلال معرفتى بها داخل المدرسه والفصل تعرفت على اسرتها .. لقد ارسلت لى يوماً والدها وترجانى كى اساعدها بدروس خصوصية فى مادة الاحياء داخل منزل الاسره وخاصة انهم يرغبوا فى ان تصبح صغرى البنات طبيبه مشهوره .. رفضت ان اخذ منهم دنانير مقابل هذه الدروس الخصوصية .. لم يقو اصرارهم على قناعاتى .. ازدادت ثقتهم بي كأجنبى أو كغريب .. وهم عادةً شعب لا يثق فى بعضه البعض وخاصة عندما يتعلق الامر بالانثي .

كنت اعطى "سنيه عريبى" درس الاحياء فى صالة كبيره بها اثاثات عتيقه .. نجلس متقابلان على طاولة السفره المهجوره .. ويكون هناك دائماً رقيب علينا .. احيانا يتناوبَ افراد الاسرة كلها على مهمة الاستطلاع والمراقبه .. انزعجت فى بادئ الامر وتضجرت من هذه المراقبه .. ولكن فهمت انها جزءاً من سلوكهم المتوارث .. واحيانا يغلفوا المراقبه باعين الكرم الحاتمى وواجب الضيافه .. فتأتى احدى شقيقاتها بالشاى وتجلس فى انتظار الاكواب الفارغة لتحملها الى المطبخ ثم تاتى امها مخفيه جسدها المترهل داخل ثوب ابيض وتضع امامنا حليب دافئ .. وتظل جالسه بالقرب منا واحيانا تتدخل لتقطع حبال الدرس لتطلب

مني ان اتذوق نوعية البسكويت الذى خبزته بنفسها . ايضا ياتى والدها وياخذ نوبته فى الحراسه بعد أن يملّ شقيقها الصغير من المذاكره .

لقد تجاهلت الدرس الخاص بالاعضاء التناسليه للرجل والمرأه .. كما تجاهلته ايضا فى المدرسه بامر من الناظر .. وطلبت من كل طالبة ان تراجعه بنفسها فى المنزل .. ولكن "سنيّه عريبى" ألحت علي ان اشرحه لها فقد اطلعت عليه وادعت انها لم تستوعبه جيداً ولكن نسبة للرقابة الشديده وعدتها ان اشرحه لها فيما بعد .

ظللت راضياً عن وحدتى فى (صبراته) .. اعيش بمفردى فى المنزل التابع للمدرسه ويقع خلف سورها الجنوبى وبعده لاتوجد سوى مفازه سرمديه وشجيرات صحراويه متفرقة.. منزل صغير مكون من صالة وغرفة وحيده له حديقه مهمله وبعد ان سكنته ازدادت اهمالاً تتوسطه شجرة زيتون شاحبه .. ترمى بظلها على المطبخ والحمام المتلاصقان فى ركن الحديقه . اقضى معظم عصرياتى فى قراءة روايات بوليسيه تحت شجرة الزيتون .. وقبل ان يهبط المساء كنت اتجول قليلاً بين اثار الفينيقين او اذهب الى الدرس الخصوصى ثم اعود بعد ذلك انتظر موعدى مع (ألكس) الغانى قصير القامة ليأتنى بكيس العرقى اليومى .. فأصبه داخل قنينه واضعه داخل الثلاجه وابدأ فى تجهيز عشائى .. اشرب اثناء الاكل وبعده .. اتناول كميات كبيره من الكحول ولا اسكر .. احزانى المتراكمة فوق صدرى جعلتنى اسرف فى الشراب وقتلت بداخلى كل الاحاسيس الجميله .. وحتى انفعالاتى بالاشياء اصبحت محدوده واحياناً لا .

نادراً ما كان يزورنى احد فى هذا المنزل اليتيم .. اولا لان ابناء وطنى فى هذه المدينه قله ثم اننى بطبعى لا ازور احد وبالتالى لا اتوقع زياره من احد .. اذكر فى ايامى الاولى عندما جئت الى هذه المدينة زارنى

محاسب يعمل فى مصلحة حكوميه وعندما شعر بانكماشى كررها مره اخرى من باب الواجب وتركنى اعاقر وحدتى . اما الشخص الوحيد الذى كان يزورنى واسعد به صديقى "كمال يسن" لقد كنا شركاء لا اجراء فى منزل المدينه القديمه وعندما جئت الى "صبراته" جاء معى بسيارته وساعدنى فى نقل اغراضى رغم انه كان غير راضٍ عن غيابى .. اصبح يزورنى من وقت لاخر .. شاب متحمس ومغامر و هو الوحيد الذى اخرجنى عن صمتى وجعلنى اعود لشراب الخمر وايضا هو الذى خفف عنى وطأة الحزن . لقد جاء الى ليبيا بعدى بسنوات ولكنه إنغمس سريعاً فى سايكلوجية الشعب الليبي واصبح يفهم منطق تفكيرهم ونمط حياتهم .. يعاملهم بالمثل .. يعرف كيف يرد عليم بمنطقهم .. لا يخاف البته .. كان خبير بالاماكن والبيوتات التى تصنع اجود انواع الخمور .. واحيانا يشتريه من رجال الشرطة انفسهم ومعظمهم يعرف "كمال يسن" جيدا .

كان يزورنى بسيارته الداتسون محملاً بكميات مهوله من العرقى يقضى معى ليلة ثم يعود الى عمله فى شركة خاصة يملكها رجل بملامح صارمه وبرتبة عقيد فى الامن الليبي .. جعل كل مفاتيح العمل بيد "كمال يسن" .. ويثق به اكثر مما يثق بزوجته .. يعتقد ان الارباح الهائلة التى هطلت عليه من عطاءات مطاعم الجامعات كان وراءها ذكاء "كمال يسن" واخلاصه .. وهو الشخص الوحيد الذى كنت افتح له الباب وصدرى .. وفيما بعد ساعدنى فى الهروب من ليبيا .

ففى احدى الايام الروتينيه بعد ان اكملت حصصى .. خرجت كعادتى من المدرسه ودلفت الى منزلى وكان دائما بابه الخارجى يظل مفتوحا ولا يمكن اغلاقه بسبب الرمال المتركمة على عتبته ومنعت انزلاقه .. لذا كنت اغلق باب الصالة بالقفل رغم اننى لا اضع بداخله شيئاً اخاف عليه وهذه المدينه امنه بطبعها . دخلت غرفتى ووضعت كراسات الطالبات

على الطاوله وبدات افك فى ازرار قميصى واذا بى اسمع صوت نسائى خلفى فالتفت مفزوعاً لاجدها "سنيّه عريبى" تقف مبتسمه.. كنت اريد ان اطردها فى الحال .. فلو شاهدها احد تدخل منزلى لن تصبح جثتى حتى الغد .. وتوقعت ان يكون قد ارسلها احد المعلمين او الناظر نفسه فهم مشهورون بهذه المكائد .. سألتها وانا اعيد ارتداء قميصى .. اصبحت متوتراً من وجودها وارغب ان ادفع بها الى الخارج .. جاوبتنى بغنج ودلال انها نسيت ان تضع كراسها مع الطالبات .. اخذته منها برعشة ووضعته على الطاوله .. ولكنها لا تزال واقفه مكانها مبتسمه .. زادت من غضبى وخوفى تخيلت ان هناك قبيلة مسلحة تنتظرنى فى الخارج وسيهجمون علينا بعد قليل .. هززت لها راسى مستفسراً عن وقفتها .. شعرت هى بخوفى وارتباكى فأكدت لى انها عندما دخلت منزلى لم يرها احد وطلبت منى ان اشرح لها شيئا غامضاً فى احدى الدروس واقتربت منى وبحثت عن مكان لتجلس عليه .. حاولت ان أوجل لها فكرة الغموض الى الدرس القادم او خلال الحصة الخصوصية .. ولكنها كانت ملحه على سؤلها وراحت تستجدينى وحلفت لى برأس والدها ان السؤال لن ياخذ منى سوى بضع دقائق .. فطلبت منها الافصاح عن سؤلها وبسرعة.. خوفى يصعد درجات سلم الفضيحة .. ابحلق فيها وعرقى يتصبب .. فتحت كتاب الاحياء وراحت تتصفحه باعصاب بارده .. وانا ارتعش وأبلع فى ريقى .. طمأنتنى مره اخرى واكدت لى انها عندما دخلت لم يرها احد .

(تخيرك ياستاد حتى اني نخاف على روحى !!)

كانت اعصابها دافئه وجريئة فى فكرتها .. مدت لى الكتاب مفتوحاً على صفحة رسوم الجهاز التناسلى عند الرجل .. اخذت منها الكتاب .. يدى ترتعش .. حلقى يجف .. ماذا اقول لها !! لقد وعدتها ان اشرح لها هذا

الدرس . فاجأتنى ومدت يدها وحاولت ان تمسد لى ذكرى .. دافعت عن ذكورتى وحاولت صدها وابعادها .. انفعلت وتعثر لسانى بين مفردات اللهجه الليبيه .. شعرت بدمى يفور وعظامى تتمدد وتطول .. وجدتنى اهجم على شفتيها الملتهبتين و امص رحيقها بعنف .. انهارت قواها واصبح جسدها ثقيل وخفت ان تسقط منى .. حويتها اكثر وتحركت بها نحو سريرى وبحركه مسرحيه دون ان انفصل عن شفتها مددتها على السرير ورحت اقضم فيها واتلوى فوق جسدها البض .. نحيّت لها ملابسها وانفاسها تسابق حركة يدى .. ارضع فى ثمارها البريئه غير عابئ برجال القبيلة الذين تخيلتهم يتربصون بى فى الخارج .. لم اعد اهتم بقيمهم وتقاليدهم .. جسدها ينتفض و تموء .. تأوهاتها تزيد غليان دمى .. فجت بين ساقيها وتركت يدى تنزلق اسفل بطنها .. افسحت لى مجالاً لكى اغوص اعمق .. احس بها تتشنج وتعض مخدتى القذره .. امسكت بيدى ومنعتنى ان اتوغل .. دافعت عن قلعتها بحشرجة وأنين .. ولكنها لم تستطع ان تقاومنى كثيراً فتركت يدها منسيه فوق يدى بلا معنى وابقت الحال على نشوته .. اشعر بجسدها يتمدد ويطول .. تشبثت بشعرى الكثيف .. تضمنى الى صدرها وتدفعنى الى الاعلى .. حتى همدت تحتى تنتحب بلا دموع .
قبلتها وتذوقت طعم العرق من على صدرها .. فتحت عيناها الواسعتان الضاحكتان واصبحت رموشها مبتله ومتلاصقه .. شفتها السفلى متورمه ومرتخيه برعشه خفيفه .. بدت لى اكثر جمالاً واثاره.. لم ارَ فيها تلك الطالبه.. بل كانت تحتى امرأه كاملة الانوثة .. تلف ساعديها حولى وتقبلنى وتضحك .. لقد استوعبت درس الاحياء بمتعه لم تتوقعها - فاللحظة الاولى التى تكتشف فيها المرأه عناصر نشوتها تكون اكثر ايماناً بالرجل وهى تعلم انه سيصبح اكثر ألماً وغدراً - حاولتُ ان انهض

بسرعه وازيل اثار النشوه واعود الى موقعى كأستاذ ولكنها منعتنى وتشبثت بى اكثر .
(خيرك ياستاد .. نبيّك هكيّ !!)
جعلتنى ارتطم برائحة انوثتها مره اخرى واعاود انفعالاتى وبجرأة اكثر اقرع على جدار بكارتها .. كانت تدعونى للدخول بإلحاح .. تستند على اقدامها وترفع مؤخرتها للاعلى وتجذبنى فى نفس اللحظة اليها .. تصرخ صرخات مكبوته .. غير عابئه بالقبيله ومستخلصاتها .
تعودت بعد ذلك على ان تسبقنى الى البيت واحياناً نتفق اثناء الحصص .لم يشاهدنا احد او يشك فى علاقتى بها .. فهى تلميذتى المطيعه .
وبعد ان دكت خيولى جدار قلعتها .. بكت على صدرى .. لاطفتها ومازحتها .. حاولت ان ادلها الى حلول تخفف لها فقدان عذريتها واضمن استمرار نشوتى .. لم اقترح عليها الزواج لانى على علم بان قبيلتها من اشد القبائل الليبيه تعصباً وتمسكاً بتقاليد الزواج .. ولا تسمح لاى إلكترونات تغادر النواة أو تتقبل الاجسام الدخيله .. اذكر ان "سنيّه عريبى" حكت لى فى مره ان رئيسهم (معمر القذافى) طلب الزواج من احدى بنات عمها .. فرفض شيوخ القبيله نسبه .. فلم يتجرأ ليضربهم بالصواريخ لانه يفهم جيدا ما تعنيه قوانين القبيله .. فما كان امامه إلا ان يبتلع كرامته ويمارس هوايته المفضله ويبحث عن جيش معارض لحكومةٍ ما لكى يدعمه بالسلاح .
وعندما انقطعت دورتها الشهريه اتصلت بصديقى "كمال يسن" واخبرته بهذه الكارثه .. فطلب منى الهروب الى الوطن وباسرع ما يمكن .. وخلال اسبوع اكمل لى اجراءات سفرى .
رجعت الى الوطن بعد غياب دام سبعة عشر عاماً .. رايت الخرطوم باهته .. سماؤها واسعه .. الناس كأنهم نفضوا الرفات عن اجسادهم

وخرجوا للشوارع .. احجامهم بدات لى ضيئله .. حتى لون التاكسى الاصفر ادهشنى كأننى اشاهده للمره الاولى . نزلت فى اليوم الاول فى احدى الفنادق ..وفى مساء اليوم الثانى ذهبت بتاكسى امام منزلنا ولم تسعفنى الجرأة كى ادخله .. رأيت والدى امام دكانه وقد ولى عجوزاً .. زردتنى العبره وهطلت احزانى .. رجعت الى الفندق واجهشت تحت وسادتى . لقد ماتت امى منذ سنتين وقبلها شقيقى وشقيقتى .. شعرت ان والدى وافراد الاسرة لن يستقبلونى وربما طردونى لقد تاخرت كثيرا عن مراسم العزاء .

لقد ارسلونى منذ سبعة عشر عاماً الى بلغاريا لاعود طبيباً .. فلم افعلها .. ماذا اقول لهم ؟؟ فشلت !!

واصلت اقامتى بالفندق واتردد على زيارت منزلنا ولا استطيع دخوله .. بعد ايام استاجرت شقه مفروشه بحي المغتربين واشتريت سياره كرونه .. اقف بها امام منزلنا اراقب والدى جالساً امام دكانه يتحرك ببطء وجسده يرتعش لا يقوى على زحمة الزبائن .. وعندما اشعر بدموعى تنساب اتحرك بسيارتى .. اتجول بها فى شوارع الخرطوم .. الحزن ينتر بداخلى .. احاول ان ابعزقه .. ألتقط الفتيات من شارع الاسفلت احاورهنّ وابدد معهنّ احزانى . لقد تعرفت على هواية الاصطياد بالصدفه وفهمت يومها لماذا ابتكروا تظليل زجاج السيارات .. ليستروا بداخلها عدد من الفتيات .. فى زحمة مواصلات .. لقد وضعوهنّ داخل حظيره والاعلاف تكل امام اعينهنّ .. ومن تجادلها نفسها على ماهية الصبر يفرج عنها بكفالة التطبيل والتهليل واشياء اخرى لن يحاسبها احدٌ عليها .. اما صغار الماشية فقد تسرّبت من بين فتحات الحظيره بعلمهم وتكتيكهم ومنهجيتهم .. فاصطادوها من شارع الظلط وارغموها على الغلط .. جادلوها حتى فى معنى الشرف .. والمفاوضات توصلت الى اخفاء اثار الدم واصبح

اللولب ضمن شروط السلام الداخلى .. ولكن المبالغ كانت ضئيله على توقيع اتفاق تاريخى ولا تكفى حتى لشراء ادوات مكياج مدعومه .

انا اسوأ مما تتصور يا صديقى .. لست من عسجد لتلمع مشاعرى وافعالى .. لقد ساهمت مثل غيرى فى ترويج اسعار التظلم واحتكار السلع الحقيقية .. اصبحت متخصص في عرض ازياء شوارع الاسفلت .. اقود سيارتى المظلله واحرق وقودها فى شوارع الخرطوم .. انتقى افضل خريجات الحظيره من حافة الظلط .. انام معهنّ بكل اوضاع الجنس المبتكره .. اخبئ فشلى وعجزى ببطولات ذكوريه .

اذكر فى احدى الامسيات الحاره .. كنت بسيارتى فى شارع القيادة العامة بالخرطوم .. ومن عاداتى الجديدة اصبحت ابحلق على جانب الشارع ابحث عن فريستى . ففى هذه الليلة كنت مدعو لمناسبة زواج احد سماسرة العربات ونسبة لجهلى بالخرطوم تهتُ عن العنوان ورجعت ادراجى .. ومع بداية شارع القيادة لمحت فى ضوء سيارتى فتاة بلون المشمش الغامض .. قوامها رشيق .. ترتدى قميص جنز رجالى وتنوره سوداء طويله .. لم تكن تشبه هذا الظلام مطلقاً .. توقفت امامها مباشرةً . سالمتنى بعد ان اغلقت بابها وهى تضحك بوجهها الدائرى ورموشها الغزيره .. وضعت الطرحه على عنقها مغطيه ضفيرتها الطويله .. رحت اتلصص على وجنتيها وشفتيها .. ادهشنى جمالها واربكنى .. شئ ما جعلنى اتخيل انها قدرى وامتدادى الذى ابحث عنه .. تمنيت ان تكون ذاهبه الى مكان بعيد كى استلذ بوجودها قربى .. فلا يبدو عليها من النوعيه التى ستدخل معى الى شقتى من اول مره . تاهت عنى عناصر الغزل واسئلة الاستدراج .. لقد شلت لسانى واصبحت مضطرباً . عرفت انها ذاهبه الى حي الصافيه وسوف تفارقنى فى سوق (سعد قشره) .. لها صوت مبحوح يخرج من فمها بإثاره .. لم استطع مقاومة عينيها

ورموشها الغزيره فدخلت معها الى السوق .. كانت تنوى شراء حذاء لصديقتها التى ساتعرف عليها لاحقاً . تجولت معها بين الدكاكين المتراصه .. ازقه من الملابس والاحذيه .. زحمة فتيات .. لم ارَ ابواب الدكاكين .. البضائع معلقه ومصلوبه فى كل مكان .. استشارت ذوقى فى بعض الاحذية .. شعرت بانها ليست المره الاولى التى ادخل معها هذا السوق .. تعاملت معى كأننا اصدقاء .. جعلتنى اختار لها حذاء حسب ذوقى .. وفعلاً اعجبها اختيارى .. وعندما كانت تحاول قياس الحذاء على قدمها لان صديقتها تشاركها نفس المقاس والانانية .. فقدت توازنها وكادت ان تسقط فمسكت بساعدى وتشبثت به .. لحظتها تبادلنا نظرات مبتسمه .. شعرت بوخزه ابريه فى صدرى بسبب ضحكة رموشها .

صاحب المحل كان مصراً على سعره وهى لم تتوقف عن التفاوض .. ظلت تهاوده بإلحاح .. فهنّ يفهمن جيداً نفسيات هولاء التجار ويعرفن الاسعار الحقيقية .

اتضح لى ان المبلغ الذى معها لايكفى .. فتبرعت لها واكملت للتاجر .. رفضت مشاركتى المالية بشده حدّ انها قررت ان لا تشتريه .. ولكنى اقنعتها بانه مجرد دين ويجب عليها ان ترده لى فيما بعد .. وبذلك اضمن لقاء اخر .

وفى طريقنا الى حي الصافيه .. داهمنى احساس اننى لن اراها ثانية .. لقد اغوتنى وادخلتنى معها الى السوق كى اكمل لها ثمن الحذاء .. لقد اجادت فى تمثيل دورها .. لقد إلتقيت بامثالها .. تستلم منك العربون وتدون رقم التلفون بقلم الحواجب الاسود ثم لا تراها ثانية الا صدفه وهى تمطتى عربه اخرى وتحاول ان تخفى ملامحها عنك .. أو احياناً تطلب منك ان تشترى لها عشاء ساخن وغالباً ما تبكى بمجرد جلوسها على المقعد الامامى وعندما تستدر عطفك تحكى وتسرد فى مليودراما عن

والدتها المريضه وثمن الدواء الباهظ .. وعندما تصل معك الى باب مغلق مادياً تتسولك سيجارة وتنزل فى اقرب مكان .

لقد اعتبرتها مثلهن رغم ان شكلها واناقتها لا يوحيان بذلك .. فكرت بينى وبين نفسى فى وسيلة استرد بها دينى فرحت اتوسلها لنزور شقتى لمده نصف ساعة .. ولكنها تمسكت باعذارها وضربت لى موعداً اخر بعد ثلاثة ايام امام وكالة سفر وسياحة بالخرطوم .

تأخرت عن موعدها ساعة كامله .. تناولت خلالها قهوة ومشروبات بارده وعدد غير محسوب من اللفافات دخنتها بغضب .. تاكدت انها خدعتنى .. لقد ساهمت معها فى شراء الحذاء ولا داعى للقاء ثانية .. فمهمتى معها انتهت فى السوق .. شعرت بغبائى يطفح .. حاولت ان استحلب شكلها من ذاكرتى فلم استطيع .. ولكنى مقتنع انها كانت جميله فى تلك الامسيه .. تذكرت فقط رموشها الضاحكة فازدادت غبينتى وادرت محرك السياره وقررت التحرك من مكانى .. رأيت اصابع يدها تنقر على زجاج سيارتى .. فشعرت بنفس الطعنة داخل صدرى وانا اشاهد رموشها تضحك لتخفى مقلتيها .. كنست لى كل شكوكى وانتظارى بوجنتيها وصوتها المبحوح .. راحت تعتذر عن تاخيرها وشكرتنى مره اخرى على مشاركتى لها فى شراء حذاء صديقتها واخرجت المبلغ من شنطة يدها .. ولكنى مثلت عليها دور الرجل المنفعل من هذا السلوك الشنيع .. رفضت ان استلم منها المبلغ ووعدتها ان يظل دين استرجعه عندما اكون فى حوجه له . دعوتها لوجبة غداء فى مطعم فاخر فحكيت لها عن هامش سيرتى الذاتيه .. تاملتها وهى تاكل اصبحت اجمل مما رايتها اول مره .. كانت ترتدى فستان طويل وانيق تضع الطرحة ايضاً على عنقها .. تلصصت على تفاصيل جسدها والاثاره تتدحرج من شفتيها .. و ظلت تربكنى بضحكة رموشها .. جعلت رجولتى تقف على رجل

واحده .. لقد شعرت هى ايضا بنظراتى التى اقتحمت معقل انوثتها فتوارت خلف كوب العصير وراحت تلاعب حافة الكأس باظافرها .. احمر وجهها واصبحت مضطربه فى حديثها وتاهت عنها المفردات .. فيما بعد ستعترف لى بان شعر صدرى كان مصدر اساسى فى توليد طاقة اثارتها وستصبح انفاسى فاكهة شبقها .

فى طريقنا الى شقتى حكت لى عن اهلها فى مدنى وانها تبحث عن وظيفة فى احدى البنوك وتسكن الان مع صديقتها بحي الرياض .

لقد عاشت معى "احلام يسن" فى شقتى فتره من الزمن .. لقد احببتها للغايه .. اجمل إمرأة رأيتها تمارس الجنس .. كانت لا تشبع منى ابداً .

اذكر فى احدى الامسيات كانت مستلقيه على صدرى عارية الا من نشوتها .. تنصت لدقات قلبى .. التفتت لى فجاءة برموشها المبتله وكانها كانت تتجسس على دواخلى واخبرتنى ان لديها شقيق مقيم بليبيا يدعى "كمال يسن" .. خنقتنى انفاس سيجارتى ورحت اكح بصوت عالى مخفٍ ارتباكى ودهشتى .. انكرت اننى اعرفه او حتى سمعت عنه .. لا ادرى لماذا انكرت صلتى به رغم اننى احببتها وفكرت ان اتزوجها ولكن شرقيتى التى اعتقدت اننى هزمتها وقتلتها فى بلغاريا نهضت مره اخرى ونمت بينى وبين من نال عذريتها عداوة مزمنه رغم اننى لا اعرفه .. فاصبحت لا اثق بها .. لقد سردت لها قصة حياتى ومأساتى وتعاطفت مع احزانى واصبحت تعشقنى بلا حدود .. طلبت منى ان اتزوجها وستصبح لى اهلى وحياتى .. جعلتنى اتخيل معها حتى حركة اطفالنا داخل المنزل .. تمتلك خيال جامح .. ورغم ذلك هربت منها يوم خنتها وحدثت لى حادثه غيرت مسار حياتى .

ففى احدى الايام وانا عائد من دلالة السيارات مررت كعادتى امام منزلنا وتوقفت فى الناحية الاخرى من الشارع ورحت اراقب والدى وهو يجلس

على كرسى عتيق.. أتأمل مشيته البطيئة نحو دكانه المتواضع .. حركة يده المرتعشه مع الزبائن .. وبعد ان سالت دمعتى على المجرى المعتاد .. شعرت بان وقفتى ستثير الشبهات .. تحركت فى اتجاه شقتى .. فى الطريق توقفت لصبية جميلة بالكاد تجاوزت مراهقتها .. كان الطقس حاراً والشمس حارقه حتى وقت الاصيل .. توقفت لها دون ان تلوح لى .. ازدادت شجاعتى وجرأتى عندما تذكرت ان "احلام يسن" غير موجوده بالشقه .. اغلقت الصبيه باب السيارة بعنف طفولى .

شنو ما عندكم ثلاجه فى البيت !!

ليه؟!

الباب دا إلا يبكى بدموعه !!

معليش زهجانه

المزهجك شنو ؟

عليك الله المابزهج شنو فى البلد دى !!

اسمك منو !!

رانيا

لا اسمك الحقيقى !!

اكذب عليك ليه .. والله اسمى رانيا

طيب يا رانيا رأيك شنو ناكل عدس ونشرب بيبسى وبعدين نناقش موضوع الزهج !!

يازول عدس عدس ارح .

ضحكنا كأنها ضربت لى هذا الموعد منذ فتره .. كانت طبيعيه فى حركتها وسلوكها .. دخلت معى الشقة دون خوف او ارتباك .. اغلقت جرس التلفون حتى لا تتصل بى "احلام يسن" فاصبحت احياناً املها لقد ذهبت اليوم الى صديقتها فى حي الرياض . ساعدتنى "رانيا" فى المطبخ

وثرثرت معى عن حياتها والجامعه .. تناولنا وجبة العدس وهضمنا بالبيبسى .. بعدها مباشرة تلصصت على شفتيها .. فاكتشفت انها فريسه سهلة .. لم اصدق نفس .. فالبراءة التى على وجهها لا تدل على ان لديها خبرة نسائية .. سالتها بتردد وخجل هل هى عذراء ام مفتوحة
للاسف ضلفتين يا اسمك !!
وراحت تضحك عانقتها رغم قصر قامتها فتملصت من بين سواعدى عندما شعرت اننى امتعضت من رائحة عرقها .. استاذنتنى لدخول الحمام .. رحت ارتب فى اوانى المطبخ سمعتها تغنى تحت الدش .. جلست انتظرها لكى تأتى عاريه .. تأخرت وبدأ القلق يعتق ذكورتى .. نبشت شنطة يدها مبدداً قلقى واتاكد من صدقها .. تاملت صورتها فى البطاقة الجامعية .. قرأت اسمها بالكامل رانيا على عبد المنعم الحسينى وقعت البطاقه من يدى .. شعرت بالسقف يسقط على رأسى .. اظلمت الدنيا امامى .. هرعت الى المطبخ اتقيأ على حوض الغسيل .. انها ابنة اخى الشهيد .. اريد ان اصرخ .. ابكى وجسدى يرتعش .. استندت على مصطبة المطبخ .. شعرت بالدوار .. فقدت توازنى واسندت جسدى على الثلاجه .. وقفت ابحلق فى الصالة .. لا ادرى ماذا على ان افعل !!
عندما غادرت السودان كان عمرها سنتين ووالدها لازال برتبة نقيب فى سلاح المدفعية .. ماذا اقول لها !! اسمع صوتها تغنى تحت الدش .. دموعى تهطل .. فكرت ان انتلها من الحمام واضربها ثم اجرها من شعرها واذهب بها الى جدها واضربها امامهم ثم اكشف عن شخصيتى .. اصرخ فى وجوههم لماذا تركتموها تمتهن الشوارع !! .. لماذا !! .
تخيلت والدى يرد علي ببروده الانجليزى : لماذا لم تعد انت وتحمى ابنة اخيك !! . جثوت على ركبتى امام المطبخ ابكى بأعلى صوتى .. يزداد نحيبى مع صوت غنائها .

خرجت من الحمام تصفصف فى شعرها وتضحك ببراءه معدومه .. احتضنتها واجهشت بالبكاء .. ابتعدت عنى مندهشه .. ربما جال بخاطرها اننى معتوه .. جلست على الكنبة تراقبنى .. تحاول ان تفهم سر بكائى .. تمنيت ان اكون مخطئاً ويكون تطابق اسماء .. شهرت عليها سؤال حاد خرج من بين حنايا العبره .
اين يعمل والدك ؟؟
جفلت وخافت .. اخذت فتره زمنية مؤلمة .. ارتبكت وتأخرت فى الرد على سؤالى .. وعندما شاهدتنى ابحلق فيها مكفهراً وعلى وشك ان اكرر عليها السؤال .. اجابتنى بنبره مرتعشه
بابا .. كان عميد فى الجيش و .. و استشهد فى الجنوب .
دخلت غرفتى بمشقه .. احس بالحيطان تدور حولى بعنف.. رميت بجسدى على السرير .. لا ادرى هل كانت تنتظر ان اعقب على اجابتها ام اسالها سؤال اخر .. دفنت راسى تحت المخده هارباً من هذا الواقع .. بكيت بندم ساعات طويله .. رأيت فى منامى اننى احمل سلاح واجرى خلف "رانيا" ابنة شقيقى اريد ان اقتلها .. هربت منى بين ازقة مدينه "صبراته" واختفت داخل احد المعابد الفينيقية .. رحت افتش عنها شاهراً بندقية والدى القديمه .. ابحث عنها بين الاثار القديمه .. شاهدتها تختفى وراء تمثال إله فينيقى وجهه بملامح "سنيّه عريبى" عندما تضحك .. هرعت خلفها وانا اصرخ .. تجرى "رانيا" وانا خلفها .. قطعت خلفها مفازه طويله .. رأيتها تدخل مسجداً فى وسط الصحراء كأنه دير .. فدخلت خلفها مباشرة ولكنى لم اجدها .. بحثت عنها فى كل ارجائه .. ازداد غضبى .. رايت رجلاً يجلس فى منتصف المسجد ويسبح الله فى سره .. اقتربت منه .. حيّته .. لم يلتفت لي .. اقتربت منه اكثر .. وجدته (اياد العراقى) الذى تعرفت عليه ايام كنت اسكن بالفندق .. سالته عنها ..

فاشار لي باصبعه فشاهدتها خلف نافذه المسجد .. صوبت عليها بندقية والدى ولكن "اياد" صارعنى واخذ منى سلاحى .
لم اشعر بنفسى إلا اننى استيقظ فى المساء بعد نومه عميقه .. تمنيتُ ان يكون الذى حدث مجرد حلم .. خرجت الى الصالة وراسى مثقل .. اشعلت الانوار وسيجاره .. دخلت المطبخ .. راجعت فى ذهنى ما حدث .. وجدت اثارها .. زجاجة البيبسى وحلة العدس .. وايضاً رائحة التقيؤ فى حوض الغسيل .
خرجت من الشقة بعد ان اصبح هواءها مسموم .. طعم شفتها على لسانى ولهاتى .. رغم اننى شربت قهوه مره لازيل نكهتها بلا فائده .. تحركت بسيارتى بلا هدف .. لم اتذكر حتى ان اضع المفتاح تحت السجاده امام الباب ربما تأتى "احلام يسن" .. لم يعد يهمنى احد .. وجهى عابس ومتجهم .. طقس الامسيه كثف من كآبتى .. ليلة عديمة الهواء والانارة .. بوخ حار يلفح الوجه ويأذيه .. صورة "رانيا" تخرج لى من فج الظلام تتسلل نور سيارتى .. اشعر باننى ساصطدم بها .. اجدها تخترق الزجاج الامامى وتستقر فى ذهنى كرصاصة مميته .. حاولت عرقلة استرسالى وجرجرت ذهنى نحو بؤرة الواقع .. قللت من سرعتى ورحت اتأمل الشوارع واحدد موقعى .. تلاحقنى نكهتها .. رائحة عرقها تعيد لى ألوان صورتها .. ضحكتها اثناء الاكل .. ابتسامتها بعد الحمام .. رعشه اجابتها على سؤالى .. شعرت بدموعى تفاجأنى كالخريف .. اوقفت سيارتى على جانب الطريق وواصلت نحيبى بصوت عالى واضعاً كلتا يداى على وجهى ومازجا العرق بالدموع .. وكلما تهدأ وتيرة حزنى ويهبط ايقاع البكاء يخرج من داخلى (صولو) حزين يفجر خلفه بكاء نحاسى – اوركسترا الحزن لا تتقيد بنوتة او مايسترو – ابكى بنشاز .. احس بملامح وجهى تبلدت .. داهمتنى كحة التدخين وخرجت معها احزانى الموقوتة.. احزانى القديمه التى كتمت علي انفاسها منذ امد طويل .. هاهى "رانيا" تدق

طبولها – المآسي يغمى عليها ولا تموت والاحداث المؤلمه تجبرها على النهوض والوقوف على بلكونة العبره بقميص دموع شفاف .. واحيانا يندلق عُريها عبر اللهات بآهات وصرير الحبال الصوتيه .. هكذا يبدو لى البكاء مترهلاً فى مجارى ظنى – اجهشت حدّ الاعياء .. فتحت باب السياره وتقيأت لعابى .. احسست بنسمات هواء رطب تدندن على وجهى .. تناولت رزمة مناديل ورقيه مسحت دموعى والعرق .. استلفت لرئتى مزيداً من الهواء وزفرته بقوه مستغفراً ربى وتلوت آية قرآنيه خرجت من لاوعيى .. فمنذ سنوات طويله لم اقرأ قرآن او حتى استمع له .. وعهدى بالصلاة ايام المدرسه الابتدائية .. اخر مره يوم تشاجرت مع شقيقتى الصغرى التى توفيت اثناء الوضوء .. اذكر اختلفنا انا وهى على سجادة الصلاه وكنت مصراً على ان اصلى المغرب قبلها ولكن والدى انتهرنى وزجرنى واخذ منى السجاده واعطاها لها لتسكت .. ومن يومها تركت الصلاه وكل متطلباتها .. حتى صلاة الجمعه لا اطيقها ولا اذهب مع اصدقائى الى المسجد .. انزوى داخل الصالون اشعر بصوت الخطبه يغيظنى ويزيد من توترى فارفع صوت الموسيقى كى لااسمعها .. كانت تثير اعصابى الخطبه .. وعندما سافرت الى بلغاريا لدراسة الطب كنت سعيداً بغياب عطلة الجمعه .. واذكر عندما علقت لزميلى وصديقى "عبد الوهاب نمر" حول خطبة الجمعه .. لم يرد على تعليقى لسببين اولاً لجهله بالثقافة الدينيه .. وثانية هو عادةً لا يهتم او يتدخل الا فى المواضيع التى تتطرق حول جودة الخمور او اتحاد الطلاب السودانين بمدينة صوفيا .
تحركت بسيارتى بعد ان احسست ان هذه الآية القرآنيه التى خرجت من لاوعي هدأت من روعى وجعلتنى اشعر بنقاء وصفاء ذهنى .. لمعت فى راسى فكره مبدئية ولكنى اقتنعت بها سريعاً : يجب ان ازور صديقى "اياد العراقي" وخصوصاً لاننى رايته هذا المساء فى منامى . كنت قد تعرفت عليه ايام اقامتى بالفندق .. تلك الايام الاولى لوجودى داخل

وطنى و عاجز عن زيارة اهلى وطرق الباب .. حبست احاسيسى المتأنبه
فى ذلك الفندق .. وجدت "اياد" يسكن فى غرفة مقابله لغرفتى .. تبادلت
معه تحية الصباح فى بهو الفندق وابتسم له اثناء وجبة الغداء .. حتى
إلتقت غربتينا فى صحن واحد .. هشمنا سراديب الصمت التى تعقب
التحايا .. وإلتقينا ايضا على هامش المعرفه فى تعليقات ساخره ،خص
خدمات الفندق والاجراءات البطيئة واشياء اخرى لا تخصنا .. كلّ منا
كان محافظاً على سريته واجندته .. فالحكاوى كانت حبيسة الماضى وفى
الجانب المشرق .. طعم النقاش لم يكن بعيداً عن السياسة ولكن بنكهة
تحفظ . كانت تنقله سياره مظلله كل صباح وتعيده بعد الظهر .. حاولت
ان اتلصص عليه واتجسس .. لاعرف ماذا يفعل فى بلدى او ربما حب
استطلاع فقط .. ولم اتوصل لمعرفة عمله او وظيفته حتى فاجأنى (
الشماسى) الذى يغسل السيارات امام الفندق واخبرنى ان "اياد العراقى"
يعمل خبير عسكرى فى التصنيع الحربى . استمرت صداقتى به حتى بعد
ان ترك الفندق وسكن فى شقه خاصة وانا كذلك .. نلتقى كثيراً فى اماكن
مختلفه داخل الخرطوم واحياناً يزورنى فى مقر عملى بدلالة السيارات .
توقفت امام شقته ووجدته بالصدفة عائداً من المسجد .. تذكرت الحلم ..
استقبلنى بحميميه .. دعانى الى داخل شقته .. لقد لاحظ جفونى المتورمه
وزمهرة عيناى ولكنه لم يسألنى او يستفسرنى فهو رجل ذكى يعرف
كيف ومتى ينفذ داخل الانسان .. صنع لى قهوة وثرثر معى حول الطقس
الحار وكمية المياه المعدنيه التى شربها خلال هذا اليوم .
لم يتطرّق لاحزانى واسبابها .. ولكنه بلا سابق اتفاق مد لى منشف جديد
وطلب منى ان ادخل الحمام واغتسل واتوضأ .. اخذت منه المنشفه بلا
تردد دخلت الى الحمامّ .. وعندما خرجت سلمنى كتاب قرآن مفتوح
وطلب منى ان ارتل بعض الآيات وبصوت مسموع .. لم اكن اعى ماذا

افعل رحت اطاوعه .. شعرت اننى سابحٌ فى فضاء او داخل حلم ضبابى
.. احس بشفافية نفسى .. ارى احزانى تغادرنى كالدخان ويستعمرنى ندم
عتيق .. احتضنت القرآن واجهشت بالبكاء .. انتهرنى "اياد" بصوت
خشن وحازم .. امرنى ان اتبعه .. وقفت على يمينه فى سجاده واسعه ..
وصليت خلفه بخشوع تام .. صوت القرآن يخرج من فمه ويحبس انفاسى
.. لاول مره اشعر برهبة هذه الايآت الموزونه .. قشعريره تزحف على
جلدى .. اشواك صغيره تنبت على سواعدى .. اسبح مع معانى الآيات ..
اجدها تتوعدنى بالويل والعذاب .. تنطبق المعانى على حالتى وافعالى ..
اشعر بها تخصني وحدى .. كأنما اختارها عمدا ليمهد لى طريق التوبه ..
اهتزت اقدامى وخارت قواي .. سجدت ابكى باعلى صوتى .. ساعدنى
واسندنى على كتفه كى اصل الى السرير ثم اشعل الاباجورة وسلمنى
القرآن فى يدى .
بعد يومين عرفنى باحد مدراء التصنيع الحربى وتم استيعابى فى وظيفة
مؤقتة بمعمل الكيمياء .. وفى نفس اللحظة بدات تدريبات عسكريه داخل
المصنع وفى دواخلى شيئا ما يدفعنى كى اكفر عن ذنوبى فى اسرع
وقت. سكنت مع "اياد" فى شقته وبعد اسابيع اقترح لى ان اشارك فى
احدى الافواج المتوجهة لشرق البلاد بحثاً عن غفران اعظم .
شعرت بالغضب يفتت عظامى .. هذا الاسير البشع كأنه يستغل وجود
الظلام ويغرز (السونكى) على ظهرى .. نفس الاحساس الذى داهمه
عندما اصطاد فتاةً من الشارع واكتشف انها ابنة اخيه .. احساس غايه فى
البشاعه واللزوجه .. لقد اصابتنى عدوة الاحساس المر .. رغم اعتقادى
باننى فصلت "احلام يسن" للصالح العام واعتبرتها حبيبه متقاعده وهى
تبدو لى كذلك .. إلا ان هذا الاسير اشعل بداخلى نار غيره ملتهبه .. لقد
فجعنى وهو يحكى عنها وكيف كان يضاجعها .. اضغط على اضراسى

.. لمن يا ترى اهدت عذريتها !! تتثاءب رموشي وادمع فى الظلام .. ما ابشع ان تسمع احدهم يروى حكاوى عن حبيبتك .. يصف لك جسدها وصعودها معه الى تلة اللذه حافية الازياء .. وكيف كانت تضحك وهى تحترق وسط الاعشاب اليابسة المشتعله .

تقيأت جرعات الويسكى الاخيره ومعها اهآتى واشياء اخرى .. فى بادئ الامر تعاطفت مع سيرته المأساويه وكنت على وشك ان اتضامن معه ولكنه عندما نطق بإسمها وكشف عريها شعرت بقلبى ينشطر .. لم اعد اطيق رؤيته وفتلت عنه رأسى فى الاتجاه الآخر .. جسدى يتعرق رغم زمهرير الصبح والنسايم التى هبت هاربه من انفجار الفجر .. الصبح كان قاب قوسين وينجلى . بحثت عن ردود افعال تتناسب حجم الاهانه .. لقد انتصر زوربا على جيفارا فى جولة الاحاسيس الحاسمه .. انتصر دون يعلم بفوزه .. ولكنه لا يعى ان اللااخلاقيه والفوضويه ليست اقوى من مبادئ جيفارا وقناعاته المستميته .. فكرت ان اضع انسانيتى ومشاعرى داخل مخزن الذخيرة وافرغ على رأسه كل هذه الرصاصات دفعة واحدة وانتصر عليه .. ولكننى لم اكن قويا وجرئ مثله لاختتم واحسم مصيرى بهذه السرعه .. ظللت اخوض فى منولوجاتى واحياناً اغطس داخل ندمى .. ابحلق فى الظلام الهارب وهروبى .. شعرت برجلى خدرت ونمّلت ولم اعد قادراً حتى على ثنيها .. ادوس على أسنانى بقوة .. تختلج عيناى وتضطرب .. اسنمت بداخلى مراره وتحسر وندم .. تذكرت عندما شاهدته اولّ مره داخل معسكر الاسرى وكنت اراقبه وخامرنى احساس ان هناك شيئاً ما يربطنى به او شيئا يدفعنى نحوه ولكنى لم اهتم بحدسى .. لم اتوقع ان تكون "احلام يسن" هى الموضوع الاساسى فى فِهرس علاقتى به .. ليته دبر خطة وهرب منى قبل ان يصف لي ملابسها الداخلية .. اخفيت عنه دموعى .. اشعر به

ينظر الى صدغى وينتظرنى ان ابدى تعاطفى تجاه مأساته وفشله حتى فى الموت .. لقد روى لى حكاية مأساته بسيناريو ملحمى معتمدا على طريقه السرد البريختى لكى اتعاطف معه وفى نفس اللحظة اتخذ موقفا ذهنياً حيال مأساته .. واستوعب حتى منطقه فى الاستشهاد .. رحت اماطله فى ردود افعالى وتعاطفى .. لم اعد افهم هل انا اعيش الان واقعا حقيقياً ام انه مجرد مشهد داخل حلم . تذكرت ليلة امس لقد رأيت فى منامى اننى داخل عربه عسكريه فى منطقة المعسكرات مع مجموعه من الجنود واحمل فى يدى سلاح بلا رصاص .. تجلس بجانبى "احلام يسن".. تتوسلنى ان اترك سلاحى جانباً واهتم بها واقبلها .. شعرت بالاستحياء والخجل عندما صدرت ضحكة مختصرة من الجنود .. تأملتهم بغضب من بينهم كان "خالد منعم" الاسير .. اعتذر لى بأدب وطلب منى ان اسلمه سلاحى واهتم بـ "أحلام يسن" .. ولكننى زجرته وبصقت فى وجهه .. وطلبت ايقاف الشاحنه ونزلت منها غاضباً ومنفعلاً وطلبت استبدال سائقها الذى وجدته صديقى سابقاً ياسر فقيرى وبنفس ملابسه العسكريه .. لم يصافحنى ولكنه ابتسم لها وراء ظهرى فاغاظتنى هذه الحركة .. ورغم اننى لا افهم فى قيادة السيارت رحت اقود العربه بغضب وجنون .. تجلس بالقرب منى "احلام يسن" كانت تحاولت ان تهدئ من انفعالى وترجونى ان اقلل من سرعتى .. لم اعد اتحكم فى العربه فانحنت وحاولت ان ترفع لى قدمى من دواسة البنزين .. استيقظت بيد "سمراويت" وهى تهمس باناملها على قدمى . جاهدا حاولت ان افسر هذا الحلم ورابط لا منطقيته بواقعى .. كان ذهنى ساعتها لا يفكر الا فى طريقة افشال خطة سمراويت والاسير .

لازال "خالد منعم" يتأملنى خلسه ويرجونى فى ذهنه كى اعقب على سيرتة المأساويه .. فهو لن يتخيل مطلقاً ان تكون لى حتى معرفه عابره بـ "احلام

يسن" .. كنت على وشك ان اقاطعه فى سرده عندما نطق بإسم شقيقها "كمال يسن" واخبره اننى اعرفه وشقيقته كانت حبيبتى او لازلت احبها فى سرى رغم انها غدرت بى .. حتماً كان سيغير احداث روايته .. لقد شاركنى فى حبها وادمن جسدها . لقد اصبحت امقته ولا اريد ان اراه .. لن اعترف له بهزيمتى ولا اعتقد انه انتبه لي او لاحظ ارتباكى عندما نطق باسمها .. جعلنى اتجرع من زجاجة الويسكى كى ابتلع مذاق الدهشه .. كان مهتماً فقط بخيط ذكرياته .. ولم يشاهد حتى اضطرابى ورعشتى .

احسست بجسدى كله نمّل وسخّن .. لم اقو حتى على رفع بندقيتى .. لعنته فى سرى .. لقد جرعنى جرثومة مأساته مع نكهة الويسكى .. نكهة الهزيمه عالقة بلسانى .. لم اكن اعلم ان لعابه ملوث بجرثومة غضب الوالدين وكرويات دم البكاره التى هتكها وهرب .

قررت ان لا اعترف له بهزيمتى وايضاً لن انكسر امامه .. ولكننى لن استطيع ان أحرسه بعد الان .. أو حتى اعيش معه فى مكان واحد .. لايمكن ان اشاهده يومياً فضيحة الاحلام تتراقص على مقربه من عينى .. انظر لحبيبتى تتعرّى فى غيابها واشم بخار لذتها واتخيل شهقتها كالوشم على ذراعه .. ولن استنشق مزيداً من جرائيمه .

احس بالضغينة اتقدت نارها وتأججت بداخلى .. ألسنة الغضب الشرسه تلحس فى اطرافى وتقبل اقدامى .. تحفزّنى وتحرّضنى لكى ارتكب حماقة وجريمة .. اصوات صالة الرقص تعود الى اذنى .. موسيقى صاخبة حولى .. مبادى الدوار .. تتصاعد الاصوات المزعجه داخل ذهنى هتافات عاليه .. صخب نحاسي يدق فوق رأسى .. افكر فى اسهل طريقه اقتله بها واختتم هذا المشهد العبثى واسدل الستار على هذه الهتافات الغاضبه .. ايدتنى مبرراتى الجاهزه .. فهو اسير وانا حارسه سأدعى انه حاول الهرب ويبدو شيئاً منطقياً ونحن خارج المستشفى .

وقفت بصعوبه مستنداً على غضبى والبندقية واصدرت له أوامر عسكريه بصوت حازم وبحّة الاعدام شاهراً له سلاحى.. نهض مندهشا وتمايل كالبندول .. امرته ان يتحرك امامى ومنعته حتى الكلام .. تحرك ببطء وملامح وجهه غير راضيه عن نفسها وعن سلوكى المفاجئ .. مشى امامى بلاخوف يتأمل بدايات الفجر واللون اللازوردى .. راح يشبع عينيه بهذا المنظر ويمتلى به لاخر لحظة فى حياته .. التوقيت كان مناسباً .. يشبه اوقات الاعدام رمياً بالرصاص .. نفس كآبة التوقيت .. ورعشة اصابع كتيبة الاعدام .. نفس لحظات حزن اليتامى _ الكآبة لا تعرف ان الكون به ظلام واضاءة .. فهى تأتى بلا دليل سياحى _ اسير خلفه مكتئب .. احيانا اكاد احسم صراعى وانشن بسلاحى على رأسه .. افضل ان تخترق الرصاصات ظهره .. خطوة تدعونى وتشجعنى على قتله والاخرى تستجدينى ان لاافعلها .

رجعنا الى المستشفى عن طريق البوابة الرئيسية وفى تحدٍ واضح لحارس البوابه الذى تابعنا بنظرات عاجزه امام جرأتى .. مازلت مصوباً على ظهره حتى باب العنبر .. امرته ان يدخل الى الغرفه وجلست على كرسى الحراسه ابكى بصمت .

وبما ان اليوم كان عطلة وحركة المستشفى الصباحية ضئيلة .. انتظرت حتى دبت الحياة ونهضت الشمس كأمى المسكينه واوقدت نارها الدافئه كل صباح .. ذهبت بعد ذلك الى الكافيتريا واتصلت بقيادة التجمع الديمقراطى وطلبت مقابلة احد المسؤولين وبلا تردد قدمت اعتذارى عن استمرارى في النضال بحجة ان هناك مستجدات طرأت بخصوص اجراءات لجوئى السياسى فلا بد لى من العوده الى هولندا وفى اسرع وقت .. استبدلونى بحارس اخر وشيعنى فى إلمطار احد كبار الضباط وسلمنى مبلغ مالى وساعة يد بها شعار التجمع الديمقراطى .. صعدت الى سلم الطائره وبى احساس مرير .. شعرت بجيفارا فى داخلى ينزع طاقيته من على رأسه و يجز فى شعره المسدل الطويل ويبكى .

(ج)

رميت مفكرة خالد عزالدين على الارض وشعرت بمعدتى تقف على فوهة حلقى .. هرعت الى حمام الصالة .. تقيأت وغسلت وجهى .. جسدى اصبح متهالك والاشياء تدور حولى بسرعه .. لم اعد اقوى على المشى جلست على مقعد التوليت بقميص النوم .. اثار الدموع على عنقى وبللت حتى صدرى .. رجعت ابكى موت شقيقى "كمال يسن" .. ومتقززه فى نفس اللحظة من هذا اللقاء الغريب .. لقاء لا يحدث حتى فى الروايات .. لا استطيع ان اصدق ان خالد عزالدين النقى بـ "خالد منعم" !! جاءتنى رغبه ان ادخن سيجاره بعد ان تركته منذ سنوات .. احسست باننى تافهة.. اجلس عارية وبشعة داخل صفحات مفكرة خالد عزالدين .. قررت ان اخرج من الحمام وامزقها واحرقها .. لماذا لم يخبرنى عن هذا اللقاء !! هل تجاهل مفكرته وهو يعلم اننى سرقتها لكى اجد نفسى بداخلها عارية حتى من كرامتى !! كأنه يرغب فى ان يذلنى من خلال طمعى وانانيتى .

اصبحت اتقيأ كلما تذكرت "خالد منعم" بعد ان رايته عبارة عن اسير داخل مفكرة خالد عزالدين .. لقد استنكر حتى علاقته بشقيقى "كمال يسن" رغم انه كان اقرب صديق له .. اتذكر كنت احتضنه عاريه وادفيه بجسدى وحبى لحظة ان سألته عن شقيقى .. اكد لى انه لم يسمع به .. هل ياترى سمع بوفاته !! وربما كان هو سبب موته !! لان بعض العائدين من ليبيا اكدوا لوالدى ان حادث الحركة كان مدبراً .. وامى لم تجد جثماناً تبكي خلفه .. لقد دفن بسره فى تلك الصحراء الليبية .

رغم اننى احببت "خالد منعم" وتمنيت ان اتزوجه وخططت لحياتى معه فى ذهنى .. لقد إلتقيته ايام كانت مشاعرى عباره ارض بور رأيت فيه المسيح المخلص لقد انتشلنى من بركة كآبتى التى صب عليها "ياسر

فقيري" قاذوراته وهرب .. تخيلت انه سيعبر بي الى ضفة النهر ولن يتاثر بمحفظة شرفى المفقوده .. اصبحت الان امقته بشده بعد ان رايته متجسدا داخل المفكره يروى عن خذلانه وفشله ببشاعه .

قررت ان لا استمر فى كتابة هذه الرواية فقد اصبحت مقززه ولا تصلح للقراء .. يجب ان احتفظ بهذه الاسرار لنفسى .. ويجب ايضاً ان امزق مفكرة خالد عزالدين .. لقد اكتشفت خطته الدنيئة فى ان يذلنى بطريقته الخاصة .. ولكنه ايضاً كشف لي لغزاً مهماً .. اتعبنى فى حياتى السابقه .. لم اكن اعلم اين اختفى "خالد منعم" فجأةً من حياتى لقد بحثت عنه كثيراً بلا جدوى .. رغم اننى كنت اشعر به يتسرّب من بين مسامات عشقى يوماً بعد يوم .. ولكنى لم اتخيله سيختفى عن حياتى نهائياً وللابد . لقد كنت واهمه نفسى بقوة مشاعرى وإلتفافى الاخطبوطى حوله .. تعاملت معه بتكتيك .. وكان مزعناً وخاضعاً لسور مشاعرى وطيعاً بين ايادى انوثتى وخاصة بعد زيارتى لـ "شيخ مكي" فى مدنى .. ذلك الشيخ الذى ساعدنى فى سفر خالد عزالدين الى هولندا .. ذهبت اليه هذه المره لوحدى .. جلست معه فى غرفته العابقة برائحة البخور والجوافه .. رويت له بدون استحياء عن علاقتى بـ "خالد منعم" وعشقى له وتوسلت اليه ان يجعله يحبنى ويتزوجنى .. شتمنى شيخ مكى بألفاظ بذيئة واتهمنى بأننى صعلوكة وتافهة .. وتوقعت انه سيطردنى من حضرته ولكنه دعانى كى ادنو من بخوره ومسح بيده الخشنة على وجهى ثم اعطانى بخرات وطلب منى ان استعملها لمدة اسبوع ولا-ارى "خالد منعم" خلال هذه الايام السبع . شعرت به بعد ذلك يتلهف لرؤيتي. لا يرفض طلباتى او يتاخر عن لقاءاتى .. قطع علاقته بكل الفتيات اللاتى عبرن ظلام سيارته المظلله .. وراح يستجيب لفكرة زواجنا .. ولكى نتطبع على الحياة الزوجيه القادمه طلبت منه ان اقيم معه فى شقته ولكى اضمن عدم

خيانته لي .. فمن يمتلك فى الخرطوم سياره مظلله وشقه مفروشة لن يسلم من اغراءات فتيات الطريق .

اصبحت اقيم معه فى شقته .. يخرج فى الصباح الى مقر عمله بدلالة العربات واحيانا اذهب معه ليوصلنى الى وكالة السفر والسياحة وفى الغالب اظل بالشقة متقمصة دور الزوجة الطباخة.

وعندما كنت احس بلهفته بدات تخمد اجلس فى الصالة اتصنع الملل والاستياء .. ارسم بادوات المكياج الذهنى تعابير حازمه وتجاعيد غاضبه على وجهى .. ارفض مزاحه وغزله .. اتمنع واجيب على اسئلته باقتضاب وامنع حتى يده ان تلامسنى .. اجعله يعتذر لى بلا اخطاء .. يلاطفنى ويغمرنى بعاطفه وتحنان ترضى غرورى .. يحدثنى عن زواجنا .. ابتسم دون ان افقد تقمصى للشخصية التى ألعب دورها بجدية .. ويزداد ايمانى بـ "شيخ مكي" . واحياناً عندما اشعر بظمأ غرورى لا يواكب موضة العطش الانثوى .. الجأ الى اثارة غيرته .. ارتدى فى ذهنى فستان قصير واكشف عن افخاذى للاعين الجائعه .. اروى له من خيالى ودون مناسبه عن الشخص الذى وقف لى بسيارته الكريسيدا المظلله واوصلنى من الوكالة الى الشقة وكتب لى رقم تلفونه ووعدنى بان يجد لى وظيفة مناسبة ثم اسأله هل اتصل به ام لا !! ولكى يصدق قصتى كنت اكتب ارقام تلفونات عشوائية على قصاصات واضعها داخل شنطة يدى فاعلم انه سينبشها لحظة الغضب .. او احكى له ببرود عن دعوة العشاء فى فندق الهلتون التى وجهها لى احد زبائن الوكالة ثم استشيره فى تلبية الدعوة !!

لم يكن "خالد منعم" يغير علي من تلقاء نفسه فغربته الطويله والمآسى التى لم تخطى سهامها جعلته ذو مناعه ضد الافتقاد ـ امى تقول الغربة تحجر القلب ـ لذلك كنت انا بنفسى احرك بركة غيرته وارمى بداخلها

حجر و اتلذذ بدوائر غضبه وكل ما يكبر محيطها وتبدأ فى التلاشى ادعمها بحكاوى اخرى واحبك التفاصيل .. اجعله ينفعل ويخلج حاجبيه وتكاد عيناه الواسعتان تقفزان خارج عدساته الطبية .. يتعصب ويتشنج .. ينبش شنطة يدى و يمزق القصاصات .. تتوه عنه مفردات الغضب السودانى .. يشتمنى بلهجة المغرب العربى ويستعين بلغة اجنبية .. يتجشأ على وجهى اسئلة الشك ولا ينتظر اجاباتى تكتمل .. كنت اسعد بثورات غضبه وانفعالاته .. تعجبنى توترات عضلاته وصياحه المزعج . اعشق دوماً ذلك الغضب الذى يجعله ينفخ بدخان سيجارته على وجهى وانفاسه الحاره تصبح فاكهة شبقى .. يهددنى بان يطفئ السيجارة على صدرى .. كنت اتمنى ان يفعلها لأصدق غيرته . فأحياناً لا اثق فى غضبه .. اشعر به لعلاع وسخيف .. وربما ايضاً يجيد التمثيل مثلى .. تمنيت ان يضربنى ويحبسنى داخل الشقة ويمنعنى الخروج والعمل حتى لا امتطى السيارات الفارهة فى ذهنى .

وفى الفترة الاخيرة قبل اختفائه اصبحت احس به لا يطيقنى ويتذمر من وجودي .. ففضلت ان اخفف عنه الاختناق واحافظ على منسوب ماء وجهى فذهبت اقاسم "احسان يعقوب" شقتها وازوره فى الامسيات.. حتى فكرة زواجنا انسلخ عنها وراح يماطلنى .. اصبحت مجرد حلم لذيذ اتذوقه يومياً قبل ان انام .. لم اكن ادرى لماذا تخلى عن فكرة زواجنا .. لقد صارحته بالحقيقة وسلفنى وعوده واقسم لي بقبر امه اننى ساصبح امتداده الطبيعى وام اولاده .. كان ايامها يرتدى زيّ ليبرالى .. حتى "منال الطيب" (الشنّافه) اعجبت به .

اذكر فى تلك الامسيه قبل اختفاءه باسبوع كنت اجلس معه داخل سيارته ونقف بها امام شقته .. اجلس متكأة براسى على الزجاج المظلل مرتديه عباءة احسان يعقوب السوداء وتحتها بنطلون جنز وبلوزه .. اخربش

باظافرى على شنطة يدى .. وهو مازال محتفظاً بصمته ويدخن بشراهة
.. ينظر الى اللاشئ .. لايعطى لوجودى اهتمام .. لا ادرى فى ماذا يفكر
!! ولا اجتهد كثيرا كى اتسلق ذهنه.. اكتفى باول استنتاج – نحن النساء
مهما نمتلك من ذكاء وافكار شيطانيه سيظل الغباء يلازمنا من جراء
الضباب المنبعث من اذهان الرجال – اكيد ضجران وغضبان من
اصرارى على لقاءنا اتذكر ايامه الاولى واسرح مع تلك الامسيات .. ابدأ
باليوم الذى كنت اتوسد ساعده عاريه إلا من الفرح واتلذذ بسيجارتنا
المشتركه ومنتشيه من متعة نارى التى اطفأها قبل قليل .. اهمس له فى
اذنه وانا سابحه فى احلام ورديه

عندى ليك اخبار ما جميله !!

زى شنو !!؟

ما بتنازل عنك !! والله ياخالد منعم لو خليتنى بقتلك .. فاهم !!

يضحك مبعثرا دخان سجارته حول وجهى كالغمامه .. ثم يقبلنى بعنف .
ارجع واعود اتأمله الان .. يبدو لى شخص اخر .. حتى ملامحه تبدلت
وتغيّرت . يعض على اضراسه من الغضب .. يشعل سيجاره من
الاخرى ولا ينفخها فى وجهى .. اخاف ان لا يدعونى لدخول شقته .. فانا
فى هذه اللحظة اتوحمه واتحرق شوقا لكى انام عاريه تحته واعض على
كتفه كاتمة صرختى . مسكت يده ورحت اقبلها واتمتم باعتذاراتى ..
امرر يدى على شعر صدره كالمغنطيس ألملم بها شوائب الغضب من
داخله .. فبدون ان يصرّح بقبول اعتذاراتى راح يغلق فى زجاج نافذة
سيارته .. شعرت لحظتها برغبتى الجنسية تكاد تسبقنى الى السرير .

اصبحت مقتنعه انه قد تغير وبدأ يتسرب منى .. وخاصة فى تلك
اللحظات التى احس فيها انه يريد ان ينتشى ويبعد عن جسدى ليستلقى
على ظهره ويشعل سيجارته . اصبحت اغتاظ منه لم يعودنى على ذلك ..

كان فى السابق يجعلنى اصرخ عدة مرات .. يدعسنى بكل قوته .. احسه
يملخ اوراكي .. لم يكن يفتر مطلقاً .. يكرفسنى تحته وينتلنى بقوه حتى
يرج حليبى .. يحسسنى بغرغرينه لذيذه فى ودعة شبقى .. اسمع صوت
زغاريدى وصهيلى .. يلتحم بى للابد .. اصرخ وليس من الألم .. ينثر
على جسدى توابل ما قبل حالة الاغماء .. احتويه وانا اندّى من الفرح
كنت اتلذذ واستمتع بشهوته الخلاقة .. امنت برجولته.. سألته فى احدى
الايام عن سر قوة شهوته فحكى لى عن اسطورة (بلح العجوة) فيقال ان
جده الحسينى اورثه هذه القوه الجنسية الخارقه .. ويحكى ان جده الذى
ينحدر من اسره عريقه من احدى بطون قبيله الشايقيه قد خطفته جنيّه
حسناء .. عندما كان صبياً .. لقد وجدته يسبح عارياً داخل النيل ..
اعجبت بجسده الفائر وملامحه القاسية .. حاول ان يصرعها داخل النهر
وينتصر عليها ولكنها صفعته على وجهه حتى اغمى عليه وبعد ذلك
حملته واخفته فى مغاره داخل الجبل .. لم يتجرأ احد ان وينقذه او حتى
يقترب من المغاره .. وخاصة لحظات الغروب ويقال انها اللحظات التى
تخرج فيها الجنيّه من المغاره و تتمشى بين الحقول وتأكل التمر . اجبرته
الجنيّه ان يتزوجها او تقتله .. عاش معها سنوات لا يأكل سوى التمر ..
وكان يضاجعها يومياً .. واقسم اهل القريه انهم كانوا يسمعوا صوت
صرختها يأتى من وراء الجبل .. حتى حيواناتهم الاليفه كانت تجزع من
تلك الصرخه .. وعندما حبلت منه وعدته ان تطلق سراحه اذا انجبت
طفلاً ذكراً .. ويقال انه استيقظ فى احدى الايام داخل المغارة ووجدها فى
لحظات المخاض وانجبت له شتلة نخل انثى وهربت . عاد الحسينى الى
اهله وغرس تلك الشتله فى وسط حوش والده .. و قد ادهشت اهل القريه
بنموها السريع الخرافي فسريعاً ما مدت عنقها نحو السماء واثمرت بلحا
عجوه حلاوته لا توصف .. طعمه كالشهد .. راح الحسينى يعالج به

الامراض المستعصية .. ويقال ان كل رجل اكل من تلك العجوه صارت زوجته تصرخ تحته من شدة النشوه . واخبرنى "خالد منعم" انه عندما كان صغيراً شاهد نخلة جده الاسطورة واكل من عجوتها .. وبعد ان صار يافعاً اخبروه انه ورث ملامح جده الحسينى وطباعه .

لم يعد يعيرنى اى اهتمام يظل مستلقياً على ظهره يراقب فى دوائر الدخان التى تخرج من سجارته ثم يدعسها بغضب سرى ويشعل اخرى ويدخل بها للحمام .. يتركنى فى سريره عاريه إلا من الحسره والندم .. فبعد ان تبخرت لذتى وصار لحاء الندم يكسو جسدى .. اشعر به يأكلنى ويغرس اظافره فى جسمى العاري .. انهض بسرعة وارتدي ملابسي .. اشعل سيجاره .. اتابع تلاشى الدخان مثل نشوتى .. اعض على اضراسى من الغيظ .. اتمنى ان اغادر جسدى ونتانتى .. ألعن تلك الليلة التى فقدت فيها عذريتى .. رغم اننى كثير ما استرجع تفاصيلها فى خيالى عندما اكون فى مدنى ويكون القمر بدراً . لقد اصبحت احسد كل فتاة عذراء واتمنى ان اكون مثلها .. واخجل حتى ان اقول اننى من مواليد برج العذراء .. ليتنى لم اجرب تلك اللذة التى يعقبها الندم !! لماذا اطلقت العنان لانوثتى وتركتها تلهث وراء حدودها !! .

خرج "خالد منعم" من الحمام واشعل سيجاره اخرى دون ان يقبلنى كعادته .. شعرت به يحتقرنى .. ينظر لى فى سره كعاهره انهت مهمتها بدقه واخلاص وتنتظر ان يفتح محفظته ويدفع لها .. شعرت بدخان سجارتى يصطدم بعبرتى .. ليتنى ظللت جالسه داخل سيارته ولم ادخل شقته واهين نفسى .. وندمت على إلحاحى لهذا اللقاء .. انهارت ملامح وجهى .. ارتميت على صدره انتحب بحراره .. يمسح بيده على شعرى .. يهدهدنى برفق .. يتدفق منه حنين عتيق .. يبصم على وجهى قبلات عشوائية .. يضمنى اليه بقوه انفاسه تدغدغ خلف اذنى وتصبح فاكهة

شبقى .. يلحس دموعى .. يحتوينى اكثر .. شعر شاربه يجعلنى اسخن واقشعر ..اشعر بحلمات صدرى تستعدان للانطلاق من ربوتيهما .. ابدو فى نظرى كطفله حديثة الولاده .. عيناى مغمضتان من النشوه وابحث بفطرتى عن شفته السفل وارضعها .

كالمجرم يختبئ الندم ولكنى لا ارى سوى انوثتى تتفتح كزهره برية .. واجدنى اساعده على تعرية جسدى .

فى نفس الاسبوع بدأ ينتابنى احساس اننى سافتقده وللابد ولم اصدق حدسى .. وعندما اخبرته بمضمون احساسى ضحك بقهقهة عالية حتى اجتاحته نوبة الكحة المعهوده .. فهو مدخن شرس لا تهمه حتى تعليمات الاطباء .. كأنه كان يبحث عن موت بطئ يخفف به المآسى التى تراكمت عليه دون شفقه .. ولم يجد مأزره تناسب حجم هذا الحزن . كنت اعشق ذكرياته واتفاعل معها .. اتوسد زراعه واناصفه اللفافه والدموع .. انصت لسرده وهو يحكى عن صفعات الحزن التى تحملها لوحده فى غربه بارده .. توفيت شقيقته الصغرى اثناء الوضوع .. تلقى هذه الفاجعه بعد ان مهد له احد اقربائه وهو طالب بكلية الصيدلة .. يومها كان عائدا من عمله كمنظف غرف بفندق (رودينا) .. حاول طالب الصيدلة بعد ان اتفق مع "عبدالوهاب نمر" على تخفيف قوة الصدمة عليه والتمهيد لخبر الفاجعة ولكنهما اجتهدا دون فائده .. وعندما دخل غرفته وجد فى انتظاره عدد من زملائه .. منهم من لم تكن تربطه به علاقة زيارة .. وشخصيات يمقتها ويعرف انهم يكرهونه.. وجدهم كلهم متجمعين داخل غرفته دخل منهك واخفى خلف الباب زجاجة الخمر البلغارية .. صافح الجميع بجمود وقلب مرتعش .. خاف وارتبك .. شعر ان هناك شيئا ما قد حدث .. خمن سريعاً ان والده قد توفى وخصوصاً انه مريض هذه الايام .. اختلجت عينيه .. لم يكن هناك مكاناً مناسباً لجلوسه رغم اصرار بعضهم .. خرج

الى البلكونه حافى الاقدام ويرتعش .. جاء خلفه صديقه "عبد الوهاب نمر" ونقل له خبر وفاتها بصوت مبحوح ومفردات ذات غصة .. لم يكن يضع موتها ضمن قائمة احزانه المرتقبة والمتوقعة .. فزواجها كان اخر افراح أسرته ولكنه لم يسعد بحضوره فقد ارسلت له صورة زفافها وكتبت تقول له : انها افتقدته فى زواجها ولم تكن سعيدة بما يكفى !! . فى بادئ الامر لم يكن مستعداً ليستوعب هذا الخبر .. ظل جامداً ومتجهم ..لم يتعامل بجدية مع زملائه اثناء عزائهم .. كانت أمنيته ان يفصحوا عن كذبتهم .. ولكنهم لم يفعلوها .. ظلوا صامتين يعاقرون حزن حقيقى .. بعدها صرخ بأعلى صوته ولطم راسه بالحائط ثم سقط على الارض .

كنت امسح دموعى التى تسيل على ذراعه وامرر بيدى على صدره لكى اخفف عنه احزانه واوعده باننى ساصبح بديل لكل الذين افتقدهم .. واهمس له بخيال يقظتى .. ارسم له حياتنا الزوجية واعاهده ان اكون معه للابد.. يراقب دخان سيجارته ويستحلب فى وصف احزانه : لقد حبس نفسه داخل غرفته .. تغيب عن الدراسة والعمل .. يشرب الخمور البلغارية ليل نهار .. لايستقبل إلا صديقه "عبدالوهاب نمر" .. يبكى ويتأمل صورة زفافها وهى تتكئ على صدر زوجها بابتسامه ساحره لا علاقة لها بما سيحدث .. لم يكن يعلم انها حامل وهى لم تخبره فى رسائلها بعد الزواج – فالاخت عادةً تستحى وتخجل ان تخبر اخاها بالحمل .. تظل تخفيه كأداة جريمة حتى تنتفخ بطنها ويصبح حملها واقعاً ملموس – يتأمل ابتسامتها فى الصورة ويجهش بالبكاء حدّ التقيؤ .. لم يتجرأ ويبعث ببرقية تعزية .. او يتصل كى يستفسر عن طفلها ومتى توفيت !! فمنذ انقطاع مصروف الدراسة عنه قرر ان لا يراسل احد سوى شقيقته التى توفيت الان . لقد تاخرت عنه مصاريف الدراسه وبحماقته المعروفة بعث برسالة توبيخية جافة لشقيقه الاكبر والذى

يدعمه ماديا .. فرد عليه بخطاب اسوأ مما كان يتوقع وقطع عنه المصاريف للابد . احتفظ بالرسالة ولم يمزقها .. فكر ان يذل بها شقيقه يوماً ما .. وصار مجتهداً فى احلام اليقظة ومتحديا شقيقه .. يتخيل نفسه وقد كد واجتهد حتى اصبح طبيباً مشهوراً على مستوى العالم ويفتخر به ابناء وطنه .. ويحكى عنه فى الاوساط العلمية .. يضرب به المثل فى المثابرة والاجتهاد .. يتخيل يوم عودته للوطن وكيف استقبلته الدوله استقبالاً رسمياً .. يصل الى منزل اسرته المتواضع وخلفه موكب شعبى .. ساعتها لن يصافح شقيقه الضابط قبل ان يعنّقه امام الاسرة ويسلمه ذلك الخطاب القديم ويطلب منه ان يقرأه بصوت عالى .. لن يصفح عنه حتى يراه يتجرّع الحسره والندم .

لقد كرّس كل طموحاته وانجازاته التى لم تتحقق من اجل ان يذل شقيقه ويجعله يعتذر . ولكن تاتى رياح الواقع بما لا تشتهى الاحلام .. اعتذرت له ادارة الجامعه وفصل عن الكلية بسبب غيابه المتكرر .. فالاكاديميات لا تعرف الاحزان .. قالوا له : لن تتوقف الحياة لموت شقيقتك .. وكل محاولاته ضاعت سدى .. حتى رب العمل رفض مقابلته . شعر بمدينه صوفيا لا تطيقه وتزيد عليه الاختناق .. لعن اهلها واليوم الذى داس فيه على ترابها .. وقف وسط صالة الرقص يترنح مخموراً .. معلناً عداوته لتلك المدينة .. وصرخ بما اتته الخمره من شجاعه مصوباً لعناته الاستفزازيه لكل الراقصين وبلغه بلغارية وقحه .. تركوه يلعن حتى حكومتهم نفسها .. ثم سقط داخل حلبة الرقص يبكى .

اخبرنى انه سافر بعد ذلك الى طرابلس الغرب وظلت طموحاته فى ان يذل شقيقه الاكبر هى هدفه الاساسى وتغيرت فقط آلية الاستفزاز .. فبعد فشله فى دراسة الطب اصبحت عودته للوطن بلا شهادات غير واردة .. سينظر له الاخرين بعين الشفقة .. وتنبذ غربته التى ضاعت هباءاً ..

حتما ستتحسر والدته التى ردمت فيه كل احلامها .. لذا قرر ان يعوض فشله الاكاديمى بالمال ويصبح احد الاغنياء . سكن فى منزل مشترك بالمدينه القديمه مع ثلاث من ابناء وطنه .. لديه ازقة خصوصية يحفظها جيداً تربطه بين العمل والبيت .. لم تكن لديه اى حوارات او خصوصيه مع شركاءه فى المنزل .. يجتمع معهم فى وجبة العشاء ولا يتكلم .. لم يخبرهم بتفاصيله ..من اي قبيله !! أو اين يسكن اهله !! او حتى من اين جاء !! ظل عباره عن لغز ينهش فى اذهانهم .. فى غيابه يحبكوا خطة يقتحمون بها خلوته و سره .. ولكنهم كانوا يتلعثمون فى حضوره .. تجرأ احدهم فى غيابه وقام بنبش اوراقه الخاصه ولم يتوصلوا الى حقيقته .. ولم يستطيع احد ان ينفذ الى دواخله سواء شقيقى "كمال يسن" الذى نكره لى صلته به .

ظل "خالد منعم" فى طرابلس ينتصر يومياً فى خياله قبل ان ينام على صوت اذاعة لندن .. يتخيل نفسه وقد اصبح من احد الاغنياء ويتفاخر باموالـه .. يحكى لافراد اسرته عن المعاناة التى تجرعها قبل ان يجمع هذه الثروة .. يحكى لهم بتلذذ عن غسيل الصحون فى مطاعم لاتغلق ابوابها .. وجنى الثمار فى شتاء ابيض امطاره لا تميز بين احد ولا تختار اوقاتها .. يروى عن مجازفاته وكيف كان يوزع الصحف فى ظلام ناعس .. يدفع بها من تحت الابواب كأنها منشورات يسارية .. ينظر الى شقيقه بغضب ويحاكمه امام الاسرة.

واصل حياته الروتنيه بايقاع ممل وليحقق احلام يقظته باسرع ما يمكن عمل محاسب فى شركة خاصه بعد الظهر .. يعود فى المساء لينام وينهض مبكراً .. راح يكدس فى امواله لا يصرف منها إلا للاكل والايجار والتدخين .. لقد توقف حتى عن الخمور ونادراً ما يشترى ملابس .. كان يعشق بنطلون الجنز الذى جاء به من صوفيا . شركاؤه فى

المنزل تركوه يستمتع بوحدته .. يجلس معهم اثناء وجبة العشاء والشاى يصله داخل غرفته اثناء بعثه عن اذاعة لندن .. فهو لا ينام إلا على انغام الاغانى العربيه .. صمته المدهش جعلهم يحترمونه وينادونه بلقب الاستاذ فعدساته الطبيه وطول قامته التى اكدها بنطلون الجنز واناقته بالقمصان ذات الاكمام الطويله .. كلها ساهمت فى إنتاج هذا اللقب .. حتى فى غيابه يتحدثون عنه بلقب الاستاذ .

اذكر لحظة التقيت به اول مره كان يرتدى بنطلون جنز وقميص سماوي ماركة (van heusen) شعرت بأناقته واستنشقت رائحة عطر (ارامز) يومها كنت مع "احسان يعقوب" فى حديقة (اشراقة التجانى يوسف بشير) ننتظر احد زبائن الوكالة بخصوص مواضيع تجارية وكانت تعتبرها "احسان يعقوب" صفقة مهمة وبها ارباح طائلة .. وبحكم اننى اسكن معها فى شقتها واساعدها فى اعمال الوكالة .. فكان لابد لى ان اجلس معها واجاملها .. رحت افكر فى كيفية وصولى حي الصافية لمشاركة صديقتى "منال الطيب" فى عيد ميلادها فى منزل عمها .. لقد وعدتنى "احسان يعقوب" ان انتظر معها قليلاً وستأمر شريكها العجوز الاصلع ليوصلنى الى حي الصافية .. ولكنى كنت ممتعضه من فكرة ان اكون معه لوحدى فقد اصبح هذه الايام ملحاح ومغازلاته السخيفة لا تتوقف ابداً .. لذلك رجوتها ان تطلق سراحى وتتركنى ان اذهب بطريقتى الخاصة ولا بد لى ان اشترى لها هدية اولاً .

كنت قد تعودت على ركوب السيارات الخاصة دون خوف وخاصة بعد ان هجرنى "ياسر فقيري" وسافر ليتزوج خطيبته ايمان التى امقتها وجعلتنى اكره هذا الاسم للابد.. لقد افتقدت سيارته ..وما اجمل ذكرياتى معها .. جعلنى اتابع فى الخرطوم كل السيارات التى تشبه سيارته .. اتاملها بفرح واشتبه فيها .. لقد عودنى عليها .. واصبحت لا اطيق

الموا صلات العامه من بعده .. جعلنى اقف محرجه على حافة الاسفلت ..
اخبئ ملامحى من اعين المركبات العامه .. اسمع لعنات وألفاظ بزيئة ..
اعرض جسدى للانياب الشرسه .. أناملى ترتجف وانا ادوّن ارقام
التلفونات .. ادافع عن انوثتى بجديه .
فبمجرد خروجى من حديقة (اشراقة التجانى يوسف بشير) توقفت لى
مباشرة سياره فارهه .. وكعادة معظمهم ابطأ فى سرعته وراح يقود سيارته
بتمهل .. يتمعن فى فريسته ويزيد من سرعة اسئلته .. راح يدفعنى بلطف نحو
الوكر ولعاب استجدائه يسيل بلا توقف .. لقد علمتنى "احسان يعقوب" كيف
اتعامل مع اصحاب السيارات الفارهه واكدت لى انهم ليسوا سوى فقاعات
صابون فارغة ولا اخاف من انتفاخاتهم . وهذا السخيف تجرأ وحاول ان
يلمس صدرى ودونما أن اشعر وجدتنى اصفعه على يده واصرخ فيه ..
وطلبت منه ان يتوقف حالاً .. فما اجبنه توقف بى وهو يرتعش .. نزلت من
سيارته لاجدنى لم اتقدم كثيراً فلازلت فى بداية شارع القياده العامه .. تركنى
اضحك رغم الظلام الذى حولى .. وبينما انا اعدل صدرية بلوزتي التى
خمشها بيده توقفت امامى سياره كرونه مظلله بلا تردد .. وعندما إلتقت
انفاسى بعطره شعرت بجرثومة العدوى .. سالمته ببقايا ضحكتى .. تأملته
خلسه .. شعره كثيف .. ملامح وجهه قاسيه ولكنها جميله .. عيناه حزينتان
واكثر اتساعاً خلف عدساته الطبيه .. شعرت باناقته وغرابته كأنه قادم من
القرن السابق مقتحماً تكنلوجيا عصرنا بكل جداره .. لم يسألنى تلك الاسئلة
السخيفة والتى عادة ارد عليها باكاذيب احفظها جيداً .. ولكنه عندما تجول
معى داخل السوق وبحث معى بكل جديه عن حذاء مناسب لـ "منال الطيب"
احسست به كأنه خطيبى .. تلصصت على ملامحه مره اخرى امام اضاءة
احدى المحلات وبدا لى اكثر وسامه .. انحنى وهمس لى فى اذنى اثناء توقفنا
امام دكان احذيه مما جعلنى اشم رائحة عطره مره اخرى

- ماشى معاك وماعارف اسمك !!
ضحكت وشعرت باننى لا اريد ان اكذب عليه .. فاخبرته باسمى الحقيقى
وانا اتأمل حذاء رجالى كان يلبس مثله خالد عزالدين وقد سافر به الى
هولندا .. لم اكن انتظر منه ان يعرفنى باسمه او اهتم لذلك لحظتها كنت
على وشك ان اسرح مع الحذاء واتذكر خالد عزالدين .
- تشرفنا .. انا اسمى "خالد منعم" .
اربكنى اسم "خالد" فوضعت الحذاء مكانه واخفيت توترى ورحت ابحث
داخل شنطة يدى بلا معنى .. مدّ لي حذاء نسائى انيق مسكته بيد مرتعشه
وحاولت ان اقيسه على قدمى وكدت ان اطيح على الارض فمسكت
"خالد منعم"على ساعده واخفيت عنه ابتسامتى واحمرار وجهى .
رويت لـ "منال الطيب" ونحن فى غرفة ابنة عمها ندخن فى لفافة
بالتناوب .. حكيت لها عن حزنه وسلوكه الغريب واستشرتها فى موعدى
معه ثم اخبرتها بإسمه .
- تانى خالد .. !! ياشيخه الاسم دا انا بقيت اتشاءم منه !!
لقد واكبت معى علاقتى بخالد عزالدين وعاشت كل تفاصيلها واحيانا
كانت تقف معها وغالباً ضدها .. وهى الوحيده التى تعرف تفاصيل قصة
غرامى ايام المراهقه فى الابيض مع "خالد عباس" .. لقد رويت لها حتى
تفاصيل الحمام المهجور وكيف كنا نلبد بداخله فى ظلام دامس .. كنا
ايامها فى المدرسة الثانويه بمدنى .. احكى لها يومياً عن "خالد عباس"
واسرد لها احاسيس تلك الرومانسية التى بترت ساقها قرارات هئية
السكك الحديدية . حتى اصبحت معجبه بتلك العلاقة ومن خلال السرد
اليومى جعلتها تشاهد فى ذهنها حتى خيوط العناكب داخل الحمام
المهجور .. وملامح "خالد عباس" وتشاهد حتى انفه الحاد .. وبما اننى
كنت اتوق له فى تلك الايام .. راحت تسرح معى فى خيالها وتخطط لى

بأننى سألتقيه عندما ندخل الجامعه ورسمت لى حتى خريطة الدهشه جعلتنى ارى يوم لقاءنا واتخيل كيف ستربى علاقتنا العشقية – يبدو لى ان هذا الخيال كان دافع اساسى فى اصرارى على تكميل دراستى الجامعية – لقد تركتنى اعيش معها فى خيالها واترقب لقائى به وارسم خطوط المستقبل العريضه .. اصبحت احكى لها مزيداً من التفاصيل ليرفرف خيالها اعلى . اذكر عندما وجدت بالصدفة مجموعته القصصية (اصداف مهجوره) فى احدى المكتبات.. تذكرت تلك الايام وخيال "منال الطيب" الخصب .. وبعد ان رجعت الى واشنطن اتصلت بها فى ابوظبى واخبرتها اننى إلتقيت بـ "خالد عباس" ولكن على مستوى كتاباته .. ضحكت يومها من سذاجتى

- يا زوله انتى ما عايزه تبطلى الهبل دا !!
- والله كاتب ثلاث قصص عن الحمام المهجور .
- عليك الله خلينا بلا خالد بلا عواره معاك ..

لم انشاءم مثلها من هذا الاسم .. بل يمكن أن اسم "خالد" هو الذى شجعنى لكى ألتقى بـ "خالد منعم" .. واما الدافع الاكثر قوة كانت وراءه "احسان يعقوب" الخبيره النسائيه فى امور الرجال .. هى التى حفزتنى على لقائه وحللت لى شخصيته دون ان تراه ثم رسمت لى خطة اتبعها وحتماً سيتزوجنى اذا كنت معجبه به حقاً .

فى المرة الثانيه عندما دخلت شقته كنت مطمئنه .. ورحت اتعود على اثاثاتها ومطبخها .. تخيلتنى فى دور الزوجه .. شاركته التدخين واعددت العشاء .. فاجأنى بعد ان شرب كميات من العرقى ببكاء مرير .. استلقى على السرير واجهش بصوت عالى .. وقفت مرعوبه منه .. وعندما تبينت انه يبكى بحزن حقيقى اقتربت منه ودهشتى تتجمع كالنسور حول جيفه .. رحت امرر يدى على شعره واهدهده .. وامسح بيدى الاخرى

دموعى التى هطلت بغزاره .. بكى حتى شعر بالاعياء ثم اشعل سيجاره وراح يحكى لى عن عجزه من دخول منزل اسرته بعد سبعة عشر عاماً .. وكيف يقف يومياً بسيارته ويراقب والده ولا يستطيع ان يحتضنه .. يقف يومياً ويسرف فى دموعه .. راح يلعن لى فى نفسه وغربته .. شعرت بالحزن المعتق بداخله .. يتذكر موت والدته ويعود الى البكاء .. احتضنته وبكيت معه .. بعدها ضاجعنى بعنف اسطورى .. اشعل نارى الاف المرات واطفأها .. جعلنى اصرخ .. اموت واحيا .. اهذى واتلوى كسمكة تحت جسده الفارع .. اضع زعانف اقدامى على مؤخرته واجذبه وانتله فى نفس اللحظة .. احسنى اصبح قوية ساعة اكتمال البدر ثم انشطر . امنت يومها برجولته وقوته الخلاقة .. استطاع ان يفتت شبقى الى ذرات من المتعه.. كنت على وشك ان اقبل قدميه .. لقد شطب اسم "ياسر فقيري" من ذهنى .

اصبحت اتخيله زوجى واحياناً يبدو لى هو "خالد عباس" حبيبى الاول وإلتقينا بعد غيبه طويله هشمنا عناصر الدهشه بقبل طويله .. ورحنا نعيد ايام الحمام المهجور داخل شقه مفروشه .

كنت اعيش داخل احلام اليقظة اكثر مما اعيش فى الواقع .. وكلما اعاهد نفسى واترك هذه التخيلات واعيش فى واقعى اجدنى امتطى واقعاً لا معقولاً .

اتذكر جيداً ذلك اليوم الذى اختفى فيه .. جعلنى افتش عنه وألهث خلف الاحتمالات كالمجنونه .. لم يظهر او يبن له اثر الى ان جئت الى زوجى هنا فى واشنطن .. وظل اختفاؤه لغز مريب ومحيّر .. لم اكتشفه إلا اليوم فى مفكرة خالد عزالدين . يومها كنت اساعد "احسان يعقوب" فى نقل اغراضها الى شقتها الجديدة والتى اشترتها بمبلغ خرافى يشترى كل بيوت قريتها .. كنت اتصل به كل ساعه تقريباً ولا احد فى الشقه .. لم

اكن اعلم انه اغلق جرس الهاتف بعد ان استدرج ابنة اخية دون ان يعرفها مقرراً خيانتى.. رغم ذلك احزنتنى لحظة اكتشافه لابنة اخيه التى كان على وشك ان يضاجعها .. تخيلت الان ماذا كان سيحدث له اذا ضاجعها .. حتما ستسقط على رأسه السماء بكاملها .. ظللت اتصل به حتى وقت متاخر من الليل .. واصبحت قلقه عليه .. اعرف انه ولى ينفر منى ويمقتنى ولكن لا سبيل لى فقد ادمنته . فى الصباح اتصلت به بمجرد دخولى الى الوكالة .. وايضاً لا يرد على تلفونه .. قلبى يضرب بشده .. اتاكد من صحة الرقم داخل مفكرتى .. اعيد الاتصال به .. خوفى يتنامى بشكل عمودى .. اهدى نفسى بتخمينات .. ربما يكون جهازه تعطل .. ذهبت الى شقته ولم اجده ولم اجد حتى المفتاح تحت السجادة امام الباب .. سألت عنه فى دلالة العربات .. رحت اتذكر الاماكن التى يمكن ان يتواجد بها .. لم انسى حتى منزل اسرته مررت بالقرب منه ربما ألمح سيارته .. صرت حائره اتخبط فى كل الاتجاهات باحثه عنه .. كنت اخبئ داخل شنطة يدى ملابس داخلية شفافه اشتريتها خصيصاً لادعم بها شهوته التى ناخت هذه الايام .. تذكرت شقة صديقه فى احدى احياء امدرمان وسبق ان قضيت معه فيها ليله مدهشه .. صادفنى فيها شاب لم اره من قبل ولكنه اكد لى ان "خالد منعم" اتصل به وسيأتى بعد قليل .. رحب بى ودعانى للدخول .. زفرت انفاسى بقوة وانا ادخل الشقة .. جلست على الكنبة البنية فى وسط الصالة .. اصبحت مرتاحة البال فقد وصلت الى هدفى .. قدم لى الشاب الذى لم اتمعن ملامحه جيداً كوب ماء بارد وسالنى أسئلة روتينية وقحة كالتى يسألها اصحاب العربات الفارهة .. جاوبته بآخر انفاس وانا متلهفة لرؤية "خالد منعم" .. رحت ارص فى مداميك عتابى واحذره ان لا يكررها .. وضعت شنطة يدى على حجرى وتحسستها من الخارج .. تذكرت بداخلها الملابس المثيره الشفافه .. فهى

تبدو لى اغرائيه ومدهشه وحتماً ستأتى بمفعولها.. لقد جربتها ليلة امس فى شقة "احسان يعقوب" .. وتأملتنى فى مرآة الحمام وفعلاً كانت مثيره .. شعرت بها صنعت خصيصاً من اجل جسدى .. فكرت ان لا اخبره بها او يراها .. سأجعله يتفاجأ بها عندما اخرج له من حمام شقته متلفحه بمنشفته البيضاء ثم اكشف له عن اناقة جسدى برقصه رشيقه واستعرض انوثتى .. تخيلاتى زركشت ابتسامه على وجهى .. واسترخيت فى جلستى اترقب دخوله فى اى لحظة . فاجأنى الشاب الذى لم اتبين ملامحه بمحاوله جاسره لتقبيلى بالقوّة .. فقاومت بكل ما املك من قوة ورفسته على بطنه وصرخت صرخة مكبوتة وهربت من الكنبة .. وقفت فى وسط الصاله الملم بلوزتى التى تمزقت وطار ت احدى ازرارها .. هددته بأننى سأخبر "خالد منعم" اذا اقترب منى مرة اخرى .. فاجأنى للمرة الثانيه انه لا يعرف "خالد منعم" ولم يسمع به من قبل .. وهذه الشقه ملكه ولن اغادرها قبل ان ينال منى .. شعرت بالسقف يهبط فوق رأسى وراحت تنتفخ امامى بلونة الورطه التى اقحمت فيها نفسى .. صرخت صرخة عاليه وجريت نحو باب الشقه .. لم اترك له مجالاً للتفكير .. ارعبته صرختى ففتح لى الباب بسرعه ليتخلص منى .. خرجت اهبط على السلم مرتجفه وألملم فى دموعى وبلوزتى .. قذفنى وانا على درجات السلم بلعنات بزيئه احسستها تستهدف مؤخرتى وتنخسنى .

تجولت فى الشوارع بلا معنى .. ابكى واتلفت .. اتوقع ان تقف امامى سيارته فى اى لحظة .. بحثتُ عنه كثيراً .. لم يخطر على بالى انه ملّ جسدى وحاول تغيير نكهتى ولكن بخرات "شيخ مكى" كانت بالمرصاد .. جعلته يصطاد ابنة اخيه بالصدفه ثم يهرب من الجحيم الى نار الحرب .. يبحث عن انتحار مشرّف .. يخفف له عذابات اخرته .

اختفى دون ان يترك لى رسالة اعتذار .. توقعت انه سافر الى بلغاريا لأنه فى الفترة الاخيرة كان على اتصال بصديقه "عبد الوهاب نمر" فى مدينه صوفيا وقد حكى لى عن صداقتهما .. فعندما إلتحق بكلية الطب وبدأ فى اجراءات تسجيل اسمه فى سكن المدينه الجامعيه إلتقى يومها بـ "عبد الوهاب نمر" .. شاب اجلح و ذو جسد نحيل .. له عدسات طبيه حجمها كبير على وجهه .. يشرب الخمور البلغاريه الرخيصه ليل نهار ويعبد فى سره النساء .. يصبح خفيف الظل مع اول كأسات التدشين .. يصطاد كل (ويك إيند) فتاة بلغاريه من صالات الرقص ويعود بها الى غرفته ولكن نادراً ما كان يضاجعهنّ .. ينام بمجرد ان يضع رأسه على الوساده .. كان معروفاً لدى كل الطلاب السودانيين بدولة بلغاريا ويقال انه لقب بالنمر لانه عندما جاء لدراسة الكيمياء قبل "خالد منعم" بثلاث سنوات كان يحمل معه جلد نمر اصلى .. احضره معه خصيصاً ليبيعه فى اوروبا لكى يستفيد من ثمنه كمصاريف دراسه .. ولكنه لم يجد احد يشترى منه ذلك الجلد الناعم .. طاف به معظم دول شرق اوربا دون فائده واخيراً اهداه الى السفاره السودانيه بدولة رومانيا كمشاركه منه بإسم اتحاد طلاب مدينه صوفيا داعماً به معرض التراث السودانى ومنذ ذلك الحين ارتبط اسمه بهذا اللقب .

وعندما تعرف على "خالد منعم" واتضح انهما الإثنان من مدينه الخرطوم بحرى فإكتمل التعرف الروتينى داخل بار فى وسط مدينه صوفيا .. وكانت هى المره الاولى التى يتذوق فيها "خالد منعم" طعم الخمر .. لقد تقيأ فى وسط البار وكاد ان يدخل فى مشاجره مع احد الافارقة ولكن "عبد الوهاب نمر" استطاع بجسده الضئيل ان يحسم الامر ويسند صديقه الجديد ويعود به الى المدينة الجامعية .. ومن يومها انطلقت صداقتهما .. وكانت الكحول هى الوقود المحرّك لعجلة تلك المعرفة .. فـ

"خالد منعم" كان منتشي بمفعول الخمر ومستمتع بوجوده بعيداً عن اهله ولا احد يحاسبه على افعاله .. مستلذاً بوجوده فى بلد اوروبى .. يشاهد الصقيع بأم عينه .. وادمن نكهة المارلبورو .. كتب فى أيامه الاولى رسائل عديده الى اهله واصدقائه فى السودان .. يحكى لهم عن الطقس والجليد .. الشوارع والبنايات الشاهقة ..البرد والمقاهى .. يكتب فى رسائل اصدقائه عن صالات الرقص والنساء الاوربيّات وسيقانهنّ الممتلئة .. ولكنه سريعاً ما ترك هذه العاده المملة .. كانت تصله الرسائل والردود متفرقه ومعنونه باسم (الدكتور خالد عبد المنعم الحسينى _ المحترم) تزيد من بهجته .. لقد دعمت هذه العناوين اصراره على المثابره والكد حتى اصطدم بوفاة شقيقته الصغرى .

لقد تخيلت ان اختفاءه ربما يكون قد قرر الهجره مره اخرى الى اوربا .. لم اتصور ان الاقدار ستجعله يلتقى بخالد عزالدين فى اسمره .. ذلك اللقاء الذى تصفح فيه خالد عزالدين على عريّى وبشاعتى .. لقد اصبحت اكره خالد منعم رغم هو الاكثر تغلغلا فى ذاكرتى .. لن انسى ابداً جسده القوى وهو يتشنج ويلملمنى ويكرفس جسدى تحته وينتلنى بقوه .. اصرخ وليس من الألم .. كانت فظيعه تلك اللذه المتعاقبه بلا توقف .. فكانت لديه مقدره هائله على اشعال الحرائق فى الغابه بكاملها ويخمدها فى لحظة واحده بشخيره وتشنجاته .

النكهة الرابعة

نكهة لا بد منها - روائح متعددة

(١)

رجعنا أنا وزوجي في وقت متأخر من الليل .. فتحت له باب الشقة ودخلت أمامه .. لأنه كان يحمل ابننا "خالد" نائماً .. وضعه داخل غرفته وجلست بالقرب منه احاول ان ايقظه وابدل له ملابسه .. كنت ممغوصه من سهرة اليوم لقد ذهبت مجاملة زوجي ومحاولة مني للخروج من هذه الجدران الاربعة والصمت الطويل وخاصة بعد ان اوقفت كتابة مذكراتي ولم اعد اقرأ سوى بعض الصحف التي يأتي بها زوجي .. حتي مفكرة خالد عز الدين لا ادري اين وضعتها .. لم استطع ان امزقها ولكني رميت بها في مكانٍ ما ورحت اهتم فقط بولدي "خالد" واصبحت سعيده بدخوله المدرسة .. راح يتكلم الانجليزية محركاً تعابير وجهه بطريقة الزنوج ويضحكني بالالفاظ التي لم يكن يعرف معناها .. رحت اعلمه كلمات من اللهجة السودانية حتي لا تصعب عليه في المستقبل .. وكلما ينطق بكلمة انجليزية جديدة اترجمها له .. وقررت ان اذهب به الي السودان ليكمل تعليمه هناك متحديه زوجي ومكسره له مجاديف قرارته .. كنت خائفه ان افتقده .. لقد سميته " خالد" واريده ان يكون كذلك . فكل ما كنت اعشق هذا الاسم يتسرب مني .. لم يخلد احد منهم ثلاثتهم عشقتهم "خالد عباس " .. "خالد عزّ الدين " و "خالد منعم " .. اما "خالد" ابني لن اجعله يختبئ او يتسرب مني .. اصبحت اغتاظ منه عندما يخاطبني بإنجليزيه لئيمه ويهددني برقم هاتف الشرطه الاميركيه اذا لم اوافق علي طلباته .

رحت استبدل له ملابسه وهو نائم واراجع في ذهني احداث سهره العشاء البروتوكولية المملة .. زوجات الدبلوماسيين كعادتهنّ بهرجه في الازياء والاكسسوارت العسجديه وبدون اناقة .. وحكاوي مملة عن اطفالهنّ وعلاقتهم بالمجتمع الامريكي .. ولا تنسي الواحده منهنّ ان تنطق بعض الكلمات الانجليزيه متعمده ان تكشف عن مفاتن ثقافتها - من الذي اخبرهن ان الثقافه والعلم مربوطين باللغه الانجليزيه فقط – والشئ الذي زاد الطين بلاً ورفع من كثافة ضجري وجود الرئيس السابق (جعفر نميري) في وسط هذه السهره وراح يحكي بعنجهيه عن ايام حكمه وذكرياته السخيفه .. والغريب في الامر كل الضيوف وبما فيهم زوجي كانوا سعداء بوجوده وإلتفوا حوله .. وبعضهم تحسر علي ايام حكمه .. لقد حردت العشاء واصابني الضجر بمجرد سماع صوته .. ورفضت حتي ان اشارك في الصورة الجماعية التي توسطها هو وصار كالملك في لوحة{ الوصيفات} " لفيلا سكويز" .

اطمأنيتُ علي ابني "خالد" واطفأت نور غرفته ثم دخلت غرفتنا ووجت زوجي بدأ مقدمة شخيره الناعم .. اخذت قميص النوم ودخلت الحمام استبدل فستان السهره ورجعت اجلس علي مقعد المرآة ازيل في اثار المكياج وغضبي الذي احدثته هذه السهره .. ثم نهضت وفتحت خزانة ملابسي لكي اعلق فستاني بداخلها فجاةً لمحت خلف الفساتين مفكرة خالد عز الدين الحمراء لم اندهش لانني تذكرتها قبل قليل .. لم اتعامل معها بنفس العنف السابق والغضب الذي جعلني ألقي بها هنا بعد اكتشافي للقائه بـ "خالد منعم" في السهره .. مسكتها وتصفحتها أثناء وقوفي أمام باب خزانة ملابسي .. شعرت بمفرداتها الانيقه وإمكانية ان ابعزق بها ضجري في هذا الليلة .

تمددت علي السرير واضئت أباجورتي واسندت رأسي علي المخده
ورحت اتصفح المفكره عشوائياً وأوصل فى كتابة روايتى – عطر الكتابة
(نتقيأ الدهشة من غثيان الملل)

كان لديه احساس متذبذب واشتبه حتى فى توقعاته .. تخرج الاستنتاجات من ذهنه كفقاعات الصابون وتنفجر علي وجهه بنسمه رطبه ولكنها تعطن شكوكه .. راح يتذكر هل كتب لها رقم الموبايل اولاً ام رقم الشقة؟! وهل ياتري كانت الارقام واضحه في تلك الورقه ؟! وامتعض من فكره أنها ربما تكون قد اضاعتها في زحمة المعرض .. ومن المحتمل ان تكون قد رجعت متأخرة وفترانه وستستجم قليلاً وبعدها ستتصل به .

حكي عنها لصديقه "طارق الزين " علي هامش انغام الويسكي بالطبع .. كان ممنوناً لصديقه ولم يعترف له بذلك .. لقد أهداه هذا اللقاء الصدفة .. بدا منتشياً ومواريا سعادته وهو يحكي عنها وكيف استطاع ان يجعلها تندهش به .. سرد جزءاً من تفاصيل شكلها .. قصيره .. شعرها اسود غزير .. اردافها كرويه ومنسجمه مع جسدها .. تعرف كيف تخفي اضطرابها .. عينها تعطي الاحساس بأنها ستنطق عن رأيها في اشياء مهمة بعد قليل .. وعندما تبدأ تفكر في شئ ما تختزن إبتسامة خجولة .. وجهها املس دائري بلا مكياج .. فمها صغير ومحاصر بين وجنتين ولها سن مخلوفه تتصدر لائحة ابتسامتها باستمرار وتبدو ثعلاء .

اخفي احساسه الحقيقي واعجابه بها عن صديقه "طارق الزين" ولم يكشف عن دهشته لانه مستحي ان يعرض احساسه للضوء فيحترق .. لقد شعر انها المرأة التي يبحث عنها في غربته فمنذ عودته من اسمره مهزوماً اصبح لا يومن بالمرأة واحياناً يجدف بها . لقد أكد لصديقه ان مهمته معها ستنحصر في استدراجها الي الشقه ليس إلا ولكن نسبة

لظروف تربيتها التي استشفاها من خلال حديثها عن نفسها ستحتاج منه المهمة لفترة زمنية طويله وربما سيجد صعوبه في ترويضها فهي مختلفه عن " سوزاي " الحبشية .. " ومريم " الصوماليه فلم تكلفه هاتين العلاقتين سوى لقاء واحد وثلاثه هواتف ليليه واللقاء الثاني داخل الشقة وهو يعلم جيداً ان فشل علاقتيهما في السابق مع سودانيين من امثاله واجراءت اللجوء المتعثره في وزاره العدل السلحفائية الهولندية .. لقد مهد له هذان السببان طريق العبور الي جسديهما .

"سوزاي" الحبشيه إلتقاها في احدي الحفلات السودانيه بامستردام كان عائداً لتوه من اسمره ولا زال يتمتع ويتباهي بنضاله ومشاركته في الحرب .. وهي كانت متدحرجه من قلب لاجئ لفظها بعد استلامه للجواز الهولندي .. وتزوج احدي بنات خاله بكل بجاحه .

لقد شاهدها خالد عز الدين وهي تخمد جراحها برقص اثيوبي داخل صاله الحفل .. شعرها قصير صبياني.. ترتدي فستان سهره طويل بلون بني فاقع منسجم مع درجه لون جسدها وكاشفه عن معظم ظهرها متجاهله حتي رافعة صدرها .. فراحت ترج في حليبها مع ايقاع جسدها البض .. واربكت الايقاع السوداني .. فإلتف حولها عدد من الشبان يراقصونها ويتبارون بجديه في اللحاق بايقاعها والقبض علي هذا الرتم المنفلت .. اعصابهم مشدوده مع حركه اردافها وصدرها .. انفاسهم متلاحقه ورغباتهم الجنسيه تبلع في ريقها وتتجاوز واقعها وتنحرف الي احلام يقظة غير مستعصية .. فمنهم من هتك جسدها واغتصبها في خياله ومعظمهم ازدادت مساحة حقده تجاه الاخرين .. انسحبت فجأة من حلبه الرقص دون توقعاتهم وبدون ان تستأذن الموسيقي .. تركتهم يواجهون غباءهم وسرابهم .. اخفي كل واحد منهم رجولته وذاب سريعاً واندلق بين اصدقاء عموميين حاملاً صورة لردافها في بؤرة ذهنه .. والبعض راح يفتش عن مكان جلوسها .

الصدفة فقط هي التي جعلتها تجلس جوار خالد عز الدين وهو متقمص دور المناضل الجسور الذي عاد لتوه من اسمره وادعي انه شارك في معركه ضاريه ومنع نفسه من الرقص في الحفلات العامة كجزء من ادب النضال .. ليرد لشخصية "جيفارا" كرامتها .. فلا احد يعرف انه عاد مهزوماً من اسمره .

كان يتأمل في ظهرها العاري اثناء رقصها ولم يتوقع ابداً انها ستجلس بالصدفة علي يمينه .. فتلصص علي صدرها وبانت براعمها .. تأمل ملامح وجهها حوراء العينين .. حاجبيها متلاصقان و فمها كالودعة .. ذكرته بصديقة "سمراويت" التي نقلتهم بسيارتها لصالة الرقص يوم هزمه زوربا في صباحات اسمره . رفعت يديها الي اعلي ومسحت العرق من علي رقبتها وتخللت اناملها شعرها الصبياني .. فتلصص خالد عز الدين علي زغب ابطها فشعر بعطش ورغبة امتلاك لقد اصبحت المرأة في نظره شيئاً للامتلاك .. لقد كفر بها بعد ان حكي له "خالد منعم" الاسير عن علاقته بي وكيف كان ينزع ملابسي ويضاجعني ومن يومها تحنطت مشاعره وازدادت عداوته لي وولت المرأة عنده عبارة عن عاهر ليس إلا .. عاد يضاجع هولنديات اكبر منه سناً وخبره .. يلتقي الواحده منهن داخل صالة رقص في امستردام يراقصها ويرتوي معها بيره ويرافقها احياناً الي منزلها يدحرج جسده الاسمر علي بياضها وفي الصباح يتسوك بالندم وغالباً ما يتقيأ في الحمام .

جلوس "سوزاي" الحبشية علي يمينه جعل الانظار تتجه نحوه فشعر ببريق عدسات الحسد تتربص به فتمني في سرّه لو كانت هي صديقته التي سترجع معه الي الشقه واسندت الان رأسها علي كتفه لتستجم قليلاً من تعب الرقص .. وساعتها سيتلذذ من هذا الحسد الذي تطاير حوله كالشظايا . راها تخرج موبايلها وتهم بالاتصال وبدون ان يشعر امتدح

جهازها واناقته وشكرته علي حسن ذوقه ولم يتوقف علي ذلك بل اقترب منها اكثر واخبرها ان موبايلها سيصبح اكثر اناقة اذا علم برقمه .. ابتسمت واعجبتها جرأته وطريقة اقتحامه ولم تردد في تبادل الارقام وانفتحت نافورة التعارف ورش حولها رذاذه المسموم .. امتدح رقصتها وطاف بتعليقاته حول الحفل واوجه الشبه بين الموسيقي السودانية والاثيوبية .. وصعوبة الرقص علي السلم الخماسي .. وحوارات اخرى كانت للمجاملة .. اصبح ينحني ويرمي بمفرداته داخل محارة اذنها من شدة صخب الموسيقي .. وايضاً ليفسد الخطط التي طرزها اصحاب النوايا الشرسة .

رائحة عطره كانت هي نفسها التي ادمنتها علي جسد ذلك اللاجئ الذي استلم الجواز الهولندي وتزوج من غيرها .. لم تكن تتوقع خيانته وغدره .. لقد حاربت من اجله معظم ابناء وطنها .. منعها حتي من زيارة اقاربها .. واصبح هو الذي يختار لها صديقتها .. طبعا لم تعترف لخالد عز الدين بعشقها لعطره .. فجلستها بالقرب منه كانت محض صدفه وعندما تم التعارف بينهما وبدأت الحوارات القصيرة .. كانت ايضاً تنحني في اتجاهه لتسمعه بطريقة اوضح لحظتها اصطدم انفها الحاد بعطره المثير .

إلتقاها بعد اسبوع من الحفل .. حدثته عن تجربتها السابقة واحساس الفشل .. عزيمتها على رتق مشاعرها .. نيتها في العزوف عن العشق نهائياً .. اخبرته انها طوت قلبها داخل شنطة يدها .. وعرجت علي احزانها واخبار اللجوء المحبطة .. لقد هدأ من روعها وربت علي ذهنها وعاطفتها بحكاوي وتجارب تمجد اليقين .. وفي يده اليسرى كان يخفي عنها النوايا والمآرب الاخرى .. واصل معها عبر التلفون ارشاداته مستخدماً رغوه مشاعر كاذبه وفي لقاءهما الثاني جاءت معه لتتعرف علي اثاث الشقة وساعدته في اعداد وجبة الغداء .. وعندما طلب منها ان

تبقى معه هذه الليلة .. قوة سحرية جعلتها توافق هكذا تخيل !! فهي اصلاً
كانت ممتعضه من غرفتها الصغيرة وشعرت بالاختناق لقد تعودت علي
حياة الشقة الرحبة .

خرجت من الحمام ووجدته مستلقي علي سريره يخمر في ذهنه خطة
مضاجعتها دون ان يفقدها .. كان شعرها مبتل وملتصق علي جبهتها بطريقة
مثيرة .. ارتدت احدى قمصانه الطويلة وشاهد اوراكها المشدوده وسيقانها
الممتلئة .. جلست ازائه متقرفصة وسط السرير .. تقضم في تفاحة وتصفف
في شعرها بالمشط .. راح يراقب جمالها وجسدها البض .. كوع علي ساعده
الايسر وقضم معها تفاحتها ثم انتقل الي ثمار صدرها وعندما فتح ازرار
القميص لم يتوقع نهدان بتلك الجرأة والثبات بدأ يمص في حلماتها بشراهة
وسرعان ما تعرى ولكن يبدو ان قضيبه لم يتحمل مفاجاة هذا الجسد البض ..
فلم يستطع مضاجعتها .. حاول عده مرات ولم يؤازره قضيبه.. يمص في
براعم صدرها وهى تتلوي بين ذراعيه متمنية منه خطوة اعمق .. شعر بنتانة
روحه وعجزه وفشله التام .. طلبت منه ان يتركها ترتاح قليلاً .. وراحت
تتعود علي اثاثات الشقة ورتبت له دولاب ملابسه ثم استعارت منه رداء جينز
قصير وقميص شفاف واصبحت مثيرة حد العطش .. لأول مره يرى لردائه
معنى .. كأنه اشتراه من أجل افخادها البيضاء الوثيرة .. اججت بداخله رغبه
عارمه فإنقض عليها ونزع ملابسه وهو يلهث .. وفي لحظه العد التنازلي
ارتخي انتصابه .. شعر بالخجل مره اخرى اوشك علي البكاء فوق صدرها ..
وكانت هي تئن تحته من الشبق مما زاد غبينته وحسرته .. لقد شعرت به
فطمأنته بأنه امر طبيعي وعادي لانه غيرمتعود علي جسدها .. أيد رأيها علي
مضض وادعى ان التدخين اثر على قدرته الجنسية .. لقد كانت هي اكثر منه
خبرة وفي الصباح تركته وخرجت ووعدته ان تعود في المساء توقع انه لن
يرها ثانية فلا يمكن ان تأتي لتتلوي وتئن تحت صدره .

ولكنها خذلت توقعاته وجاءت تحمل معها زجاجه كونياك .. وطلبت منه
ان يشاهدان فيلم امريكي علي التلفاز اثناء انغام الكونياك .. وشاركهما
ايقاع نغمة الكأسات صديقه "طارق الزين" وتلذذ بوجودها وطعم
الكونياك .

وعندما انزوي بها دخل غرفته ضاجعها بسهولة واكثر من مرة جعلها
تبتسم له في الظلام وكانت سعيدة بأنها اخرجت شياطينها المحبوسة منذ
ليلة البارحة .

ظلت علاقته بها حوالي سته اشهر ثم تسرب إليه ذلك الملل اللعين .. انه
متربص بكل العلاقات الجنسية بمختلف تسمياتها . أصبحت لا تثيره مثل
اول .. افخاذها داخل رداء الجينز ولى منظر عادي .. ثمار صدرها
وبراعمها بلا مذاق .. تكون متأبطه ساعده داخل المترو ويتأمل الفتيات
الاخريات .. يرى صديقاتها اكثر اثارة منها وجمالاً .. اصبحت لقاءاته
بها تتضاءل وتتباعد .. لا يرغب فيها الا عندما تعشش الكحول في ذهنه
ساعتها يتصل بها ويعتذر عن اخطائه السابقة .. يتحدث معها في التليفون
بثلاث لغات في لحظة واحدة يبدأ اعتذاره بالهولنديه ثم يخونه التعبير
فيواصل باللغة العربية ثم يعرج للغة الانجليزية التي يحس بها سلسه في
هذه اللحظات .. ايضاً هي كانت تتوق إليه وتشتاقه لذلك تقبل اعتذاره
دون تردد .. ويقضيان ليلة ملتهبة لا حوار فيها سوى صوت التأوهات
والانفاس السريعة وكذلك أنين السرير .. لا يري في تلك العتمة سوى
اسنانها البيضاء المتساويه مثل الحرس الجمهوري .. وفي الصباح مع
بخار القهوة تشتعل حوارات واسئله تقودهما الى الشك .. يشتمها ويلعن
حتي اهلها .. وهي كانت تكيل اليه الشتائم بلا ميزان وتسبه بألفاظ بذيئه
ولا ينجو منها حتى حبيبها السابق .. تلملم اشياءها وملابسها وتقسم له انه
لن يراها ثانيه **وتواصل في** اساءته حتي باب الشقة . ولكنها بعد اسبوع

تأتي حاملة بعض ملابسها وقليلاً من كرامتها داخل حقيبة صغيرة بعد ان اعتذر لها في النصف الاخير من منسوب الويسكي .
حتي تعرف علي "مريم" الصوماليه وهي صاحبة جسد ابنوسي فارع .. عشقته وآمنت به وعندما ضاجعها اول مره اقسمت له انه اعظم رجل قابلته فى حياتها وتضرعت له لكي لا يتركها او يفكر فى غيرها . وحتى هي عندما كان يضربها لانه يشك في تأخرها .. كانت تسبه بألفاظ شنيعه .. فعلاقتها بالزمن والتوقيت ضعيفة فمن طبيعتها لا تهتم بالوصول في الوقت المحدد.. ولا تقلق حتي لو عرفت انها تأخرت .. وهذا جزء من تركيبتها النفسية فحتى مواعيدها الهامة والمستقبلية كانت تهملها بعدم جديتها مع الزمن .. وخالد عز الدين كان يعتقد انها تذهب الى مشاوير اخرى قبل ان تأتي لتلتقيه او انها تتعمد التأخير .. فوصلت به الشكوك حد الضرب بعنف لكي تعترف له بخيانتها و احياناً يجرها من شعرها بقوة ويشتمها بأعلى صوته .. فكانت هي ايضاً ترد علي اساءاته بألفاظ مشينه تصل حد الطعن في رجولته .. فيغضب ويغتاظ .. يهجم عليها ويضاجعها بعنف .. فتصرخ من النشوة وتقبل كل جسده وتبدأ من ذكره ثم تتوسله ان لا يتركها .. تتوسد ساعده عارية .. تغير له نكهة فمه بقبلات ملتهبه .. تدخّن معه سيجارته .. تنفخ الدخان داخل فمه وتغوص بلسانها متمنية منه ان يبتلعه.

كان خالد عز الدين متخبطاً بين هاتين العلاقتين ويفصل بينهما بعجوز هولنديه لمده ليله واحده ويشمئز بعد ذلك من تجاعيدها .
اما " سارا " التى إلتقاها اليوم بدت له مختلفه يمكن لأنها سودانية .. فلم تأته تلك النوايا الشريرة .. ومن اول لقاء بينهما شعر بها توقظ بداخله ايمانه بالمرأة .. لاحظ ان هناك قواسم مشتركة بينه وبينها .. آراءها الحاده في الحكومة حدّ الشراسة جعلته يتذكر ايام مراهقته السياسيه .. اما

اناقتها وبرجوازيتها حركتا بداخله شيئاً لا يريد ان يعترف به حتي مع نفسه لذلك بعزق كل الشبهات التي تحوم حول احساسه بها .. وادعى لصديقه "طارق الزين" انه غير مستعد لاي حالة عشق جديدة ولن يخوض علاقة حب اخرى يخلخل بها افكاره ويمحق مشاعره ويضيّعها سدى . لقد كانت حكاويه وآرءه متناقضة مع احاسيسه .. حتي خططه في طريقة استدراجها الي الشقة سردها لكي يصدقها هو اولاً قبل صديقه .. وفي دواخل نفسه يعي جيداً انها تمكنت من اقتحام مخبأه بلا استئذان ووجدت لها مقعد مريح .. لكنه لا يريد ان يعترف بهذه الحقيقه ويكرهها ويحبها في نفس الوقت .
بعد ان افرغ زجاجه الويسكي ووضعها مع شقيقاتها داخل البلكونة ـ فيما بعد سيخفي آثار هذه الجرائم عندما يصبح لـ "سارا" نسخة من مفتاح الشقة ـ بعدما سمع شخير صديقه اخذ التلفون ودخل به الي غرفته .. ثم وضعه بالقرب من وسادته متوقعاً اتصالها في اي لحظة .. لقد تخيل انها استجمت من تعب المعرض واستحمت بماء دافئ وتستعد الان لتتصل به بعد ان تصفف شعرها .. وتمنى ان يكون قد سجل لها ارقام هواتفه بخط واضح .. راح يخاطب الهاتف ويطلب منه ان يرن .. كررها عدة مرات . ثم استلقى على ظهره مستمتعاً بنشوة الويسكي و يسترجع في لقائه بها ظهر اليوم مستلذاً بالتفاصيل .. تذكر نظراتها الاولى .. والخجل الذي اصابها بعد ذلك .. ثم ضحكتها واعجابه بسنها المخلوفة .. جرأتها في النقاش اثناء حوارهما داخل الكافيتريا .. لقد اثنى علي ارئها حتي المتطرف منها .. شعر بذكاءها الحاد .. واقنع نفسه انها ليست فتاة عادية .. جاءته رغبة ان يعيد فى ذهنه هذا اللقاء الصدفة ببطء وتلذذ .. توقع ان يأتي اتصالها الهاتفي وتجده متسكع في منحنياتِ لقاءهما وسيطلب منها في بادئ الامر ان تخمن له في اي لحظة كان يتعرج في استرساله عندما

رن هاتفها .. وتوقع انها ستتفق معه في لحظة واحده فهو متيقن انها ايضاً ستعيد في ذهنها احداث هذا القاء .

صديقه "طارق الزين" كان هو سبب هذا اللقاء المدهش ومشهود له منذ ايام الجامعة بسببيته السحرية فى إشعال بعض الشرارات التى اصبحت بعد ذلك نار ملتهبه .. فرغم علاقته غير المتينه مع زملائه الا انه كان سبب رئيسي في نشأة علاقات عشقية من خلال الصدف التي يرسمها دون وعي منه .

فقبل ثلاثه ايام اتصل بخالد عزالدين ليؤكد لقاءهما في هذا (الويك إند) فمنذ ان هرب خالد عز الدين من امستردام وزحامها مفضلاً الاستقرار في احدي قري الريف الهولندي مستمتعا بالغابات والخضره الشاسعه .. وايضاً ليبتعد عن انباء وطنه والسياسة . لقد طلب منه "طارق الزين" ان يكون لقاءهما هذا الاسبوع في مدينه (لاهاي) كما يحلو له تسميتها فاصدقاءه عادة يستخدمون اسم (دنهاك) حاول ان يعتذر لصديقه عن لقاءهما داخل معرض الجالية السودانية بمدينة (دنهاك) وليست لديه اي رغبة في رؤية هولاء السودانين المتخلفين ـ حسب تعبيره ـ وفضل ان يأتي الي (امستردام) وينتظر صديقه داخل الشقة الي ان يعود من زيارة معرض التراث السوداني ولكن "طارق الزين" كان مصراً علي ان يلتقيا داخل المعرض ومن ثمّ يذهبان الي (امستردام) وراح يدافع عن فكرته بإبتساماته وترجاه حدّ اطاله مكالمه الهاتف .. كأنه كان يعلم بلقاء خالد عز الدين و" سارا " ولم تكن في حساباته ان يتغيب هو عن زيارة المعرض بسبب عمل طارئ ويمهد لهما لقاء مدهش بسببيته السحرية .

شعر خالد عز الدين بإصرار صديقه فوافق علي مضض مدوناً عنوان صالة المعرض علي ورقة مهملة وبخط غير واضح حتى يجد لنفسه عذراً فيما بعد يمنعه من رؤيه المتحذلقين اشباه الاصدقاء .. وحتما

سيلتقي هناك برفاقه والمجموعة التي كانت وراء فصله من الحزب الشيوعي .. وتذكر مهزلة يوم التأبين وبكاءه الاجش ـ عندما تجد نفسك خجلان ومستح من حماقة ما تصرفت بها سابقاً وتبدأ في لوم نفسك لحظة تجلي .. فسريعاً ما تعود لنرجسيتك وتتهم الاخرين بالسخف !! ـ تذكر أنهم سينظرون له شذراً وربما بإستهتار .. وسوف تحوم حوله شائعات وتعليقات سخيفه تثير حفيظته .. فقرر ان لا يذهب لهذا المعرض .. متباهياً بوجوده في هذه القرية الهولندية وراحة البال التي اهدتها له الخضرة الشاسعة .. واحس انه بدأ يفكر بشكل اعمق ثم قفز داخل درابزين قناعته الجديده .. وتهكم علي تلك السافنا الفقيرة .. واكد انها ستظل فقيرة الي الابد .. حتي فكرة وجودها داخل ذهنه كوطن اساسي اصبحت غير ذات اهميه .. يضحك بسخريه كلما سمع باجتماعات لم الشمل وتوحيد الخندق من اجل وطن ديمقراطي .. لقد ضاق صدره بأحديث لا تثمر .

داخل القطار المتوجه الي (امستردام) جلس خالد عزالدين في احدي مقاعد العربة الخاصة بالتدخين لينتظر صديقه داخل الشقة وصرف ذهنه عن زيارة المعرض متفادياً الغم المتوقع .. راح يدخن بتلذذ ويتأمل من نافذة القطار الخضرة على الارض المسطحه .. ويدون في ذهنه اجندة خط سيره حتي يصل الشقة .. فبعد ان يترجل في محطه (امستردام) الرئيسية سيتجول قليلا في شوارعها المزدحمه ثم يشتري زجاجه وسكي من المكان المعتاد وسيجد نفسه بعد ذلك قريبا من محطه الترام وافضل له من العوده الي محطه المترو وشعر انه راضياً عن نفسه بالمفاجأة التي سيعدها لصديقه ويزوغ من اسهم العتاب .. سرح في علاقته بصديقه "طارق الزين" فهو الوحيد الذي لم يخذله رغم اختلافهما السياسي .. فقد انضم صديقه منذ فتره طويله الي مجموعه (حق) .. رغم ذلك ظلت

علاقتهما اكثر عمقاً وحنيناً مما كانت عليه سابقاً .. فقد كانت تربطهما علاقة نشاط حزبي مشترك ودراسه جامعية .. اضافه للقاءات مسائية وقراءات شعرية واجتهاد دؤوب في التحضير للندوات الثقافيه السياسيه .. وافراح مشتركة في جلسات استماع .. مغامرات مسائية في بيوت العرقي .. كل هذا الازدحام وكثافة اللقاءات لم تعمق العلاقة بينهما كما هي عليه الان .

فعندما فصل "طارق الزين" من الجامعة لاسباب سياسية هاجر الي (هولندا) وحصل علي حق اللجوء السياسي وعاش مع اصدقائه ورفاقه من خلال رسائل ذات مفردات لا يفض شفرتها الا رفاقه المقربين .. كانها رسائل جاسوسية .

(اذكر انني قرأت احدى رسائله التي بعثها لـ خالد عز الدين ايام تسكعه علي ممشى الظهيره .. جلست بالقرب منه علي مصطبه دار النشر اقرأ في رسالة زميله وافلي في عطالته .. لم افهم معاني تلك الرسالة ولكني شعرت بها راقيه .. احتفظ بها خالد عز الدين داخل حقيبة الجينز مدة من الزمن حتي ارسل له دعوة لزيارة هولندا) .

وفي الاسبوع الاول لوصول خالد عز الدين الي (امستردام) كانت الاجواء ممطره وبارده وتوحي بالكآبه .. فشعر بحميمية "طارق الزين" المفرطه .. وتعامل معه بحنان ابوي .. يخاف عليه من الوحدة .. يفتعل البرامج المسائية وزيارة الاصدقاء ليبعزق له احساس الغربة .. يضع له مبالغ مالية في محفظته سراً .. شعر خالد عز الدين بكثافة هذ المشاعر فتراجع عنها للخلف .. فهو دائماً يكره العاطفه الابوية يمتعض من المشاعر الحميمة التي تسلط ضوءها نحو قلبه .. و تصيبه بداء الخجل والاستحياء .. فهو يخجل ان يبادلك نفس العواطف .. كما كان يفعل مع

والدته يتهرب من حنانها وينزوي وراء خشونته .. تبدو له العاطفة مملة ومخجلة .. لذلك يكره الذين يتعاطفون معه

رجع يتابع من نافذه القطار بعض المناظر المتكرره وبلا تركيز حاول ان يحلل شخصيه صديقه طارق الزين ويفهم سر هذا الحب الذي يصل به درجة الخوف عليه من السفر لوحده !! يحس به احياناً حب غير مبرر وليست لديه المقدرة ان يبادل صديقه نفس الاحساس .

توقف القطار في احدى محطاته وراح يتأمل الفتيات علي الرصيف .. اصبحت تجذبه الالوان البيضاء والشقراوات .. سابقاً كا ن يتأمل فقط صاحبات اللون الاسمر يحس بدفئهنّ وجمالهنّ .. الان اصبح يحس بالشقراوات اكثر اثارة .. قرأ لافتة المحطة وهو دائماً يقرأ كل اللافتات العريضة التي تنعكس علي شبكيته .. فوجدها مدينه "دنهاك " والتي يحب ان يسميها "لاهاي" هذه المدينة التي كان يجب عليه ان يلتقي فيها صديقه "طارق الزين" داخل صالة المعرض .. احس بأنه متشوق لرؤيته وبدون ان ينتظر مشاورة ذهنه حمل حقيبته الصغيرة ونزل من القطار .. شيء ما أو قوة سحرية جعلته يتحرك من مقعده وينسى كل ما خطط له. وقف يبحث عن العنوان في محفظته واصبحت له تلك الورقة المهملة ذات أهمية .. تمعّن جيداً في خطه غير الواضح ومندهشاً في نفس اللحظة من هذه القوه الخفية التي غيرت له مساره ودفعت به نحو معرض التراث السوداني .. ربما يكون احساساً منه ليستعجل لقاءه بصديقه الذي حتماً سيخفف عنه محاذيره من لقاءات يتهرب منها .. لأنها ستوقظ بداخله هذيانات مخمدة .. لقد استهزاء برفقائه وزملائه وتجاسر علي كبريائهم وتطاول بافكاره الغرغرينيه نحو ثوابتهم .. وبجرثومة زوربا التي جاء يحملها في لعابه من اسمره تقيأ لهم سمومه في عقر معتقداتهم .

نعم !! لقد فصلوه من الحزب وابتعد عنهم مسافة شظيّة مبتلعا غروره .
ونرجسيته بطعم قهوة صباحيه في قريه هولنديه .. وحتما سيلتقي بعضهم
داخل هذا المعرض .. قرر ان لا يدع لأذنه الفرصة لكي تصغي
لتعليقاتهم وتهكماتهم وراح يتجاوز في مخاوفه نافشاً حول نفسه ريش
غروره .. وتحصن بتعويذة نضاله .. فهو الوحيد الذي تجاوز ثرثرتهم
واستطاع ان يذهب الي اسمره مرتدياً بذلة "جيفارا" وحاملاً سلاحه ..
وبدأ يخطو بأناقة في إتجاه صالة المعرض وعندما اصبح قاب قوسين من
العنوان شعر بالردة تتسرب الي ذهنه ويصبح اول الكافرين بإنجازاته ..
فربما علموا رفاقه بهروبه من اسمره واعتذاره عن النضال والحرب
لاسباب شخصيه .. ولن تصمد ادعاءته كثيراً فالحقيقة واضحه لاريب
في ذلك .. خطواته في سلم الصالة اصبحت لزجه وملئت إفكاً .. دفع بيده
اليمنى باب الزجاج فشعر بصالة المعرض تشتبه فيه .. وهناك من يطالب
بإعدامه .. الوجوه السمراء رغم تبعثرها إلتقطته بفلاش الرموش ..
بعضهم جاء هنا حاملاً معه قرني استشعار .. التفتوا نحوه مباشرةً .. ابتلع
ريقه بصعوبه ..شعر بالخجل .. تعرّق وارتعش .
تابعته اعين لم يكن يهمها التراث او صور رموز الحركه الوطنيه بمقدر
ما تؤرقهم تهانيهم المؤجلة .. ومعرفة آخر أخبار اللجوء السياسي وتبادل
تهانئ عيد الاضحى . عانقه زملاء ومعارف تاهت عنه بعض اسماءهم
.. جاوب بفرح علي اسئلة روتينية واطلق سراح التهانئ المؤجلة تاهت
عنه ايضاً نرجسيته .. لم يجد صديقه "طارق الزين" راح يبحث عنه
وزاغ من الابصار مدعياً انه جاء من اجل المعرض وراح يتأمل التراث
ويحاول ان ينتقده بموضوعية .. فلا بد له ان يتحرر منه اولاً ليتخذ موقفاً
صحيحاً .. طاف علي الطاولة الاولى ببطء وعندما اراد ان ينتقل ببصره
الي الطاولة الثانية اعترضت عينيه فتاة سودانية تقف امام آلات الغناء

الشعبي عينيها جعلته يحس بوخزة إبرة داخل صدره (وفيما بعد
ستعترف له "سارا" انها شعرت بنفس الطعنه بين ضلوعها) هربت
سريعاً مخفية عينيها الواسعتين .. ودائسة علي خجلها بمحاولات فاشله
في تثبيت ربابه قديمه علي مسمار .. ومتوقعة في ذات اللحظة مزيداً من
الشظايا والاسهم الطائشة .. حاول خالد عزالدين ان يجد لعينه اشياء
تصرفها عنها .. بحلق في اوجه اخرى باهته كانت في نظره .. فعاد
يتأملها كلوحة ويتأكد من تناسق ألونها وامتزاجها وتدرجها .. هي لم تكن
معتادة علي صرف بصرها في اتجاهات عشوائية اذا ما اصطدمت
بنظرة جديدة .. كانت تستطيع ان تقابلها بنفس المدة الزمنية التي اتفق
عليها البشر .. ولكن خذلتها عيناها هذه المرة .. لم تستطع مجاراته
ومقاومة عينيه .. لقد داهمها في عقر جفنيها فاستسلمت مخبئة ابتسامة
ستفصح عنها لاحقاً .. ستقول له أيضاً : انت اول رجل اهرب من نظراته
لذلك شعرت بأنك مختلف .. وسيرد عليها في سره طبعاً (: نعم !!
مختلف مع النظام الحاكم .. مع الحزب .. مع الاصدقاء واحلام يسن ..
مختلف مع الاسير خالد منعم وياسر فقيري .. ولكن لن اختلف معك .)
ظل في مكانه عالقاً بجمالها .. يترقب إلتفاتتها ورؤية عينيها الواسعتين ..
شعر بنفسه متأرجح علي الفارغ ويتدلى مثل قرطها المعدم شنقاً علي
شحمة أذنها .. تأمل اردافها الكروية.. محاولاتها الفاشلة في وضع الربابة
علي المسمار كانت بمثابة هبة إلاهية جعلته يتغربل من خوفه ويقتحم
قلعتها .. وبمحاولة واحدة وجادة طبعاً استطاع ان يساعدها ويضع الربابة
علي المسمار وكافأته بابتسامة ساحرة .. وكشفت عن سنها المخلوفة..
فمد يد ه مرتبكاً وصافحها معلناً عن إسمه وفعلت نفس الشئ ..
لم يكن يتوقع ان يلتقي بفتاة تغيّر مجرى احساسيه وافكاره .. وتصبح
كسهل عطشان يصب فيه كل مشاعره العذبة .. شعر انها حددت معه هذا

الموعد مسبقا واختارته من بين آلاف اللاجئين .. كان هارباً من اصداء السياسة باحثا عن مستقبل هادئ في قرية هولندية يتعلم لغتهم وثقافتهم جيدا لا ليأمن شرّهم ولكن لينصهر في احدي شقراواتهم .. لم يكن يعلم انها ستجرّه بمشاعرها الشاقة العطشى الي مصب السياسى مرة أخرى .. وستحكي له في اول لقاء رومانسي عن والدها الضابط الذى اعدم اثر محاولة انقلابية فاشلة .

طبعاً لم تتصل به كما كان يتوقع وانتصر عليه النعاس اثناء تسكعه بين ازقة وتفاصيل لقاءهما المدهش .. نام متكئاً على المخدة والهاتف .. هي ايضاً ترددت كثيراً في الاتصال به فبعد ان اغلقت عليها باب غرفتها وضعت التلفون علي الكمودين واخرجت من حقيبتها ورقة علبة سجائر مارلبورو وتأملت الارقام المكتوبة وركزت علي ان تحفظ اولاً رقم هاتف الشقة .. ثم اخرجت مفكرتها ودونت ارقامه في صفحة جديدة وحاولت بطريقتها الخاصة فى حفظ الارقام بتعويد ذاكرة أناملها على نقر الرقم في جهاز التلفون دون ان ترجع للمفكرة .. جرّبت طريقتها ووزعت حركة رقمه في مربع ازرار الجهاز وتأكدت انها حفظته ويمكن ان تتصل به حتى في الظلام ولكن كبرياءها الانثوي جعلها تمنع نفسها من الاتصال .. رغم انها لم تتوقف عن التفكير فيه منذ ان رجعت من المعرض .. وكانت توّاقة لأن تسمع صوته .. ويبدو ان شيئاً ما جعلها متعثرة في احساسها .. راحت تسترجع في الحوار الذي دار بينهما بعد التعارف وركزت علي بعض النقاط التي تعتبرها هي مهمة للخطوات القادمة .. وايضاً راحت تحلل في شخصية خالد عزالدين من خلال اجاباته علي اسئلتها وغاظتها تعليقاته الساخرة علي اشياء تقدّسها .. فبعد ان دعاها الي الكافتيريا الملحقة بصالة المعرض كانت قد تجاوزت استحيائها وعادت الي طبيعتها .. وثرثرت عن نفسها كثيراً : لا تحب

المشروبات الغازية .. تكره الحليب ومستخلصاته .. وحكت له قصة طفولتها وكيف نمت عداوتها مع الحليب .. وقناعتها ان الاناقة تكمن في البساطة .. حكت عن عشقها للقهوة وافلام "جوليا روبرتس , ورتشرد جير" وصادف ان شاهد لهما فيلم[pretty Woman]

فكانت هذه اول نقطه لقاء مشتركه بينهما وفيلمها الذي يعرض الان بالسينما اصبح بمثابة الماء المنحدر علي بذرة العشق .. فاتفقا علي مشاهدته بدون ان تكتمل دائرة المعرفة .

حكت له عن إعدم والدها .. وحكي لها عني .. كأنني شخصية روائية لم يتقمص في احاسيسه عندما حكى لها عن مشاعرنا المشتركة سرد لها الحكاية دون تفصيل ومتجاهلاً حتي عناصر العشق .. وتركيزه كان منصباً في تأكيد نهاية علاقتنا بشكل مبهم ورمى باللوم علي الحكومة وما سببته من قحط وعطاله ثم هجره فهي دوماً تكون سعيده وتمد لك جسور التواصل لو عرفت فقط انك تحمل بداخلك عداوة مزمنة تجاه الذين اعدموا والدها .. أو لعنت الحكومة أمامها .. كما فعل الرفيق " عصام " وهو يساري متهور لقد اعجبت به واصبح صديق مقرب لأسرتها ونمت مغامرات بينه وبين شقيقها الاصغر .. وأصبح جزءً من الجو الاسري الدافئ .. ولكنه عندما طرح لها نفسه كحبيب مستقبلي رفضته واقتنع سريعاً بصداقتها المستمرة حتى الان .

حكي لها خالد عز الدين عن علاقاته بصديقات وزميلات الدراسة بلا مناسبة .. فقط ليبرهن لها احترامه للمرأه ويؤكد لها للمرة الثانية نهاية علاقتنا ومأساتها ويستخدمها كذريعة يقدم بها اوراق اعتماده الجديدة .. نهضت انوثتها المحتمية خلف ثأرها السياسي .. وتعاطفت مع علاقتنا المنصرمة والممزقة بأنصال الغربة .. وحسب فهمها لعلاقتنا حاولت ان تجد له بعض الحلول الهزيلة .. امكانية الاتصال بي مرّة أخرى او

محاولة دعوتي لزيارة هولندا (فى هذا اليوم كنت انا فى واشنطن وصادف لقاءهما عيد ميلاد ابني خالد)

راح يدحض في كل اقتراحاتها بحجة قوية .. جعلها تنتبه اخيراً لمستحيلية العلاقة .. وترك لها فجوة عشقية فارغة لتعبئها كيف ما شاءت مشاعرها .. لقد عبد لها طريق الخطوة القادمة لتعبر في اتجاهه .. استطاع ان يدهشها بمصطلحاته العجيبة كما ادهشني انا سابقاً وجعلني اجوع واشم رائحة الخبز الحار . نفس المصطلحات التي رَوضني بها .. جعلها تحس بغباءها وتلوم نفسها لماذا تصر علي ان تنطق فقط الاشياء التي سمعتها من افواه الاخرين ؟! واندهشت بها ثم استلفتها لتدهش بها غيرها .. وانتبهت ان الاخرين لا يندهشون مثلها !! لماذا لا تبتكر وتنتج افكار لوحدها ؟! استاءت من نفسها عندما تعامل خالد عز الدين مع ملاحظاتها باعتياديه .

فعندما ادان خالد عز الدين حكومة " نميري" ورمى على عاتقها كل كوارث السودان وغباء الشعب تدخلت هي بتعليق تحفظه جيداً سمعته من احد السياسيين ونطقت به كأنما دماغها أنتجه في التو .

- الغريبة انو الشعب يغنّى ليهو : بالملايين قلناها نعم .. عشان اولادنا نتعلم !!

وراحت تتبسم بخفاء عندما شعرت بإنصاته التام ومنتظرة اندهاشته من ذكائها اكدت له ان الشعب فعلاً غبي .. لا يعلم ان التعليم حق أساسي فلا يمكن لنا ان نستجدي حكومة او نبايعها لكى يتعلم اطفالنا . لقد شعر هو بذكائها واعجب به ولكنه لم يعلم انها كانت تنتظر اندهاشته .. اكتفى بهزة رأس مؤكداً على مصداقية كلامها . اغاظتها هزة الرأس بلا تعليق . ازاحت رأسها نحو الكومدين .. نظرت الي التلفون ونقرت بإصبعها علي لوحة الأرقام وتأكدت انها حفظت رقمه .. ولكن احساسها بغباءها

واخطاءها جعلها تتكاسل من الاتصال وتتردد .. حسمت الامر سريعا واطفأت الاباجورة .. تحسست التلفون بيدها وسحبته لتضعه علي صدرها وبحاسة اللمس فقط استطاعت ان تنقر على رقمه مرة اخرى ولم تتجرأ في الرقم الاخير .. ظلت ساهرة ومترددة حتى وقت متأخر من الليل .. راجعت كل حوارتها معه .. وتمنت ان تعيد هذا اللقاء مره اخرى كي تستبدل مفرداتها وبعض التعليقات .. ولما شعرت بأن هذا التمنّي عبارة عن عدم واقعية .. نامت .

(٢)

قرأت في احدي صفحات مفكرته الحمراء ....

{ في الصباح استيقظت مستاء ورأسي مُثقل برواسب الويسكي .. وداخل الحمام تذكرت لقاء امس مع "سارا" رسمتُ ابتسامه علي وجهي وغمزت لنفسي في مرآة الحمام رحتُ استعيد في صورتها .. فخرجت لي اولاً ضحكتها وسنها المخلوفة من الجدار ثم استحضرت بعد ذلك وجهها الدائري وعينيها الواسعتين وحواجبها الغزيرة .. وظهرت لي في حالة حديث وضحكة .. وستظل هذه الصورة تلازمني دوماً .. فكلما حاولت ان اتذكرها واعيد صورتها تأتيني في حالة حوار وضحكه .. ولم تكن لدي صعوبة في استحضارها رغم انني رأيتها امس فقط .. تعجبت من نفسي!!

فـ "أحلام يس" التي عشقتها واحببتها لمده سنوات عاجزٌ عن استعادة وجهها وملامحها .. فدائماً استعين بصورتها .. حتي عندما كنت في اسمره وبالتحديد ليلة هزمني زوربا .. ذلك الاسير حكى لى كيف كان يعرّي جسدها .. حاولت ان استحلب صورتها لإتأكد انها فعلاً وافقت علي ان تنام مع رجل غيري ..لم اتمكن من استحضارها في ذهني .. وحتي الان عاجز عن ذلك . عندما جاء المساء وبعد اول كأس ويسكي – كأس الشجاعة – حسمت امري وقررت ان اتصل بـ "سارا" كنت مرعوب من فكرة ان يرد علي التلفون شخصاً غيرها

.. وماذا أقول له ؟! او اصبح محرجاً امامه !! فكرت اذا جائني صوت غير صوتها اغلق السماعة مباشرةً !!
ربما يكون لديهم جهاز اضافي لإظهار الرقم !!
من الافضل ان اكون شجاعا واقول انني اتصلت من اجلها حتي ولو رد علي "هشام" شقيقها فهو اصغر منها ولا يمكنه ان يستجوبني فانا عادةً اخاف واضطرب من فكره الاستجواب !!
هذه الحاله معي منذ ايام المعتقل .. اسأل نفسي لماذا انا خائف !!
فهي بنفسها التي دوّنت لي رقم هاتف منزلهم .. فيجب ان نعترف كما يقول صديقي "طارق الزين" باننا دائماً نضع شرطياً داخل اذهاننا .. هكذا قد تعودنا .
وفعلاً كما كنت متوقعاً رفعت سماعة التلفون والدتها .. فتحدثت معها بكل احترام وتلعثمت قليلاً ولكني سريعاً ما عالجتها بكحه خفيفة .. ثم قدمت لها نفسي وطلبت منها ان أكلم " سارا" .
عندما امسكت سماعة التلفون شعرت بها متلهفه لسماع صوتي .. وكانها كانت تنتظر هذه المكالمة علي نار كابيه .. انفاسها متلاحقه .. نطقت كلماتها بعد مشقة .. ولكنها خذلتني عندما علمت انها كانت تنظف في الشقة لحظه رنّ هاتفي .. واشتكت لي من تعب النظافة و"هشام" الذي لا يساعدها . . وماما تدلعه كثيراً ..
- تخيل ماما بتدلعو عشان هو ولد عليك الله دا ما تخلف ؟؟!!
- طبعاً دا حال الام ـــــــــــة السودانية .
حكت لي عن ليلة امس والارهاق الذي حدث لها بعد المعرض .. وإعتذرت وتأسفت لعدم مقدرتها علي الاتصال .. فالتعب جعلها تنام في وقت مبكر .. وكررت أسفها مره اخرى .
كنت سعيداً بأني اسمع صوتها واتخيل في سنها المخلوفة اثناء ضحكتها .. تركتها تثرثر وتحكي عن اهميتها في البيت .. وتسمي نفسها (راجل البيت) تذهب الي السوق لوحدها لتشتري احتياجات المنزل .. تحدثت عن الدراسة

ومشاكلها مع البنك والفواتير .. وسيارتهم التي اضاع مفاتيحها صديق "هشام" في احدى صالات الرقص واشياء اخرى لاتهمني .. ولكن استمعت لها بصدر واسع لم اكن اعلم انه سيضيق سريعاً.

افلام الخيال العشقي ـ دموع مؤجلة

لقد اعتذرت له سارا لعدم تمكنها من الحضور الي امستردام لمشاهده فيلم "جوليا روبرتس" الجديد ولكنها حددت له موعد في الاسبوع القادم واشترطت عليه ان تعود الي " دنهاك " في وقت مناسب .. وحتي لايفهمها بطريقة غير حضارية .. تعذرت له بتوقيت الترامات المزعج .. وما كان امام خالد عز الدين سوى الموافقة علي هذا الخيار .. لقد جعلته يتجاهل قرية " زاود دورب Zuit dorp " التي استأجر فيها منزل ريفي وقرر ان يكمل فيه بقية حياته .. لم يرجع الي قريته هذا الاسبوع ظل مع صديقه "طارق الزين" يقاسمه الشقة مرة اخرى ينتظر موعدها المؤجل .
صارت هواتفهما الليلية ملتهبة واكثر دفئاً .. حكت له عن طفولتها والدول التي زارتها اثناء انتداب والدها كملحق عسكري في بعض السفارات والكورسات العسكرية العليا بأمريكيا .. ولا زالت تتذكر اشياء قليلة في ولاية " اكلاهوما " .. وكلما جاءت سيرة والدها الشهيد تحكي عنه بإسهاب وتفتخر بتربيته لها .. فهي الابنة البكر وبعدها جاء "هشام" ثم "مريم" التي سميت علي جدتها .
سالته اولاً عن شراب الخمر مثلها مثل اى فتاة تريد ان تضع قدم احساسها بحذر على سطح تربة غير مخمورة وتحاول ان تبرمج نظام احاسيسها متفقة مع تكنولوجيا اخطبوطية .. اخبرها انه يتجرعها يوميا بتلذذ .. وحاول ان يصور لها المتعة التي تفرزها الكحول في دماغه ..

ووجد فرصته في الحديث ليروي لها مغامراته في السودان والعرقي الذي تجلب زيادته قبل البدء في شرابه .. وعن مشاكله وديونه مع بائعات الخمور البلديه .. والمقايضات والمفاوضات التي تستمر حتي منتصف الليل روى لها كيف كان يتصيدهم عساكر النظام العام في تلك البيوتات .. قرأ لها جزءً من شعره الذي كتبه في تلك المرحلة . لم ينسَ ان يحكي لها عن ايام المعتقل وكيف وضعوه داخل شوال فحم !! وعرج علي طفولته ايام مصنع سكر الجنيد وشقاوته المتواصلة .. وعندما جرب شراب المريسه وهو لازال في المرحلة الابتدائية .. حكى عن موت والده ..تذكر في تلك اللحظة الاوجه السوداء اللامعه .. تعكسها له اضاءة لمبة بوّابة حديقتهم .. وكيف كانت سحناتهم المظلومة تتوعد والده بالشر والشؤم !!

لقد اعترف لها ان حقوق العمال الثلاث المهضومة كانت السبب الرئيسى فى وفاة والده بعد ان عذبه داء السكر وعندما شعر بها غير راضية عن ارائه حول والده .. حاول ان يتهرب من النقاش .

- قالوا دعوة المظلوم مستجابه .

كانت "سارا" تستمع له مخفية جسدها كله تحت الفراش .. كالسحلفاء كان رأسها خارج الاغطيه السميكه .. وهي عادتها في النوم حتي في الايام الحاره تنام بملابسها الداخلية وتخبي جسدها الناعم بأغطية سميكة .. ظلت تضحك من مغامراته والمفارقات.. بدأت سعيده بحكاويه وشعرت به يميزها عن غيرها ويخصص لها مكاناً بداخله .. لذلك راح يحكي لها عن اسراره بلا خجل .. هكذا تخيلت .. واعجبتها طفولته ومجازفاته . اما نضاله داخل المعتقل جعلها تفتخر به وتعجب بشخصيته .. كانت تموت من الضحك وتخفي وجهها تحت المخدة .. عندما يسرد لها احداث مدهشة .. احياناً يبدو لها كأنه يحكي في رواية أو قصة مسلسل .. عقلها لا

يتصور ان هناك حياة مختلفة كثيراً عن حياتها .. وفي بعض الاحيان كانت تتألم وترقرق عينها عندما يسرد أحداث مأساويه فتتعاطف معه حدَ البكاء ولكن سريعاً ما كان ينقلها الي الشغب والاحداث المضحكه .. شعرت انها لم تضحك بهذا العمق منذ ان اعدم والدها .. واعترفت له بانها اصبحت تحس به قريباً منها .

بعد ان انتهت المكالمة ووضع سماعة التلفون في مكانها .. رقص لوحده في الغرفة وشعر ان لديه الرغبة في ان يوقظ صديقه "طارق الزين" من نومه ويبدآن السكر من جديد ليحكي له عن التطورات .. لقد سمعها تعترف انها بدأت تخطو نحوه .

بعد ان خرجا من السينما حشفت عينيها عندما اصطدمت بالاضاءة الطبيعية .. وراحت تهئ نفسها لتعبر عن سعادتها بهذه الممثلة الرائعة ومقدراتها الفائقة علي تجسيد شخصيات مختلفة ولتعرج بالحديث عن الدراما السودانية ومن ثمّ الوضع السياسي الراهن واساءت رموزه .. خالد عز الدين كان يشعر بمؤمراتها في التوغل به في حوارات سياسية تافهة .. وستعكر صفاء هذه اللحظات الثنائية .. فأمسكها من يدها لتختل برمجة دماغها وحاولت سحب يدها من كفه دون ان تحرجه ولكنه ضغط عليها بقوة وحفزها لكي تركض معه للحاق بالترام رقم (٥) المتجه نحو محطة قطارات امستردام .

صعدا الى الترام بأنفاس متلاحقة ووقفا متقابلين ومبتسمين لبعضهما دون حوار .. اصابع يدها منسية بين احضان كفه .. واصلت في ضبط ايقاع تنفسها بزفرات هواء قوية وراحت تضحك من مغامرة الجري خلف الترام مع هذا الشاب المغامر والذي يبدو لها مختلفاً ومثقفاً وجديراً بان تغامر من اجله . تذكرت انها داخل ترام مزدحم في قلب امستردام ومن المحتمل وجود سودانيين بداخله ويشاهدون "سارا" ابنة الشهيد !!

فسحبت يدها بسرعة وإلتفتت حولها لتتأكد من براءتها فلم ترى اي ملامح سمراء . وانحناء الترام في احدي انعطافاته جعلها تفقد توازنها وتستند علي ساعده و تضحك .. فوجدها خالد عزالدين سانحة مناسبة ليمسك يدها بمبرر ويتأمل سنها المخلوفة ومن ثمّ ابتسامتها الساحرة .. حافظت علي توازنها وحاولت استعادة يدها ولكنه رفض وضغط عليها اكثر فاستسلمت لدفء يده وهربت ببصرها للخارج تتأمل سياح آسيويين يلتقطون صور فتوغرافية .. لأول مرة تشعر بأن يدها جزء اساسي فى جسدها الرشيق احست بالدفء يتسرب إليها ويغمر كل جسدها .. شيئاً ما لذيذ لم تسطع ان تترجمه .. تذكرت عندما كانت مريضة تقف امام مكتب مدير السلاح الطبي واضعة اصابع يدها الرقيقة علي كف والدها ومتكئة برأسها علي بذلة العسكرية وتمرّغ رأسها علي نياشينه من قلق الملاريا ومرارتها .. رغم ذلك كانت منتشية بالتحية العسكرية التي يأديها صغار الضباط امام هيبة والدها وتحس بدفئه وعظمته .. تتغلغل في ذاكرتها اكثر لتستعيد حاسة اللمس وكف والدها التي كانت تمتص الحمى من اصابعها المرتعشة .

وفي نفس اللحظة كان خالد عزالدين منتشي برخاوة يدها ورقتها .. وشعر بذهنه يتحول ويحتل مكان يده .. فكر ان يضغط على يدها اكثر ليستلذ بنعومتها ولكنه خاف من انفلاتتها .. تذكر اول مرة يمسك بيده عصفورة صغيرة اطاحت بها رياح الخريف من علي شجرة النيم الضخمة في حديقة منزلهم عندما كانوا في الحي الغربي بقرية مصنع سكر الجنيد .. يومها كانت الامطار غزيرة .. جلس علي مصطبة صالة منزلهم ذو الطراز الانجليزي .. يتأمل قطرات المطر ويهدئ في سرّه من قوة الرياح التي كادت ان تعصف وتقتلع الاشجار شاهد العصفورة الصغيرة تسقط من أعلى شجرة النيم علي مياه الامطار .. فتح باب

الصالة وهرع إليها غير عابئ بالبرق واصوات الرعد المخيفة .. أخذ العصفورة برفق ووضعها داخل كفه وهي ترتجف من شدة البرد .. ذهب بها الي غرفة الغفير واقترب بها من النار لتدفأ ولكن لم يتوقف ارتعاشها داخل كفه .. ضغط عليها بقوة اكثر لتحس بحرارة جسده وعندما توقفت ارتعاشتها فتح يده بسعادة نجاحه ليجفف لها ريشها فوجدها ماتت.

وفي نفس اللحظة شعر بيد "سارا" تنسحب منه .. فنظر اليها مستفسراً .. فشاهد في عينيها الواسعتين دموع مؤجله ومحبوسه عنوة .. خيل إليه انها كانت تتسكع معه في ذكرياته مع تلك العصفورة التي ماتت علي كفه .. وهاهي تحزن معه .. فلم يكن يدري انه اول رجل يمسك يدها .. فبعد استشهاد والدها اصبحت ترى في نفسها ليست بيتيمه بل هي اقرب الي الارمله ويمكن ان تنافس حتي والدتها .. فهي تعتقد انها فقدت حبيبها .. وكثيراً ما كانت تشارك في المسيرات السلمية مع ارامل الشهداء يوم ذكرى اعدامهم .. فكانت تأتي نيابة عن امها وفي قرارات نفسها خرجت في ذكري اعدام حبيبها .. وهاهو خالد عز الدين يذكرها بكف الشهيد العامره بالدفء .. وفيما بعد ستتشبه بوالدها .

واصل نظراته الاستفساريه عندما رأي الدموع تتجمع في مقلتيها .. ولكنها لم تستطع مقاومة نظراته لقد اصبحت عينيه عقدتها الاساسية .. ولا تستطيع مواجهته الا في حالة ثرثرتها عن السياسة .. طأطأت رأسها وابتسمت بخجل رغم رقرقة عينيها .. فتلت عنه رأسها الي الناحية اليمنى وعاضة علي ابتسامتها .. اصطدمت انظارها بعاشقين علي يمينها يتخللان في بعضهما بقبل ملتهبة .. عادت وطأطأت رأسها مره اخرى .

سألها ان كانت حزينة او شيئاً من هذا القبيل .. بحثت عن فمها الثرثار فلم يسعفها واكتفت بهزة رأس .. تأمل شفتها السفلى واكتنازها المثير .. امسك يدها بسرعة .. اقترب منها وكاد ان يهمس بشئ ما.. احس باندفاع

مشاعره .. تراجع قليلاً خاف من احساسه الذي كاد ان يلوي له يده وبطالبه بالاعتراف الصريح وادانة دواخله .. لقد انكر حتي دقات قلبه المتسارعة وضجتها .. ولو كان لحظتها عبر لها عن حبه داخل هذه الزحمة وقدم اوراق اعتماده كاملة .. كانت ستعتبره لا يختلف عن الذين سبقوه في عشقها منذ ايام معسكرات اللجوء السياسي .. وكان سيأكد لها اعتياديته .

- نحنا وصلنا السنتر إستيشن .

بعد ان اوصلها الي مدينه (لاهاى) رجع الي الشقة في امستردام .. هاتفته واعترفت له بأن يده كانت دافئة .. وظلت مستمتعة بهذه الامسية حدّ انها طلبت منه ان يقرأ لها شعراً .. وراح يقعر في كلامه حتي ساقته المفردات الي مصب السياسة .

فالعشق في البداية يجعلك تدير ظهرك لكل الاعمال الهامة والقادمة .. ويجعلك تمتطي جواداً هلامياً ليكسح بك في عوالم سرابية لا تحدها اي منطقية و لا ترى سوى سهول من المتعة الخضراء منبسطة الى نهاية الافق .. فعلاً الحب اصبح ضد مصلحة خالد عز الدين الشخصية .. تجاهل مشروع دراسته العليا .. واستنكر حتي انزوائه في الريف الهولندي لمزيداً من التفكير .. وعاد ليقاسم صديقه شقة امستردام .. لم يعد يفكر في شئ سوى "سارا" حتي خيال زوربا وجرثومته لم تعد تأرّقه مثل أول , عاش مع صديقه مستلذاً بالمكالمات الليلية والتي تنسجم فيها الاحاسيس والروح وتستمر حتي مطلع الفجر .. كان احياناً يستأذن صديقه "طارق الزين" ويتركه في مواجهة حادة مع زجاجة الويسكي .. واحيانا يشركه في بعض الحوارات والافكار .. لانه سيصبح صديق العلاقة وأهم المنظرين على فِهرسها .. يشارك معهما في بعض القفشات ويتفق دائماً مع "سارا" ضد خالد عزالدين وهذا الاتفاق ضمن الخطة

التي رسمها الصديقان لتبتلع "سارا" الطعم ولا تتكرر عليه مأساته معى حسب تعبيره .

- كأسك يا صديق .

الكأس البجيبو الصديق ابلعو وإستريح !!

يدفع به الي حلقة ويمسح علي شفته السفلى مستلذاً بهذه النشوة المزدوجة .. مواصلاً في ذات اللحظة همسه علي السماعة .. متخيلاً ضحكتها الثعلاء .

كانت في الجانب الاخر كعادتها متدثرة تحت اغطيتها السميكة وكالسلحفاء مخرجة رأسها فقط .. تنعكس اضاءة الاباجورة على وجنتيها وجبهتها لاصقة سماعة التليفون علي محارة أذنها .. تنكمش وتثير حفيظتها وسوسته وهمسه .. تتسلقها قشعريرة وتمر خلف أذنها وتجعلها تمرّغ رأسها علي المخدة .

وفي احدى الهواتف الليلية تجرأ وسألها ان كانت نفذت فيها عقوبه الاعدام الانثوية .. لم تستوعب في بادئ الامر ما كان يرنو إليه .. مما جعله ينطق بها صراحة ويسألها .. ان كانت مختونة !! ام لا ؟ اختبأ صوتها في مكانٍ ما .. وراحت تضفر في خجلها و إستحياءها .. اضطربت وازدادت سرعة نبضها .. احست بالصمت طويل ومربك ردت عليه وهي مغمضة عينيها جاوبت عليه بطريقة الامضاء ......

- بابا كان ضد الفكره دي .

ثم هربت منه داخل ازقة تحفظها جيداً .

وايضاً في احدى المرات كان ثملاً وزادت الكحول من جرأته .. قبلها علي سماعة التلفون .. اغلقت الخط مباشرة ثم دسّت رأسها تحت اغطيتها السميكة وراحت ترتعش وقلبها يرفس من الخوف .. وعندما عاود الاتصال بها رفعت سماعتها مع اول رنة جرس وراحت تزجره وتوبخه .. حاكمته كأنه مجرم ..

مشاعره .. تراجع قليلا ً خاف من احساسه الذي كاد ان يلوي له يده ويطالبه بالاعتراف الصريح وادانة دواخله .. لقد انكر حتي دقات قلبه المتسارعة وضجتها .. ولو كان لحظتها عبر لها عن حبه داخل هذه الزحمة وقدم اوراق اعتماده كاملة .. كانت ستعتبره لا يختلف عن الذين سبقوه في عشقها منذ ايام معسكرات اللجوء السياسي .. وكان سيأكد نها اعتياديته .

- نحنا وصلنا السنتر إستيشن .

بعد ان اوصلها الي مدينه (لاهاى) رجع الي الشقة في امستردام .. هاتفته واعترفت له بأن يده كانت دافئة .. وظلت مستمتعة بهذه الامسية حدّ انها طلبت منه ان يقرأ لها شعراً .. وراح يقعر في كلامه حتي ساقته المفردات الي مصب السياسة .

فالعشق في البداية يجعلك تدير ظهرك لكل الاعمال الهامة والقادمة .. ويجعلك تمتطي جواداً هلاميا ليكسح بك في عوالم سرابية لا تحدها اي منطقية و لا ترى سوى سهول من المتعة الخضراء منبسطة الى نهاية الافق .. فعلاً الحب اصبح ضد مصلحة خالد عز الدين الشخصية .. تجاهل مشروع دراسته العليا .. واستنكر حتي انزوائه في الريف الهولندي لمزيداً من التفكير .. وعاد ليقاسم صديقه شقة امستردام .. لم يعد يفكر في شئ سوى "سارا" حتي خيال زوربا وجرثومته لم تعد تأرّقه مثل أول , عاش مع صديقه مستلذاً بالمكالمات الليلية والتي تنسجم فيها الاحاسيس والروح وتستمر حتي مطلع الفجر .. كان احياناً يستأذن صديقه "طارق الزين" ويتركه في مواجهة حادة مع زجاجة الويسكي .. واحيانا يشركه في بعض الحوارات والافكار .. لانه سيصبح صديق العلاقة وأهم المنظرين على فِهرسها .. يشارك معهما في بعض القفشات ويتفق دائماً مع "سارا" ضد خالد عزالدين وهذا الاتفاق ضمن الخطة

التي رسمها الصديقان لتبتلع "سارا" الطعم ولا تتكرر عليه مأساته معى حسب تعبيره .

- كأسك يا صديق .

الكأس البجيبو الصديق ابلعو وإستريح !!

يدفع به الي حلقة ويمسح علي شفته السفلى مستلذاً بهذه النشوة المزدوجة .. مواصلاً في ذات اللحظة همسه علي السماعة .. متخيلاً ضحكتها الثعلاء .

كانت في الجانب الاخر كعادتها متدثرة تحت اغطيتها السميكة وكالسلحفاء مخرجة رأسها فقط .. تنعكس اضاءة الاباجورة على وجنتيها وجبهتها لاصقة سماعة التليفون علي محارة أذنها .. تنكمش وتثير حفيظتها وسوسته وهمسه .. تتسلقها قشعريرة وتمر خلف أذنها وتجعلها تمرّغ رأسها علي المخدة .

وفي احدى الهواتف الليلية تجرأ وسألها ان كانت نفذت فيها عقوبه الاعدام الانثوية .. لم تستوعب في بادئ الامر ما كان يرنو إليه .. مما جعله ينطق بها صراحة ويسألها .. ان كانت مختونة !! ام لا ؟ اختبأ صوتها في مكانٍ ما .. وراحت تضفر في خجلها و إستحياءها .. اضطربت وازدادت سرعة نبضها .. احست بالصمت طويل ومربك ردت عليه وهي مغمضة عينيها جاوبت عليه بطريقة الامضاء ......

- بابا كان ضد الفكره دي .

ثم هربت منه داخل ازقة تحفظها جيداً .

وايضاً في احدى المرات كان تملأ وزادت الكحول من جرأته .. قبلها علي سماعة التلفون .. اغلقت الخط مباشرة ثم دسّت رأسها تحت اغطيتها السميكة وراحت ترتعش وقلبها يرفس من الخوف .. وعندما عاود الاتصال بها رفعت سماعتها مع اول رنة جرس وراحت تزجره وتوبخه .. حاكمته كأنه مجرم ..

فراح يتقيأ في اعتذارته حتي ساعات الفجر الاولى (ستضحك علي نفسها وهي عارية تحت اغطيته وتمص في شفته السفلى تذكرت عندما ذلته وعاقبته علي قبله عبر اسلاك الهاتف) انفعلت من جرأ ته اخبرته ان لا يتعامل معها بهذه الاسلوب فهي ليست من تلك النوعية التي يتوقعها واصل في اعتذاره حتي اليوم التالي "وتبت شفتيه اذا كررها " .

اشترى لها هدية والشكولاتة التي تحبها ورويداً رويداً راحت تتعود علي جرأته وجسارته .. بدأ يزحف بإحساسه داخل اسلاك التلفون .. وبخياله راح يقنعها انه سيتسرب من سماعة تلفونها لينام بالقرب منها .. مستلذة كانت بأفلام الخيال العشقي .. وتفج له مكاناً علي يمينها وتتنازل له عن جزء من وسادتها .. تتخيله قد اندس معها داخل اغطيتها وتتدفأ بيده .. واحياناً تتعرق من الخجل عندما يطلب منها ان تصف له ملابس نومها واللون ليمزج الخيال بالواقع .. لم يكن يعلم انها تنام فقط بملابسها الداخلية - ولم تعترف له الا مؤخراً - راح يربى في خياله مستفيداً من لحظات السّكر .. جعلها تتخيل معه كيف يتحسس فى جسدها ويبدأ من شحمه اذنها حتى اطرافها .. وتقشعر هي حدّ العطن .. حتي اصبح بينه وبين شفتيها انفاس حاره .. علمها كيف تمسك يده بنفسها دون خوف .. وتقبله خلسة داخل الترام .. تخاصره في الشوارع الهادئة .. حتي اوصلها مرحلة القبل الطويلة .. لقد وجدت بها لذة غير متوقعة .

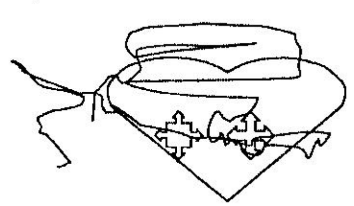
وعندما دخلت معه اول مرة الي شقته المشتركة مع صديقه "طارق الزين" كانت مرعوبة من هذه المجازفة .. تنقز وتنطط في ذهنها اسئله مصّيريه ومزعجه ..

بنت الشهيد !! ومحاذيرها !!

لقد منعت نفسها حتي من المكياج والفساتين الضيّقة .. ولكن مذاق القبل وطعمهما لا يضاهي اي إلتزام اخلاقي ومنطقي .. فغامرت بوضعها الاجتماعي والسياسي .. وبعدها لم تستطيع ان تتوقف علي القبل وحدها .

(٣)

لقد وجدت في احدي صفحات مفكرته رسم تشريحي للقلب ومؤكداً علي اماكن العشق والضغينه .. فرحت اقرأ ما تحت الرسم .



{ صديقي طارق الزين احياناً لا تعجبه اللعبة التي اتفقنا عليها .. واكراماً وحباً لي لا يريد التنازل عنها ويقف بجانبي الي حدّ التناقض مع نفسه .. فأجده يتنازل عن اراءه من اجلي بهضم حقوق المرأة تماماً .. متنافياً حتي مع فكره استقراره في اوروبا .. يدعوني ان لا اطيل امد علاقتي بـ سارا واعجل باستدراجها الي الشقة دون مطاولات هاتفية ليلية .. يستهل حوارته بسخريه من الحب الذي بدأ يعشعش في دواخلي دون علمه .

اها .. اخبار بت الشهيد شنو ؟!!

اجد احساسي يفلت من لجام الخطه التي رسمناها سوياً .. وليس لي رغبه في استدراجها الأن سوى الي غرفة قلبي .. فهو يعلم انني كفرت بالحب بعد احلام يس وحدفت بقلبي داخل سلة مهملات واتفقت معه علي ان تكون علاقتي بـ سارا نهايتها واضحه وبيّنه .. استدراجها الي الشقه - في غيابه طبعاً - لكي اعلمها كيف تبتلع لساني وتتحرك عاريه بين الحمام والغرفه رابطة منشفتي البيضاء علي خاصرتها .. اضرب مؤخرتها كلما طالتها يدي .. ادغدغها وامازحها .. اطالب باسترداد المنشفه .. تختبئ مني داخلّ الحمام .. اجري خلفها .. ادفع الباب بقوة .. تستسلم لشراستي .. اقضم شفتيها ونحن تحت الدش بلا ازياء .. اتركها هي التي تفتش عن انوثتها بين ازقة رجولتي .. ثم تنام علي

ساعدي .. وادخن علي ايقاع انفاسها لفافتي .. أبدو سعيداً وملتهفاً لحضور المساء ..لأسرد لصديقي أحداث جسدها البض .. احكي له علي أنغام الويسكي كيف كنتُ مقتصداً في حجتي لدخولها الي الشقة !! وكيف بعزقت لها سوء النيّه عن ذهنها .. ولم اكن متوقعاً انها هيأت نفسها لهذه الخطوة بإرادتها .. فيؤكد لي "طارق الزين" : ان الانوثة اذا طفحت تصبح كالجثة فلا احد يستطيع اخفاء رائحتها .. ثم يضيف : يجب ان نعترف بأنهنّ يعرفنّ جيداً متى نشتهيهنّ نحن .. ولكن لايستطيع اذكي رجل ان يعلم متي تشتهيه المرأة الا اذا باحت له بنفسها .. لقد شعر "طارق الزين" بصمتي يحرجه .. ففتح الثلاجة بلا معنى .. ولكن لكي يخفي اضطرابه صب لنفسه عصير وراح يفند في مفرداته ويعاقبها .. ويبحث عن طريقة اعتذار مناسبة .. تخيل كلمة بنت الشهيد لم اتقبلها منه لسببٍ ما .. وابدو له غضبان من سخريته .. فسريعاً ما كرر سؤاله منحدراً من السخرية إلي قاع الود ومؤكداً علي نفسه كضلع ثالث في مثلث العلاقة ويكاد يكون مستلقى علي ضلع الوتر .

- سارا .. اخبارا شنو ؟!

للاسف يا صديقي لقد خذلتك .. واصبحت احبها عمداً !!

عانقني لحظتها مخفياً دمعته المعتادة .. لقد كان يتألم من التيه الذي غمرني منذ فترة .. والكآبة التي اعتلتنى بعد ان تحطمت مجاديف نضالي .. وظل عاجزاً ورهيفاً أمام غرغرينة الحزن التي تنخر بداخلي } .

رائحة المكياج الثورى

بعد عودة خالد عز الدين من اسمره لم يحكي لصديقه "طارق الزين" سوى بالجوانب المشرقة في رحلة نضاله .. ويمر سريعاً عبر ممشى الذكريات التي تدين موقفه .. لم يحكِ له عن "خالد عبد المنعم" الاسير .. ولكنه حكى عن

مفاتن "سمراويت" وصدرها المتكبر .. سرد قصة بطولته بطريقة (كلاجيه) .. معتمداً في ذاكرته علي اشياء واقعيه تمهد طريقة السرد .

فمنذ وصوله الي امستردام اطلق عليه صديقه لقب المناضل خالد عز الدين وراح يتفاخر به بين اصدقائه ومعارفه ويحمل تجربته البطولية في ذهنه .. وكالبطاقة يخرجها للذين يلوكون السياسة في غرفة سيئة الاضاءة .. واعتبرها صفعة حادة في وجوه كل الذين يدعون الوطنية والنضال .. كان فخوراً به وكأنه هو الذي ناضل في اسمره .. لم يستطيع خالد عز الدين التنازل عن اكاذيبه .. ولم يعترف بهزيمة "جيفارا" .. ورفض ان يصرح انه يحمل في لعابه جرثومة زوربا .. حافظ علي صورته كمناضل جسور امام صديقه .. وراح يعيد ويسرد احداث معركة "طوكر" التي شارك فيها وساهم في تدمير مركز الشرطة .. وحكى حتي عن الاسرى .. لقد سرق تفاصيل هذه المعركة من نقيضه "خالد منعم" الاسير .. ولم يكتشفه احد .. فغبار معركته واستبساله جعل اعتى مثقفي امستردام ينهضون من كراسيهم الوثيرة ويصافحونه بإحترام وهو متأبطاً صديقته "سوزاي" الحبشية .

لم يتوقع انه سيستدعى لإجتماع طارئ للحزب ويقرأ عليه احد الزملاء خطاب فصله من الحزب .. لاسباب تبدو لـ خالد عز الدبن مضحكه وغير جادة .. لقد إستنكروا ارائه المتطرفه .. شعر بهم بيّتوا له النيّة .. لقد شنّف لهم مبادئهم وتجاسر علي معقتداتهم واستهتر بهم .

احس بقلبه ينقبض .. تذكر حذاءه الذي وجده صدفة فوق سقف منزلهم وقد كمشته الشمس بحرارتها .. اختلجت عينيه واضطربت .. خرج من الاجتماع الطارئ يجرجر في احزانه .. تواري من كآبة الطقس .. همس لنفسه (: ما ابشع ان تداهمك المغارب وانت لم تحارب) .. دخل في احدي الحانات الصغيره .. طلب كأس ويسكي يتيم .. تجرعه بطعم

اللجوء . ظل محتفظاً بسرية فصله من الحزب وكذب علي صديقه "طارق الزين" اخبره انه قدم استقالته عمداً ليتفرغ لدراسته العليا .. لعن فى سره السياسه .. لم يشعر بالندم .. او انه فقد انتماءه السياسي .. لكن ارقه توقيتهم لفصله .. لم يكن مناسباً حسب رأيه فهو لا يزال يعاني من جرح علاقتنا وانني خذلته في ذلك الجليد .. فلو تريثوا قليلاً ليتجاوز ذاكرته التي نبشها الاسير "خالد منعم" . ولكنهم لم يمهلوه قليلاً .. لم يكن احد يتوقع ان ارائه المتطرفة نابعة من احساسه بالخذلان والحسره .. لم يخرج بعد من تحت انقاض مبنى العشق .

وبعد ان فصلوه من الحزب لم يجد سوى تلك القرية الصغيرة يلتجئ إليها معتذراً لصديقه بمشروع الدراسات العليا .. ليعتكف داخل منزل ريفي صغير ويتابع الافلام التسجيلية القديمة ولقاءات حديثة مع نجوم هوليود .

عندما سألته "سارا" في لقاءهما الثالث داخل بار صغير في وسط مدينة لاهاي عن انتمائه السياسي !! ساعتها كان مفعول البيرة مناسباً ليخرج الاسرار من مخبئها .. وشعر بها اصبحت قريبة منه وسوف تستوعبه .. فحكى لها عن تلك الامسية !! لليلة تأبين الفنان الراحل " مصطفى سيد احمد "(٥) والتي نظمها وأقامها الحزب الشيوعي في احدي صالات امستردام .. روي لها كيف اتته الجرأة ليمسك المايكرفون بيده .. والبعض اعتبره سيقرأ قصيدة ولكنه اعلن لهم بصوت عالي مابداخل صدره : (محض صدفة يا اصدقاء ان اقف بينكم الان .. ومحض غباء ان نحتفل بالاغاني المحنطة .. لم يعد مجدياً ان نكرم الموتى وقد خذلونا حتي فى نكهة الرمق الاخير .. هذا الفنان لا يستحق هذه البهرجة .. اغانيه ادوات حسرة وخذلان .. لقد حفظناها عن ظهر قلب وتحصنا بها كتعويذة ضد الاحزان .. لقد حافظنا حتي على مواقيت تأبينه وكأنه الناطق الرسمي لجيلنا .. شعرنا به يعبر عن احلامنا .. يدغدغ الاماني القادمة .. نصفق معه باجنحتنا كالطيور نمزق في خيالنا جوازات السفر ــ لم نكن نعلم اننا سنمزقها حقيقة من اجل اللجوء ــ لقد شربنا من صوته اجمل القيم والامنيات والاحلام ..

اين هذه الاحلام !!؟ واين الامنيات !!؟ لماذا تخوننا الاغنيات ..!! حتي انت يا مصطفي !!) شعر بكلماته ترتطم بالحائط وتعود اليه .. صمت مطبق .. الاصدقاء والزملاء في ذهولٍ يتغامزون .. شيئ ما حفزه اكثر .. يحضه لكي ينفعل وتجشأ غضبه . كان ثملاً ويترنح فمع تواطؤ الصمت ازدادت شدة انفعاله وشعر بأن هناك شخصاً بداخله يصفق له ولم يعد بمسيطر : (ان اغانيه يا اخوتي لا تتعدي فقاعات الصابون .. لقد تخيلناها احلام ورديه .. فهي لم تكن سوى افيون روج لها الحزب الشيوعي ونحن ادمنا الاحلام .. اعتقدنا القادم اجمل .. اين هذه الاحلام ؟! لقد قرعوا جرس المزاد علي احلامنا القادمة واشتراها غيرنا بابخس الاثمان .. اين الاحلام ؟؟ واين " احلام "..... التي كانت تتأبطني في جلسات الاستماع .. احضن كفها ونغني معه المبادئ .. العشق .. لم تعد هناك مبادئ !! انا الان لست سوى لاجئ !! اصرُّ احزاني داخل بُقجة واحوم بها في المطارات .. لقد خذلني هذا الفنان .. جعلني اعيش غافلاً اغازل في الواقع .. انني اكره ذلك الزمن المزركش بالامانى .. اتألم علي تلك الافراح المزيفه .. استيقظوا من هذا الافيون.. واجهوا مصيركم فالمآسي حتمية .. الاحلام تموت يومياً وتجوع .. ولا نري منها سوى ضلوع .. الامنيات تغدو سراباً .. كنت احد المؤسسين في رابطة معجبيه .. والان ارفض مبدأ اغانيه .. تخيلوا معي يا اصدقاء لو كان عائشاً حتي الان ربما عاد وصالح النظام !! انا لا ارغب في محاكمة احد فالله الصمد .. الله الصمد) .

بعدها دخل خالد عز الدين في نوبه بكاء اجش حد الغيبوبه .. وانهار وسقط علي الارض لم يستطع ان يرد عليه احد .. فحمله صديقه "طارق الزين" بسيارة الي الشقة .

ذهلت "سارا" من حكايته وزندقته .. شعرت كأنه تخلي عن ملة الاسلام عمداً .. احست بسخافته .. ظلت صامته تراقب حافة فنجان قهوتها بلا معنى .. تنبش لنفسها عن ردود افعال مناسبه .. فكرت في ان تنهي هذا اللقاء وبأسرع ما يمكن .. لقد اخبرها كيف فصلوه من الحزب الشيوعي .. في سرّها قالت له : (هذا لا يكفي !!) استرسل ممسكاً دفة الحوار .. طارحاً افكاره على طاولة البار ..

اخبرها بجدية عن ما معنى ان تموت الاحلام !! وتنتحر المبادئ .. وكيف يضرب العشق عن الطعام !! (ارجوك لا تظلميني كما فعل الاخرين .. انا لا اكره هذا الفنان وليست لي عداوة معه .. لقد حفظت كل اغانيه ولكن الواقع الذي داهمني بلا مخاض .. جعلني ارتد واكفر باحلامي .. لا ارغب في المزيد من الميلودراما .. الفنون اصبحت تخدعنا .. دائماً ينتصر فيها الخير .. والحياة تفعل عكس ذلك !! انا لم اقصد هذا الفنان بعينه او اغانيه .. انا ادين كل الادب والفنون التي صورت لنا الحياة اجمل مما نراها .. اقنعتنا بان احلامنا لا خيار لها سوى ان تنتصر .. لم تنهار الراسماليه بل انهارت الاشتراكيه وفي عقر دارها .. وكل المدارس الواقعية الاشتراكية كانت تقول لنا عكس ذلك)

قادها ببطء وذكاء نحو مجرى سياسي تعشق ان تخوض فيه باقدامها الرقيقه .. جعلها تنتقي اكسسواراتها اللامعة وتضع المكياج الثوري الذي ورثته عن والدها بعد اعدامه .. كانت تتجمل به في نقاشتها ومشاركاتها في الندوات السياسية واصبح لها رصيداً تتوكأ عليه ويزكيها داخل الاوساط الثقافية والادبية .. حكت له بالتفاصيل التى ستصبح مملة فيما بعد .. روت له عن تلك الليلة المأساويه عندما استولى رجال الامن علي منزلهم الخاص في ليلة شتوية .. ايقظوا شقيقتها الصغيره "مريم" وافزعوها .. اقسمت له انهم اخرجوها الي الشارع بقميص النوم .. منعوها حتي أن تفتح خزانه ملابسها .. وقفت ترتعش من البرد وتحتضن شقيقتها التي تصرخ .

استضافهم احد اصدقاء والدها في منزله ثم سهل لهم بعد ذلك طريق الهجرة الي هولندا .

كان خالد عز الدين يرغب في تدمير ادعاءاتها النضالية ومشاركتها في كل المسيرات النسائيه .. يريد ان يخرس لها لسانها الذي لا ينتج سوى نكهة سياسية .. وقرر ان يصبر عليها قليلاً ليفاجئها بنضاله غير المسبوق .. فهو الشاب الوحيد الذي تحرك بارادته وقوه ايمانه بمبادئه وترك الاجواء الاوروبية معتنقاً المعارضة ومؤمناً بالنضال المسلح .. صبر علي احاديثها المترامية مثل اللبلاب .. حتي جاءته اللحظة التي

كانت تتأمل في نفسها علي المرآة لتتأكد من كامل اناقتها السياسيه المنعكسه على جبهة دهشته .. واصطفت خصلة اخيرة تركتها تتأرجح على وجهها الدائري مدعية حتى الاغراء النضالي .

وجدها سانحة مفيدة ليعرج بها نحو دهشتها المقبلة .. وراح يرسم في سيناريو الاكاذيب غير الضارة .. خلع ساعته وسلمها لها .. نظرت للتوقيت بغباء ولكنه اشار لها نحو الشعار المرسوم علي ساعة يده .. قرأت العنوان البارز .

حكي لها بتذمر مخفي متعته بدهشتها .. روي لها عن مشاركته مع جيش التجمع الديمقراطي وسرد لها كالعادة المعركة التي خاضها في ذهنه فقط .. وكيف ساهم ببسالة في تدمير نقطة الشرطة بمدينه "طوكر" وحدثها حتي عن غبار المعركة وعن تلك المدينة معتمداً علي خياله الفذ .

جعل بروتوكولات الدهشة تنسجم وتهرمن مع موسيقية دواخلها .. تغسل كل الشوائب عن ذهنها .. تنتقي عدساتها بفلتر احاسيسه .. تنطبع علي شبكية عينيها صوره "جيفارا" الجميلة .. حتي انها كادت ان تستنشق رائحة البارود من جسده .. سلمته مشاعرها دفعه واحده .. قدمته لوالدتها علي انه صديق مهم في حياتها .

تذكر الايام الاولى لتعارفهما كانت الاشواق والاهتمامات المفرطة بتبادل الهدايا والابتسامات هي سيدة الموقف .. يذهب للقاءها في مدينه لاهاي تاركاً وراء ظهره اشياء مهمه معتذراً حتي عن عمله في متحف " فان جوخ " يصل إليها مندفعاً بقوة داخلية وعندما تراه هي تكاد لا تفارقه لحظه واحده من شدة الوجل .. كاتمه علي انفاس مشاعرها ومخبئة عنه احساس الخطوة القادمة .. يتملص من نشوتها بمشقه ويغادر الي امستردام تتابعه بصوتها علي الموبايل حتي يتوقف القطار .. وتدغدغه حواراتها حتي يدخل الشقة .. ثم يتصل بها من تلفون البيت .. تعاود هي

الاتصال مره اخري .. اما بعد منتصف الليل لم يكن هناك قانون يحكم الاتصالات .. يتحدثان عن لقاءهما النهاري .. وتوضيح بعض المعاني .. والاشياء التي يمكن ان تفهم بطريقه اخري .. وتثرثر هي عن اصدقائها ومعجزاتهم .. وحكاوي عن مسيرات السلم وعلاقتها ببعض ارامل الشهداء .. ولن تنسى جلساتها الدورية داخل العيادة النفسية .. فبعد اعدام والدها اصيبت بحالة ذهول واضطرابات نفسية .. لا زالت تعاني منها حتى الان .. وتداهمها كوابيس ليليه .. يتواصل الحوار متخطياً التثاؤبات ويدوران حول حقيقة الاحساس ولا احد يطرق الباب او يقدم تنازلات ويعترف بصدق احساسه تجاه الاخر .. والمدهش فى الامر ان كل واحد منهما يعلم بحقيقة مشاعر الاخر ولكن للاسف لا توجد اثباتات او وثائق تدين الاحساس وتورّطه في علاقه حب .. فليس هناك سوى الاعتراف الرسمي وتعتبره هذه معادلة معقدة ايضاً ومرتبطه بشروط الضوء الاخضر الذي يسمح بمرور المشاعر دون خسائر مرهفه .

لم يكن يعلم انها اعترفت بمشاعرها لمجرد انها اشتمت فيه رائحة النضال والسياسه ... وراح يبادلها نفس الاعترافات عبر جرعات وقائية.

كانت تؤمن بصداقاتها ولم تهادن في مجاملاتها فحاول ان يخرجها من ذلك الطقس الذي سيبدد له مشاريعه معها فقبل الاعتراف كان معجباً ببعض صداقاتها وبمسئوليتها تجاه البيت "راجل البيت" هكذا كانت تقول عن نفسها .. ولكنه بدأ مؤخراً يتذمر عندما وضع نفسه في مقارنة مع صداقاتها .. احياناً يحس انه قد امتلكها واصبحت لا تري في هذه الدنيا غيره .. تغمره بهدايا تؤكد انها امتداده الطبيعي .. وينفعل بعاطفتها .. يؤكد لها بأن لا احداً لديه في هذه الغربة سواها .. لقد سورته بضبابها ومنعت عنه الرؤية الا بما سمحت به هي .. لقد اهداها قصيده عنوانها " امراة تتنفس الضباب " واصبحت مصدر تفكيره ووجبته الاساسية ..

ولكنه احياناً يراها توزع مشاعرها علي ثلاثه اكوام فيحتج علي عدالة الاحساس ومقارنته مع الاسرة والاصدقاء .. وربما نصيبه فائض الاحساس ليس إلا .. ظلت احتجاجاته حبيسة دواخله لا تخرج إلا عندما يهبط منسوب الويسكي الي منتصف الزجاجة .. تخرج الكلمات متربة بالغضب .. ويحس بالعواصف التي تتعقب اماكن السكون .

- معقول لكن !!

اكون ماسك سماعة التلفون نصف ساعه وهي بتتكلم مع واحد صديقها في لندن بالموبايل .. يعني عشان هو والده اعُدم مع ابوها !!

هو الاعدام ده الا رمياً بالرصاص !! ......

يعني ... الي متي نظل نؤيد حتي الانقلابات الفاشلة !!

وهل فشلها سيمحو عنها صفه الشمولية والدكتاتورية القادمة !!؟

وشنو الموضه الجديده دي !!

تأبين الشهيد يصبح مرتين في السنه !!

ابتسم "طارق الزين" بخبث ومد له كأس ويسكي " اسكتوه" ليهدئ من اعصابه .. ابتلع خالد عز الدين جرعة الويسكي بغضب وراح يرمي عليها تهم مختلفه واتهمها بالتخلف وادعاء الثقافه .. وحتي اهتمامها بالابداع والشعر مجرد موضه تمارسها وتتكمل بها اكسوارتها .. راح يجزم ويقسم لصديقه ان ضغينتها المزمنة ومعارضتها الشرسة للحكومة ..غير مؤسسة فهي منجرفة خلف الثأر لوالدها ليس الا .. فلو لم يُعدم لكانت اليوم تدافع عن الحكومة وانجازاتها .

لم يعترف لنفسه انه متوتراً ومنزعجاً من صداقتها مع زملائه وبعض الذين كانوا وراء فصله من الحزب .. شعر بهم يعادونه حتي في احساسه بها .. اصبحت الغيرة تأكله .. تلفوناتهم واتصالاتهم بها تزعجه وتربكه .. يسالها ويستفسر عن الذين اتصلوا بها مغلفاً غيرته خلف ذكاء مصطنع .

واحيانا عندما يجد هاتفها مشغولاً يصبح مسعوراً .. يعيد الرقم عدة مرات ويزداد قلقه .. وتتقمصه الشكوك .. يضطرب ويضجر .. وتبني الغيرة لحاءها حول ذهنه.. تنهزم بداخله اشياءه الجميلة .. يسحبها من بساط ذهنه .. ويتنكر حتي علي إحساسه بها .. يصفها بالغباء ونشاز الاحساس .. يعرج من ممشي عاطفته ليتكئ علي ركن الكبرياء ويتسول ذهنه لكي يلفظها نهائياً فهي غير جديرة بالتواصل معه ولا تحترم ابسط حقوق الحب .. ويصفها بانها مصابة بسوء هضم الاحاسيس .

يتخيل صورتها الان وهي ممسكه سماعة التلفون وتضحك مع احد اصدقائها ويمكن ان يكون احد اعدائه .. تثرثر معه بحكاويها المستهلكه .. مرضية غرورها ومبتهجه بنشوتها.. اما صديقها يظل متشبثاً بسماعة الهاتف خانعاً ومؤمناً بآرائها ومتفقاً معها حتي علي الاشياء التي لم تنطق بها بعد .. لا لشيء سوى انها ابنة الشهيد . ابتلع مرارة تخيلاته بكأس " ويسكي "اسكتو " واعاد رقمها مره اخري وتهيأ ليسمعها اكثر الكلمات فظاعه وبجاحه .. وسيقلل من منسوب اهميتها .. وبقدر الأمكان سيكون مختصراً حديثه في كلمات جارحة ومهينة .. ولكن للاسف وجد هاتفها ايضاً مشغول .

يلعن اهلها .

رمي بجسده علي السرير وعض اضراسه .. سحب اللوم منها والقي به علي نفسه وكذلك فعل مع الشرشف .. ثم استلقي علي ظهره .. وفجأة كالمفزوع نهض وبنفس وتيرة غضبه معط سلك التلفون وراح يتملل تحت غطائه ويرد علي اسئلة عقله الباطن .. لماذا ارتبط بها اصلاً ؟!!؟

لماذا يعشقها ؟!

هل لذكاءها !!

ام لأن التاريخ الذي رسمه والدها بدمه جعله يتودد لها بمشاعره .. ويستعجلها للمداخل !!

وهل باتري يستطيع ان يتحمل العٌبء الذي يضاهي احساسها !!

فكونها ابنه شهيد .. فيجب عليها حياكة فساتينها بلا تفاصيل .. تحرّم عليها ادوات المكياج .. ولا تقبل حبيبها الا بعد اذنها .. وتسوق مغرياتها نحو فتحة البئر .. لا ترضي بالواقع الذي سَرب حسنات والدها الي السماء !!

وهل يجب عليه ان يتقيد بهذه البروتوكولات ؟!!

له نفس الكبرياء والخوف .. فماذا يفعل حيال ضجة انامله لحظات التوتر والانهزام .. لقد عاهد نفسه ان تكون هي اخر محاولات العشق .

تجاعيد شقراء

(٥)

صديقه "طارق الزين" ظل سعيداً بهذه العلاقة .. يرعاها كابنه الوحيد .. يبتسم مع ضحكتهما .. يدعم العلاقه ويهتم بافرازتها .. يتوسلهما اذا إفتعلا خصاماً .. يمشي حافي القدمين علي حد سيف العلاقه ..يحمل في يده فانوس الاجاويد .. يزيل عن عينيهما عتمه الانفعالات .. يوقظ كحل المغارب اذا اوشك علي اغماضته الأخيرة .. يرجح كفه المغلوب علي امره .. يخفف دموع "سارا" ويزيد من عطن صديقه .. يجبره علي اعتذارات مؤلمه .. فتعود المشاعر الي مجرى الدم .. يحافظ علي هذه العلاقه التي اعادة له صديقه ثانيه بعد ان انزوي في تلك القريه .. دافع عن علاقتهما كما لم يدافع عن تنظيمه السياسي " حق " يعتذر احيانا لـ "سارا" نيابة عن صديقه ويدين لها نرجسيته .. يتوسلها لكي تحافظ على وسادة صديقه بجانب وسادتها .. لا يريد لصديقه ان ينفجع مره اخري ويرجع لينزوي في تلك القريه .. مثلما حدث معه بعد ان فصل من

الحزب .. فى تلك الايام شعر خالد عزالدين بلعنه تطارده .. جرثومه "خالد منعم" الاسير تتفشى في جسده ويري نقيضه زوربا بشعره الكثيف يتعقبه ويسد عليه الطرق المتفرعه ويفجر له شرايينه المتعرجه نحو التوحد والتوازن .. اصبح يشاهد خيال زوربا الاسير يلازمه حتي في الاماكن العامه .. يرقص له في الطريق .. ينتظره علي محطة المترو .. يسابقه بشقاوة الاطفال علي المقاعد الخاليه .. يسير في ساحه المتاحف .. يجده يرقص امام بوابه العمارة .. يخرج له من صندوق البريد .. يختبئ خالد عز الدين منه داخل المصعد ويغلق الباب بالشتائم واللعنات .. يجده قد تسرب له بشعره الكثيف من شقوق المصعد يذكره باللعنه التى تتعقبه .

حتي عندما كان يجلس مع اصدقاء او معارف ويبدأ في حكاوي عن نضاله في اسمره يظهر له خيال زوربا الاسير من خلف الستائر والنوافذ يضحك عليه بسخريه .. واحيانا يصفق له مثلما حدث في ليلة التأبين المشهودة .. لقد رأى خيال زوربا يرقص امام المسرح ويصفق له ويطالبه بالمزيد من الانفعال .. ويمد له زجاجة الويسكي المشتركة .. يغمره بلذة ساحره .يقترب منه .. ويلتحم معه .. يتحدث نيابة عنه ويعترف .

لم يستطع الانعتاق من خيال زوربا .. فكان يزوره احيانا في عز الليل يوقظه كألم الاسنان .. حتي لاحظ "طارق الزين" هذياناته وكوابيسه الليليه .. راح يستجوبه بطريقه مزعجه .. جعله يعترف بجزء من هذه اللعنه .. ويروي حكاية ملفقة عن جندي يدعي "خالد منعم" توفى علي يده اثناء اقتحامهم لمركز شرطة مدينة طوكر .اعترافه الضمني بخيال زوربا خفف عنه ظهوره ورقصاته .. ولم يعد يتراى له الا في حالة ذكرياته عن اسمره .

لقد حكي بعد ذلك لـ "سارا" عن خيال زوربا اللعين وكيف كان يباغته في الاماكن العامه .. و حتى داخل الشقة وكيف كان يجده في انتظاره داخل الحمام .. يرقص له في المرآة .. روي لها نفس الحدوته التي

ابتدعها لصديقه "طارق الزين" مع مزيداً من التفاصيل الحسية .. فازدادت معه تعاطفاً وغباء .. رغم انه وقتها كان قد تجاوز المحنة ولم يعد زوربا يرقص بداخله .

طالبته بالعودة الي الصلاة وسريعاً ما استدركت عفويتها .. وراحت تشرح له في دائرة فهم مبعثرة فلسفتها للصلاة .. والتوازن النفسي الذي يفرضه الخشوع وعرجت كعادتها علي ايام جلستها في العيادة النفسية .. لقد وجدت موضوعاً مناسباً لتحتكر به مشاعره لفتره من الزمن .. وفي احدي تلفوناتهما المسائية الطويلة .. سألته ان كان قد واظب علي صلاته !! فتكاسل عليها في النقاش وحاول ان يبعزق لها فكرتها ويلوي لها ذهنها ولكنها اصرت عليه واطلقت عليه عطرها النسائي الفائح وترجته بدلال وغنج كي يترك الان سماعة التلفون ويذهب ليصلي ركعتين وستكون هي في انتظاره علي ممشى اسلاك التلفون .

فبعد ان توضأ شم رائحة نسائيه متسلطه يألفها في حواراتها .. فقرر ان يفتك بنكهتها ويتحداها .. دخل الي غرفة صديقه مازحه لمدة ركعتين ثم عاد يواصل همسه الكاذب ....

ألو ....

حرماً .. دعيت لي معاك في الصلاه ؟!

طبعا .

لقد اختفي خيال زوربا تماماً عندما راح خالد عز الدين يفكر بطريقة يعتبرها هو طريقة اوروبية .. مبتعداً عن عوالم العالم الثالث المتخلف .. رحل حتى عن صديقه بحجة البدء في الدرسات العليا والاستقرار النهائي .. مستأجرا منزل ريفي في قريه " زاوت دورب " في الريف الهولندي الجنوبي .. مستمتعاً بالخضرة .. يعيش علي الاعانة الشهرية .. متابعا هواياته الجديده .. مشاهدة الافلام التسجيلية عن الحروب العالميه ..

مذكرات المخابرات العسكرية .. ولقاءات مع نجوم هوليود .. وانشأ علاقات حميمه مع عجايز هولندا وتعلم منهم تربية الزهور وتنسيق الذكريات .

يسافر احياناً في (الويك إيند) ليزور صديقه "طارق الزين" في امستردام ويشترط عليه الابتعاد عن السياسة في الحوارات المسائية .. ولم تكن لديه رغبة في سماع اخبار جديده .. اصبح يتحدث كثيراً عن المرأة الهولندية وفهمها المتطور للحياه الزوجية والاناقة التي تصدرها دوما للرجل . ولدت لديه رغبة ابديه في البقاء في هذه الدولة دون العودة الي وطنه .. واستحلف صديقه في لحظة تجلي بوصية اذا توفى يجب دفنه في هذه الارض المنخفضة .. ولا يريد شيئاً آخر .. يحس بجرثومة زوربا الاسير اصبحت كامنة بداخله وستتفشى يوماً ما كالاورام الخبيثة وتدفعه الي اللاشئ .

يبدو دائماً متشوقا ومتلهفاً الى العودة الي قريته كلما خرج منها .. يصل إليها منهك من ضجة امستردام والزحام .. يمارس روتينه اليومي بشغف .. يهنئ الورود التي ولدت حديثا في حديقته .. يناكف جارته العجوز السبعينيه تذكره بـ "حاجه آمنه" .. لذلك يشرب معها القهوه فى حديقة منزلها الانيقة وخاصة فى الايام التي تتكشف فيها عورة الشمس وتستحي السحب .. ينسق الورود فى حديقته .. تعاونه حاج امنه الهولنديه .. يشاهد الإفلام التسجيليه يمارس قهوته علي بخار الاحلام القادمه .. يبحث لنفسه عن زوجه اوروبية يتيمه .. ربما يجدها تائهة في احدى صالات الرقص .. ولكن حظه دائماً يلقنه دروس خصوصية ولا يتعظ منها .. يتعثر في كل مره علي تجاعيد نسائيه .. وفي الصباح يستيقظ بصداع البيرة ليجد علي سريره انثي بيضاء تغطي جسدها بتجاعيد مقززه كأنها مرتديه لحاء الاشجار القديمه .. وكالجريح نحو الماء يزحف البياض علي شعرها .

ولكن رغم ذلك لم يكف عن محاولاته الفاشله .. يفتش عن زوجه يتيمة وطفلاً يقرأ له مذكراته .. ففي احدى ترنحاته داخل صالة رقص تبعد عن قريته مسافة نصف ساعه بالدراجة.. اتكأ علي طاولة البار متلاعباً بقداحته بين انامله ومحافظا علي توازنه .. انحنت فجأة علي وجهه العابس شقراء لاذعه ..لا زالت تمرح في عشرينيتها نحيلة ولونها ابريزى .. تتراقص في فمها لفافه .. طلبت منه بغمزة عين ان يشعلها لها .. هتك لها عذرية سيجارتها ثم عقد اجتماعاً سريعاً وطارئاً لجراءته ودعاها لكأس

جلست بجانبه مبتسمه من لونه وحالة سكره وطريقة حواره .. ومن لهجتها الانجليزية عرف انها سائحة وليست هولنديه .. اخبرها ان جذوره افريقيه ولكن لم يحدد دولة بحكومتها .. فكانت هي فخوره بمدينه "استكهولم " طالبة جامعية .. تدرس القانون .. رشيقه كالريل حواراتها مختصره اسنانها صغيره متساويه كمرتبات العمال .. تبدو دائماً في حاله اتفاق وهزة رأس .. كانت مرحه ومستمتعه بركوبها معه في دراجه واحده .. الخمره افقدتهما التوازن فسقطت بهما الدراجه عدة مرات حتي انهكهما الضحك .. واكملا الطريق نحو القرية سيراً علي الاقدام .

في مطبخه الصغير اجلسته علي كرسي ثم جلست علي حجره وراحت تتأمل وجهه الاسمر عن قرب – ابتسم في سره بلقائه بيتيمة مستقبله – لمت شعرها العسجدي وجمعته للخلف ثم امسكت وجهه بكلتا يديها وطلبت منه ان يغمض عينيه وقبلته بعنف وصرفت النظر عن مشروع القهوه .

قضت معه ليلتين وفي صباح اليوم الثالث وضعت له مذكرة صغيرة بانها ستعود خلال ساعة .. لقد ذهبت لتجلب اغراضها من الفندق .. ولكنها لم ترجع ولم يرها ثانية حتي مهد له صديقه "طارق الزين" لقاءه مع "سارا" عبر صدفه لم يتوقعها وكان يرفضها وامتنع عنها بشده .. ولكن قوه سحريه جعلته ينزلُ من القطار في مدينه لاهاى .

طعم الهروب

(٦)

لقد شعر به "طارق الزين" مختلفا في هذا اليوم ..عابساً غير عادته ..هبط المساء ولم يأتي بذكر "سارا" أو ينطق باسمها .. ظل متجهماً ومكفهراً .. يبحث داخل كمبيوتره الصغير عن شروط الرّده وكيفية الانزواء ثانية في تلك القريه .

سارا تنظر لي من خلال اخرام الذخيره التي اخترقت جسد والدها الشهيد.

انت لا تقل عنه وسامه .. وجنات النضال لا تخفي علي احد

ضحك خالد عزالدين في سره بمراره .

يجب ان نعترف كما تقول انت دائماً : لم نعد نصلح لدور العشاق مثل اول .. وسارا عاشقه حالمه..

وراء كل حسناء حالمه ثائر عاشق مثلك .

انا افتش عن امراة تمارس الدلكه وتفهم اناقه القرمصيص .. وتسير خلفي

هل نسيت انك كنت تخفي منشورات الحزب في منزلكم داخل حفره الدخان والدتي تفهم كيف تزيل فائض الرطوبه عن جسدها ..ولكنها لا تفهم فائض القيمة

زحف بينهما صمت وجرس تلفون مخطئ هدفه .. رنين مكعبات الثلج علي كأسات فارغه .. انفتحت نافذة علي امسية الخواطر .. انتبها لجملة موسيقيه جديره بالاصغاء .. عاد التوتر الي كرسي المعاشات .. خالد عز الدين يشعر بنفسه امام محامي "سارا" فيحاول ان يدحض له كل حيله .

يجب أن تفهم انت وهي .. انني اكره محاولات الانثى في التكتيك .

لماذا لايكون تكتيك مستقبلي للوئام بين ثائر وحسناء

بل قل حصان وحسناء !! افهم يا صديقي انها لم تعد تجلس علي عتبة البال مثل أول ..

اظني كنت احلم بانها ستخرجني من متاهتي !! لقد اصبحت تطهو سذاجتها علي نار غيرتي وتستجديني ان اصفح عنها .. وبعد ذلك تريدني ان اغسل الصحون !! احياناً تتكئ براسها علي حيرتي ولا تسالني اين كنت !! نكهتها تغيرت .. حتي دهشتي بها قلت

واصبحت اقطر لها من عندى .. اعاف واتقزز من طريقه مضغها للسياسة .. قيمه "سارا" الوحيده ياصديقي هي اختيارها الموفق فى الهدايا .

هل معني هذه انك تريد أن تهدم مبني العشق يامهندس !!

انا اصلاً خرجت من تحت الانقاض مهشم سلفاً .. فلن يضرني ان تكسر يدي .

كان غبياً عندما تخيل ان بامكانه التحكم في منطقة تفكيرها والولوج بها داخل ازماته وحماقاته .. يدحرجها الي مخابئ نفسه يظلها بالدهشة وجاذبية العشق لتدور حوله كالقمر ..لا تنظر إلا من خلال نافذته .

لم يكن يدري ان عشقها لوالدها الشهيد يتصدر قائمة مشاعرها واحساسها .. وانها ستحمل في يدها ابرة وتطرز له افكاره حسب ذوقها السياسي .. تقحمه في برامج وندوات .. مجاملة اصدقاء لا فائدة من اذهانهم .. يسقط في الحسرة من وقت لآخر .. يعاندها ويدون افكاره في قصاصات يدخل بها امتحان تلفونها الليلي .. تحاصره باسئلة منطقية يشك انها مختبئة في بلكونة الجيران .. حتي وقع نهديها علي صدره بات يحس به مؤامرة لتقبيس عليه نياشين والدها الشهيد .

عندما إلتقاها اول مره كانت تتجسد فيها احلامه السابقة .. امرأة تقاسمه عداوة السلطة قبل السرير .. مخدتها منشوراته السرية .. يعلمها تقف ضد من ؟! و

كيف تنتزع حقوقها حتي لو كانت بين ضلوعه !! تعبر عن احساسها أمام الملأ ولا ترهبها التقاليد الباليه .. فعندما إلتقى "سارا" كانت ترتدي هذا الفستان جاهزاً .. أدهشته من اول لقاء واغراه ميراثها السياسي الذي خلفه لها والدها باستشهاده .. فكر ان يحتمي خلفه بعد ان فقد ثوريته وطرد من ضريح الحزب .. ولم يعد احد يهتم به أو بمغامراته المسلحه في اسمره .. فضل ان يقف معها ليتلصص علي تركتها الجاهزة وبما أن ابناء وطنه متعاطفين مع ابنة الشهيد فحتماً سيكون حبيبها ضمن دائرة الاحترام والتقدير .

هيأ نفسه لهذا الدور النضالي الجديد .. مخبئاً خباثته خلف مشاعر ملتهبه وعنيفة وبالطبع اعجبت به وصدقته كعادة انوثتها .. ترك وحدته وافلامه التسجيلية في تلك القرية وتنازل عن افكاره الاوروبية .. فهاهو يلتقي بزوجة يتيمة واستحقت يتمها بجدارة ودماء.

قرر بعد ان يتمكن من مشاعرها ويستكين ويجلس علي مقدمة زورق احساسها .. لحظتها سينحرف بها عن مجري السياسة ويلبسها طموحاته الشرقية .. وتصبح نابغه وناجحه في مجال الاكل والانجاب وهو برجولته وفحولته سيتصدي بتفويض كامل منها لينتزع لها حقوقها في الميراث السياسي .. هكذا كانت تتخمر بداخله الافكار .. تبدو له اسهل ما يكون .. ولكنه اصطدم بعنادها وحكاويها المزمنه ..

لقد اتهمها بأنها " صعيديه " التفكير لايهمها سوى ثأرها لوالدها .. وربما ستضعه ضمن شروط مهرها .. لقد اغتاظ منها ولعنها كالعادة في سره .

مارس معها كل طقوس الانقلابات العاطفية ولكنه لم يستطع ان يحتل قيادة ذهنها .. غرغر انوثتها وجعلها تطفح وتشرنب للذة .. فتح لها نافذة الشبق السرية .. جعلها تدخل معه للشقة لكي تتعرف علي ملامح سريره .. وتتصفح الصور هكذا كان الاتفاق بينهما امام العماره .. واكدت عليه وهما داخل المصعد .

وقفت امام خزانة ملابسه مطمئنه تتأكد من اناقته وربما تجد شيئاً يورطه في علاقة سابقة لم يعترف لها بها .. وفي ذات اللحظة تتخيل انه داخل المطبخ يعد في قهوته وخطة يقبلها بها .. لم تتخذ اي قرار قاطع تجاه اي محاولة جاسره منه .. شعرت به يقف خلفها مباشرةً .. اضطربت وقلبها بدأ يرفس .. سألته دون ان تلتفت إليه عن مكان الصور .. حواها بساعديه من الخلف وجذبها عليه بقوه فرفرت باطرافها تتخبط عشوائياً كسحلفاء انقلبت على ظهرها .. لم تنجح فى صدها وممانعتها ... مص لها شحمه اذنها فانكمشت وتأوهت .. تشبثت به اكثر .. قبلها بعنف حتي انهارت علي سريره .. تمنعت متمسكه بملابسها .. جسدها يرتعش .. قاومته بلا حدود بالكاد حافظت علي الجزء التحتي من ملابسها الداخليه .. تركته يقبلها ويمرّغ وجهه علي صدرها .. احست بألم لذيذ في براعم صدرها .. شيئاً ما يريد ان يغادرها والي الابد .. كأنها الروح تفتش عن مخارج .. لذة مؤلمة تحوم بداخلها .. تطوف بكل انحاء جسدها تغيبها عن جغرافيا المكان .. عيناها تذبل وتدمع .. تتأوه .. تعانقه .. تتشنج وتتوسله ان يتركها .. تنادي عليه بصوت لا يخرج منها .. تدوسه علي صدرها وهي تمؤ بلا حرج تحس بحلمات صدرها اكثر ألماً ولذه ـ فى الماضى كانت تعتقد ان نهديها من اجل طفلها فقط ـ تبحث بلسانها عن فمه فتعضه وهي ترتعش .

صهيل شهوتها يهيج خيوله .. حاول بتردد ان يخلع لها لباسها التحتي الناصع البياض .. متوقعاً مقاومتها وربما صرختها العالية .. ولكنها فاجأته بجرأة عنيفه وساعدته في خلعه ثم دفعته باحدي قدميها كأنها تريد ان تتخلص منه نهائياً .. فبغريزتها عرفت من اين تؤكل اللذة .. وكان تيار كهربائى من نوعية الضغط العالي مرّ على جسدها .. فانتفضت ورفست كالمذبوحة متشبثه بعنقه وعاضة بأسنانها المخدة .

آمنت به كأول رجل يكتشف انوثتها ويجعلها تندى وتنتشي ثم تدمن شفته السفلي ورغم ذلك كثيراً ماكانت تتحدث عن اعدام والدها وهي عاريه علي سريره متوسده ساعده وتتوعد في قتلة ابيها بيوم شره مستطيرا .
هاهو يحاور صديقه طارق الزين ويعود الي قناعاته الاخيره .. يحكي عن عدم جدوى هذه العلاقه ويعتذر له عن اجتهاده معهما ويختار الرحيل الي قرية زاود دورب

- افضل ان اعود لأربي ذكرياتي والزهور .. واترنم في الليل باسراري.
تذكر انه حكي لـ "سارا" في احدي المرات عن رواية لا يذكر اسمها او كاتبها .. روي لها عن توتر العلاقة بين بطل الرواية وزوجته التي تناكفه علي امتداد الصفحات الاولى تتشاجر معه لاتفه الاسباب .. تفتعل في كل صفحه مشكله معه . وفي احدي نقاشاتها معه والتي ستؤدي حتما الي مشاجره .. استأذن زوجته ليذهب لشراء علبة سجائر ويعود لمواصلة النقاش .. فوافقت علي الفكرة وراحت تنتظره علي عتبة لسانها .. بالطبع لم يأتِ ولن يعود حتي نهاية الرواية .. فقرر خالد عز الدين ان يقلد البطل ويذهب لشراء علبة سجائره رفض حتي توسلات صديقه والاغراءات المدهشه .. شد الرحال نحو الريف الهولندي .

نكهة الاعتراف

(٧)

جلس في احدي مقاعد الدرجه الثانية وبالتحديد المكان المخصص للتدخين متوجهاً بالقطار صوب قريته زاود دروب راح يستمتع بسيجارته ويتامل الشقراء التي ألقت بها اقدار السفر امامه يتابع اناملها الرقيقه تسحق اللفافة داخل المنفضة .. ثم تفتح شنطه يدها وتخرج ادوات

مكياجها عمداً تأكد على جمالها وجاذبيتها تمرر بالروج الاحمر علي شفتيها الرقيقتين وتتامل مقدرتها علي الاثارة في مرآتها الصغيره .. ثم تعيد ادواتها داخل حقيبتها .. يعود هو الي النافذه هارباً ومتابعاً الخضرة الشاسع ليعكسها علي نفسه ويفشل انتصابه المزعوم .
حاول ان يستحضر "سارا" في ذهنه فصعبت عليه الفكره وشعر بها مستحيله .. ففي الايام الاولي لمعرفته بها كان سهلاً عليه استحضار وجهها وهي تناقشه او تضحك ويستمتع بسنها المخلوف . اما الان استحال عليه وجهها .. اجتهد اكثر فتعقدت عليه الملامح واستعصت بفعل اصرارها علي تنكرها.. تبين فقط امامه بلوزتها التي اهداها لها في عيد ميلادها السابق .. كانت ترتديها صباح اليوم وتذكر حلم ليلة امس كان جالساً في بهو احد الفنادق ويعلم ان "سارا" تسكن في احدي غرف هذا الفندق الارستقراطي ولكنه عجز عن معرفة رقم غرفتها .. فجلس علي مقعد وثير متلهفاً ومتوقعاً رؤيتها في صالة الفندق .. فجأة شاهدها تخرج من باب المصعد .. تحرك بخطوات سريعة صوبها .. لم تسالمه بلهفة وانما عاتبته علي تأخره واخبرته ان بامكانه الاتصال بأيّ رقم غرفة فسيجدها هناك .
يشاهد نفسه في الخرطوم امام صاله افراح ضخمه مزركشه بالاضاءة الملونة تحته مجموعه من الزهور الذابلة والتي داستها الاقدام .. راح يجمع في الورود مع طفلة لا يعرفها .. عندما سألها عرف انها ابنة شقيقته الكبري ولكنه اول مره يراها سلمها كل الورد .
وقف يصلي مع مجموعة من الناس .. يشعر براسه مثقل بسحابات من الدخان ينهض من الركعه باعجوبه وفي الركعه الثانيه يغيب عن الوعي .. يري الناس اشباه .. يشاهد بينهم سارا يصرخ باسمها ولا تسمعه .. ثمة شخصيات تتابعه بنظرات لايقوى علي رفع يده .. يحس بالموت يقترب منه. فجاة يشاهد نفسه داخل طائره حربية مع "هشام شقيق "سارا" وشخص اخر لا يعرفه .. يطلبان منه دفع ثمن تذكرة الطائرة .. وعندما اعتذر لهما

هبطت بهم الطائرة وابعد من المنافسه .. فهو لم يكن يعلم انها مسابقه .. فشعر بالندم وإلتفت الى "سارا" .. راح يطالب بفرصه اخرى .. ولكنه شاهد الطائرة تسقط على الارض والجميع يصفق وبما فيهم "سارا" .

استيقظ علي صوت الهاتف فكان المتصل به "هشام" شقيق سارا اعتذر له عده مرات عن الازعاج .. ثم حكى له عن مشكلة مملة تخص سيارتهم ويرغب في تصليحها دون علم اسرته وطلب ان يسلفه مبلغ مالي لمدة اسبوع. تردد في الموافقه بنحنحه وكونه شقيق "سارا" حسم الموقف .. وضع السماعة وراح يتململ في سريره ولعن استعجاله في هذه الموافقه .. ثم قرر ان يتصل به ويعتذر له .. ثم قرر ان يعود للنوم مره اخري .. هرب منه النعاس فحاول ان يمسك به .. وفرفر داخل اغطيته .. احس بباب الشقة يفتح من الخارج وتدخل "سارا" مرتدية البلوزة التي اهداها لها .. هاجمته بمرح غير معتاد .. مازحته وناكفته .. جلست بمؤخرتها علي جسده .. نزعت من تحت راسه الوسادة وضربته بها علي وجهه ليستيقظ دافع عن عورة ملابسه الداخليه بالاغطيه السميكه .. راحت تضحك وتقاومه لتنزع عنه اغطيته .. قبلته عشوائياً وهرب من فمها عنوة .. بدت سعيدة وفي غير حالتها كأنها كانت تعلم بأنه قرران يتركها للابد .. وقفت امامه تتأمله باعجاب ....

- سمعت آخر الاخبار ؟!
- لا .. الحصل شنو ؟؟
- ومعاهو مجموعة ضباط سقطت بهم طائره
- وماتوا !!
- اصبحو زي الفحم .

تابع نشوة انتقامها تخرج من حقيبة ضلوعها كملابس العيد .. تحكي في تفاصيل الحادث كأنها في عرض ازياء .. ارتدت في ذهنها حتي تحليل

الاذاعات الاجنبيه .. شكرت الله الذي انتقم لمقتل والدها في الدنيا قبل الاخره .. ثم دخلت المطبخ وضعت الشاي علي النار تركته مذهولاً بهذه الحادثة .. هل جاءت ليشاركها في لذة مبهمة الاطراف ؟!

ام يروج لها شماتتها ؟!

هل ياتري تنتظره الان ليفرح معها ؟!

أم يتخذ وضع الحياد ؟! الأسئلة تتجمهر امام بوابة ذهنه .. ولا يفتح لأحد .. نهض متلفحاً ملايته البيضاء ودخل الحمام .. يسمع صوتها يأتيه كالقصاصات من تحت الباب

للاسف معاهم واحد دفعة بابا برتبة فريق ..

ما زال ذهنه في عطله .. عاجز عن اتخاذ اي رأي قاطع تجاه هذه الكارثه .. افرغ مثانته ولازال يسمع في القصاصات .

ماما قالت كيدهم في نحرهم ..

تذكر الحلم وشقيقها الذي اتصل قبل قليل .. ولا تهمه من هذه الحادثه سوى سلفه مالية يصلح بها سيارته .. دون علم "سارا" وهاهي تأتيه بأخبار الطائرة التي راها تسقط في الحلم .. ماذا يفعل تجاه ملمس اللحظات القادمه !!

ما هذه الفوضى ؟!

شعر براسه مثقل .. تذكر انه شرب نصف زجاجة الويسكي لوحده ..

سارا .. انا عايز قهوة .

لم يستطيع ان يجاملها في الشماته .. فغلف نفسه داخل حس انساني اكتسبه من عجائز هولندا .. وترك افكاره تاخذ شرعيتها في الموضوعيه والنقد .. اغتاظت منه ورفضت ان تقبله .. شعر بإستحالة زحزحتها من مكانها .. فقرر ان يذهب ليشتري علبة سجائر بلا عوده .

الشقراء غادرت من امامه بلا رحمه .. مخلفه له اعقاب لفافتها المصبوغة باللون الاحمر .. ذكرته ورود حديقته التي اهملها طويلاً ..

رجع الي النافذه يتابع الاشجار الكثيفة المتشابكة .. تذكر الخرطوم ورحلة
الجامعه في غابه السنط الباهته .. تذكر تعاطفه سابقا مع الحطاب رسول
الصحراء .. ذلك الرجل الفقير المعدم .. لقد تعرف عليه من خلال الكتب
المدرسيه وعشق حياته وتضامن مع فقره وعوزه .. كان يشعر به كرجل
مسكين لايملك في هذه الدنيا سوى فأس وحبل .. يقوم بقطع اشجار
الغابات ويبيع الحطب !! اصبح يراه الان في ذهنه عباره عن آفه كبري
ولا يقل بشاعه من لصوص السلطه والاموال .. لقد ساهم هذا الفقير
الامي بكل جديه لتصبح الخرطوم عاصمة الغبار الاولى .. وغير حتي
في الامزجة والمعنويات .. هكذا راح خالد عز الدين يناكف في سرّه بلاد
الفقر والتمسك الارعن بقيم تأصيل العوز ليصبح واقعا .. لعن السافنا
الفقيره والحطاب .

كما توقع وجد بعض زهور حديقته قد ذبلت وبعضها قد تلاشت .. وقف
يتأملها في صمت راته جارته العجوز السبعينيه .. ويبدو انها افتقدته كثيرا
فاندفعت بتباريح الشوق نحوه عانقته وقبلته كانه ابنها الشرعي .. احتضنته
لمده من الزمن فشم علي صدرها عبق الاضرحة واسته علي فاجعة الزهور
ثم اهدته شتلات حديثه وساعدتها علي غرسها داخل حديقته .. دخلت خلفه
تزور منزله الصغير .. سمعها تشهق بصوت عالي فالتفت اليها وجدها
مندهشه .. واشارت له الي الفوضى التي تعم صاله منزله .. وهو يعتبرها زله
نظام عاديه .. بعض المجلات مبعثره علي السجاد .. افلام فيديو تحت طاوله
التلفزيون .. زجاجه عصير فارغه وكوب شاي .. علبه سجائر وصحيفه فوق
الكنبه البنيه التي اهدتها له هي بنفسها .. منفضة السجائر ممتلئة الي اخرها ..
قميص والمنشفه علي الكرسي .

اعتبرتها فوضه عارمه .. راحت تساعده وتعيد المجلات الي المكتبه بعد
ان تتصفحها بلا معنى .. ذكرته انها هي التي اهدته هذه الكنبة البنية
ورجته ان يحافظ علي ذكرياتها الجميلة مع هذه الكنبة .. ابتلع الذلة بماء

بارد ودعاها لقهوة .. وافقت واشترطت عليه ان يعدها بالطريقة الهولندية
.. ثم راحت تثرثر له عن اخبار القريه في غيابه .

وقف في المطبخ يتابع سقوط قطرات القهوة من المكينه الكهربائيه ..
وسرح مع "سارا" ومدي صحة قراره !! وهل سيكون جديراً وصلباً
بموقفه ازاءها !! .

ربما ستحاول ان تتصل به وتبحث عنه لتعتذر عن سوء سلوكها وتوعده
ان تصبح كما يريد لها .. وهل سيوافق علي هذا العرض ؟! قرر ان لا
يتنازل عن موقفه .. سيذلها اكثر .. يتفرعن عليها ويتغطرس .. سيحرد
ويرفض كل الهدايا .. سيجعلها تلقط حبات الندم ودموعها .. راح يتلذذ
بإستجداءاتها وتوسلاتها .. يراها في ذهنه تتضرّع له وتبكي .. تبحث عن
وساطات لتعيد لها فتح قلبه الموصد .. سيلقنها درساً قاسياً في ماده
المشاعر والاحاسيس .. حتي تصبح خانعة له بشكل مطلق .

سألته العجوز السبعينيه عن ما يدور بذهنه .. واين كان مختفٍ .. لقد
لاحظت ان هناك شيئاً ما يورقه ويجعله عابساً وعاجزاً حتي عن مناكفتها
وحكاويه وقصصه التي تجعلها تتكئ علي وسادة الدهشة وتشعر بالحيرة
نمّلت بداخلها .. حاصرته بالاسئله - ذهبت لكي اتعلم ماده الرسم

وهل تعلمت رسم الزهور ؟

بل تعلمت رسم الوجوه التي سابصق عليها .

احست بكآبته وحزنه . . راحت تلاحقه بأسئلتها .. واصرار العجائز مثل
إلحاح الاطفال لم تدع له فرصه ليفلت منها .. حكى لها عن "سارا" التي
انفصل عنها لتوه وجعلته يحس بالمرارة ويعود الي وحدته .. كان ممسكا
بفنجان قهوته .. يراقب تصاعد البخار ويردف كآبته خلف صمتها
واصغاءها التام .. الكلمات تخرج من حلقومه مهتزه ...

- .... احسني مخزول .. لقد تذأبت علي هذه الحياه وبعزقت عمري ..
في الشوارع يختفي عني الاصدقاء .. لم تعد الانارة كافيه لاحدد موقعي

ازاء الحقيقه .. عدوى الاسير العاق تستفحل بداخلي .. ترف عيني ولا يتذكرني احد .. احس بعمري يتمدد علي سرير النسيان .. قتلت محاولات نضالي وتفرق دم الشائعات بين القبائل والاصدقاء .. لا تاخذيني فجذوري ضاربة في اعماق الحنين .. فهذ الورود لا تعنيني ولكني اصبحت كشقيقاتي اعاملها .. رائحة عبق الاضرحة في ملابسك يروج بداخلي علي سلع مكدسه .. اري اطياف العطر تعبث بانفي وذاكرتي .. احنو الي امي وارمي تحت اقدامي البذور .. اجدني بعد ذلك فاشل في كل المواسم واللقاءات .. ويظل ذهني دائما يابس .

اذا كان هناك شيئاً يعيب الانسان ياسيدي فهو ذهنه .

تعاملت مع قصته بجديه كامله وقليل من الانانيه .. أزرته بعد ان ترافعت عن فكرة الوحدة .. وجعلتها تبدو اجمل ما يكون .. طلبت منه ان يعيش وحيداً بقدر الامكان .. لان الازمات لا تاتي الا من الاخرين وبخست له حتي فكره الصداقة .

ابحث يا سيدي بنفسك علي الطريق القصير .. فأذا عثر عليه احد الاصدقاء لن يدلك عليه لذلك يجب عليك ان تفتش وتسير لوحدك .. وبقدر الامكان تبتل .

دعته في المساء ليشرب معها كاس "واين " وقليلاً من المشهيات .. داخل منزلها الذي تضيئه بالشموع .. لم يشاهدها اطلاقاً تستخدم الانارة الكهربائية .. تضع الشموع المختلفه علي حواف النوافذ .. وفوق الطاولات .. وايضاً علي رفوف الانانتيك .. تاخذ وقتا طويلاً في اشعالها قبل ان تقضم العتمه فاكهه المغارب .. رغم وحدتها لم تكن تجد متسعاً لملل .. تشعل الشموع مع بداية المساء وعند الصباح تتعرف على اطفال حديقتها الجدد بسحناتهم الملونه .

حتي دخل بيتها يشم عبق الاضرحه ورائحه اولاد الطهور .. لم يكن يعجبه مذاق الواين فجلبت له من مخزنها زجاجه كونياك قديمه جعلته

ينتشي ويتقيأ بعض افكاره المشوشهة.. اصغت اليه بصبر هولندي .. ورغم ضحالة لغته في مصطلحات اللاهوت .. استطاعة ان تستشف ما يرنو إليه .. دار وحام كثيراً حول مقصده .. كأنه يتضرع للفكره ويترجاها ان تتبلور في ذهنه ومضمض لسانه بمفردات هولندية اكثر تداولاً مفكراً في ادهاشها بحكاويه عن اهل الصوفيه وكرامتهم وسماحتهم المفرطه .. لم يتحري مدي صحه رواياته ولكنه كان مهتماً فقط بحاله دهشتها – فليس بالضرورة كل ما سيدهشك سيدهش الاخرين – تعاملت مع قصته حول سماحه الصوفيه بمنطقها السبعيني الخاص وارجعت هذه السماحه الي جذورها المسيحيه واحبطته حد التقزز .. شعر بانها لن تفهم الشيخ (فرح ود تكتوك) واولياء الله الصالحين رغم ان رائحه بيتها مثل نكهة اضرحتهم .

روت له عن الملائكه الذين يزورونها في الليالي الشتويه .. ويقضون معها الاوقات الطويله داخل صاله منزلها .. لذلك هي دائماً تشعل الشموع فقط .. واكدت له ان الملائكة لا يدخلون الاماكن المضاءة بالمصابيح الكهربائيه وشرحت له ان الشموع من اهم دلالات العصر .. فيعبر بها الانسان عن احتراقه وذوبانه البطئ ومن ثم دموعه الحاره لذلك هي دوماً تشتري الشموع وسألته ان كان قد شاهد ملاكاً في حياته!!

استرخى خالد عزالدين في جلسته وسحب نفساً عميقاً من لفافته وراح يقلب رماد النسيان لتتوهج ذاكرته يستبطئ في الصور من ألبوم التداعيات ... تحسس ملمس تلك الامسيه السياسيه بمدينه (مدني) وراح يسترجعها في ذهنه .. يومها كان قد كلفه الحزب بمتابعة الندوة المقامه داخل جامعة الجزيره وعليه ان يرفع تقريراً حولها .. شعر بالفخر والسمؤ وهو يخطو علي عتبات سلم السياسة في اول مهمة حزبية .. وقتها كان قد تخرج من الجامعة وعاطلاً الا من لقاءاتي .

تم الترحيب به بشكل خاص ارضى غروره وتذوق طعم اهميه العمل السياسي الدوؤب لم يعد يتابع متحدثي الندوة بقدر ما كان يتابع خياله وفنتازيته .. سرح مع غروره راسماً لنفسه مساراً سياسياً حتما سيأهله ويجعله ضمن العشرة المبشرين برئاسة اللجنة المركزية .. يحكي في خياله عن مسيرة نضاله ومثابرته وكده في الوصول لهذه الدرجة الرفيعة.

استضافه في تلك الامسيه احد زملاء دراسته وقد تخرج من كليه الطب وهو من سكان مدينه مدني .. إلتقاه بالصدفة في هذه الندوة .. واخبره صديقه الطبيب بانهما سيزوران شخصاً ومن ثم يعودان الي المنزل .

دخل خالد عز الدين خلف صديقه الطبيب الي منزل طيني عتيق .. حوش واسع حوله عدد من الغرف الطينيه .. عدد من كراسي حديد الخيزران القديمة .. سجادات صغيره مهترئه جلس عليها اشخاص في اعمار مختلفه وتدور بينهم حوارات مهموسه .. نساء جميلات بثياب ناصعه البياض وتبدو عليهن الرشاقة والحيوية والادب .. بعضهنّ جلسن علي الكراسي القديمة واخريات يتحاورن وبالكاد تسمع الهمس .. عدد من الاطفال جلسوا علي بساط في هدوء وادب .. رائحه نوار شجر النيم عابقه بالمكان واكدت الصمت .. لم يدري خالد عز الدين ماذا يحدث في هذه الدار وما معني هذا الصمت والأدب .. لبس عليه الامر .. حاول ان يجد علاقه عائليه او مبرر اجتماعي يجمع هذا العدد من الناس !! هل هو ماتم ؟! ولكن ما الذي جعل النساء يختلطن بالرجال دون ادني استحياء !! لم يجد سانحة ليسأل صديقه الطبيب راح فقط يصافح خلفه رجلا ونساء وقد رحبوا به بشكل خاص دون ان يعرفونه .. رسموا له ابتسامات مشرقه وانحناءات غايه في الادب .. ردوا السلام علي الطبيب ناطقين اسمه بكامل الهمس .. استمرا في المصافحه حتي وصلا باب غرفة

واسعة تتقدمها تعريشة من السعف بها سرير وبعض الكراسي جلس بها بعض من المراهقين في ادب وصمت .. كثفوا له لغز المكان .. حياهم خالد عز الدين بابتسامه وراح يخلع في حذاءه مقلدا صديقه الطبيب المبتسم كعادته وانيقا في كل حالاته .. دلف خلفه الي داخل الغرفه الطينيه الواسعه .. شم رائحه الرطوبه ممزوجه برائحه ملابس العائدين من الحج.. رأى بها عددا من الرجال والنساء جالسين علي اسره متلاصقه في شكل مستطيل وطاوله صغيره في الوسط .. ايضاً هنا الصمت اكثر سكوتاً لم يعد يفهم شيئاً راح يقلد فقط في صديقه الطبيب .. صافحا رجلاً جالس في منتصف سرير الصبر لوحده .. بدنه متورم قليلاً .. شعره ابيض وناعم وتساقط منه الكثير .. صوته عميق .. صافحهما بأدب وكاد ان ينهض رغم انه مشلول .. افسحت لهما امرأتان المكان .. جلس خالد عز الدين مواصلاً تخميناته وحيرته .. ربما يكون هذا الرجل سقيم .. ؟؟ ولكن لايمكن ان تكون زياراتهما قد صادفت هذا العدد من الناس .. ؟؟ خصوصاً لا توجد سيارات خارج المنزل !! هل يعقل ان يكونوا كلهم جيرانه !؟ومعه حتي هذا الوقت المتاخر من الليل ؟! ربما يكون هو عميد اسرته ودعاهم عندما شعر بلحظات خروج الروح !! اتكأ علي دهشته وجعل الحيره تتمايل بداخله .. ويسأل نفسه عن سر هذا الصمت والخشوع !! حتي الاطفال الذين شاهدهم في الحوش تنازلوا عن متعه الشغب ولاذوا بصمت مهذب .. لم يتحدث سوى هذا الرجل ذو الشعر الابيض بصوته العميق رحب بخالد عز الدين وطلب لهما تمر وفول وعصير تحركت احدي الفتيات تلبي طلباته بكل ادب راح خالد يتابع في ملامح الجالسين امامه من رجالاً ونساء .. لا تبدو عليهم حيرته .. بل كل واحد منهم متغلغل في دواخله .. وظلت وجوههم مبتسمه له وترحب به في صمت .. وبعضهم هز راسه بأدب .. كان علي وشك ان يسأل صديقه

الطبيب عن هذه المكان وسر هذا الصمت ؟!! ولكن شيئاً ما منعه وخاف ان يخدش بهمسة شفافية السكون .. دخلت فتاة جميلة تحمل صينيه بها عصير وبلح وصحن به سمسم وضعتها امامهما دون ان تصدر اي صوت .. تاملها خالد عز الدين ملامحها صبيانيه جميله .. وتلصص علي مرتفعات صدرها وراقب اهتزاز اردافها اثناء خروجها فجأة انتبه لجدار الغرفه الذي علي يمينه ولمح صوره كبيرة للمهندس "محمود محمد طه " ذلك الرجل الذي يحترمه خالد عز الدين بشكل خاص وتمني ان يكون والده . لحظتها اختفي عنه اللغز وعرف اين هو الان .. رجع يتابع الاوجه ومصائرها ويحاول استنباط بعض الافكار داخل السكينه .

أنا ايضا تذكرت ذلك المنزل الطينى .. فاذكر عندما حدد خالد عز الدين موعد سفره الي هولندا ذهبت معه ليودع اصدقاء البيت الطيني .. فانا رغم انني من ساكني مدينه مدني لم اري هذا البيت او اسمع به .. ادهشني ادبهم وصمتهم .. استقبلونا ببشاشه مفرطه .. شعرت انني أعرف هذا المكان ولى معه ذكريات .. وعندما خرجوا يشيعونا وقفوا امام الباب رجالاً ونساءً واطفالاً رافعين اياديهم بابتسامه عظيمة حتي اختفينا عنهم في احدي الازقه .. لحظتها انفجرت بداخلى احاسيس موقوته حتى الان لا ادرى ما سره ذلك البكاء الحار .

وبينما كان خالد عز الدين يمارس في هوايته في استقراء تلك الاوجه ويتابع بشقف بعض الحوارات التلغرافيه المهوسه .. دخلت امرأة متجاوزه الثلاثين والواقع .. ترتدي ثوب ابيض .. جسدها نحيل وجاف .. تستند علي عكاز .. شعرها قصير بلون رمادي . امتزجت فيه السبائب البيضاء والسوداء بدرجة واحدة .. دخلت بهدوء وبطء شديدين .. شعر بها لا تمشي علي الارض وكأنه هو الوحيد رآها وخاصه انها لم تصافح احد .. وجهها دائري شاحب .. مرت امامه مرور السحاب الدانيه .. جلست بنفس البطء علي كرسي قرب صاحب

الدار ذو الشعر الابيض .. ومدت له صحن به خبز مثرد علي مرقه .. فراح يضع لها الاكل داخل فمها بلا حرج .. راقبها خالد عز الدين باهتمام تلوك في الخبز بطريقه طفوليه .. شعر ان حولها ضباب .. او كأنه يراها من خلال كاميره تلفزيونيه مزوده بفلاتر ضبابيه .. او تخيل له ان حولها هاله من الدخان السماوي .. اول مره يشاهد امراة بهذه الشفافيه الخارجيه .. ومنذ صغره انطبعت في ذهنه هيئه الملاك على شكل هذه المرأة .. احس بانه لوحده يتابع حركه اكلها البطيئة تحركت دون ان تستأذن من احد .. وخرجت بنفس طريقة دخولها .. توقع خالد عز الدين انها بعد ان تتخطي التعريشة الاماميه للغرفه ستخرج اجنحتها وتحلق في الفضاء سرح مع فكره طيرانها .. ولماذا جاءت ليطعمها هذا الرجل بالتحديد !! .

سمعوا فجأة صوت صرخه نسائية مكبوتة .. فلم يتحرك احد سوي صديقه الطبيب .. كان متشوقاً بعد ان يخرج من هذه الدار ليسأل صديقه الطبيب عن المراة الملاك .. وفي نفس اللحظه راح يجاوب بأدب علي اسئلة تعارف وجهها له صاحب الدار ذو الشعر الابيض .. اصبح مسترخي في جلسته واحس انه تعود علي المكان ولم يعد يزعجه الصمت .. اكل عدد من التمرات وسف حبات السمسم فعجبه المذاق .

عاد صديقه الطبيب بعد فتره طويلة وجهه عابس ومكفهر .. شفته السفلي ترتعش .. ولا يزال محافظاً عل اناقته .. انحنى بأدب نحو صاحب الدار ذو الشعر الابيض وهمس له بشيئاً ما .. ثم ودعاه وخرجا في صمت كان الحوش خالياً من الناس هذه المره . امام الباب بدأ خالد عز الدين يرتب في اسئلته التي سيوجهها لصديقه الطبيب ويعبر عن دهشته بهذا المكان ولكن فكر ان يسأله عن سر هذا الحزن المفاجئ وهلْ هو جمهوري ؟؟! عرفه صديقه الطبيب بانه جمهوري أباً عن جد واخبره ان الصرخه المؤلمه التي سمعها قبل قليل صدرت من حنجرة تلك المرأة الملاك وقد

توفت منذ لحظات .. صعق خالد عز الدين من شده الخبر .. واحس بجسده منهار فاتكأ علي حائط عشوائي وبدأ يرتعش .. افجعه هذا الخبر .. ازدحمة الاسئله امامه .

أخبره صديقه الطبيب بانهم لا يستطيعون ان يشرعوا في اي طقوس جنائزيه قبل ان يتم الاتصال باهلها .. وهي من اسرة ارستقراطيه .. لقد اصابها مرض هشاشة العظام .. وطاف بها اهلها معظم المستشفيات الاوروبيه وتأكدوا ان حالتها ميؤس منها .. فعادو بها ليترقبوا موتها بين لحظه واخري .. ليست هي بجمهورية ولكنها جاءت لزيارة هذا المنزل مع احد الجمهورين في احدي ايام الانشاد الديني ومنذ ذلك اليوم لم ترجع الي اهلها .. ظلت تعيش هنا في هذا المنزل وخصص لها صاحب الدار غرفة لوحدها .. لا تاكل وجباتها القليلة الا من يده .. ولا بد ان يضع لها الاكل داخل فمها .. واحيانا تظل علي شريحة خبز لمده اسبوع .. تداهمها نوبات ليليه مؤلمه وخاصه ايام اكتمال البدر .. يهتز سريرها من شده ألمها ورعشه جسدها وغالباً ما تحقن بمسكنات .. اما في هذه الليله القمريه لم تتألم كثيراً .. يبدو ان روحها خرجت بعد تلك الصرخة المؤلمة .. وعندما فحصها صديقه الطبيب ومعه احد الاخصائين كان جالساً في سجاده وسط الحوش .. اكدا انها فارقت الحياة وحاول تنشيط قلبها بلا فائدة .

لقد تم توزيع مهام المأتم والحزن بشكل سرّي ظل خالد عز الدين مصعوقاً بهذه الفاجعة ويمشي محازياً صديقه الطبيب الذي راح يبكي بصمت وألم .

وفي الصباح اصر خالد عز الدين ان يذهب مع الطبيب لتأدية واجب العزاء لصاحب الدار ذو الشعر الابيض ويشاطرهم حزنهم .. ولم يلاحظ امام الدار اي اثار للمأتم وتوقع ان يكون اهلها الارستوقراطيين جاءوا

ليلة امس واخذوا جثمانها .. لن يقيموا عزائهم في هذه البيت الطيني القديم ولا يليق بمستوى اهلها ومعزينهم غالباً من رجال الاعمال واعيان البلد .. حتى سياراتهم الفاخره مثل فتياتهم لن ترضي بهذه الازقة .. ومابالك باسيادها .. هل سيتكئون علي حوائط الطين !!؟ او يضعوا موخراتهم الواسعة علي كراسي حديد الخيزران القديمه ؟؟.

عندما دلف خلف صديقه الي تلك الغرفه الطينية الرطبه شاهد المراة الملاك جالسه علي كرسي بالقرب من صاحب الدار ويطعمها بيده وهي تمضغ ببطء .. لحظتها كاد ان يصرخ خالد عز الدين وجلست دهشته قبله علي السرير .

مسحت العجوز لسبعينيه دمعه انزلقت منها وتاهت بين تجاعيدها المتعرجه ثم تنهدت بصوت مسموع ..

يبدو انها فعلاً ملاك ياسيدي .

شيئاً ما جعله ينتقل من تلك الذكري الي تلك الليله الشاحبه عندما جلس لصق الاسير "خالد منعم" وراح يعترف له بازدواجيته .

صب لنفسه كأس كونياك ثم اشعل سجاره ليهرب من تداعياته .. راح يتحدث بصوره عامه عن الاخطاء والاكاذيب والبحث عن المغفرة .. اخبرته حاجة امنة الهولندية انها عندما تخطئ او تكذب تضطرب نفسياً ويصيبها الارق .. تصبح متوتره .. تغتاظ من نفسها .. ولا يهدأ لها بال الا بعد ان تذهب الي الكنيسه وتعترف امام حاجز القسيس الخشبي .. لا طمعاً في الغفران الالهي فهي ذات ايمان ضئيل .. بقدر ما هو اعتراف بالذنب لتخرج الغل والهم من داخل صدرها .. واكدت له انها بعد خروجها من اعترافها .. تشعر بهدوء وسكينه .. ونارٌ مطفأة داخل صدرها .. تحس الهواء نقياً ويتخللها برائحه النعناع .. يغمرها صفاء تام .. وفي الليل تنام بلا كحول .. لا تعتريها هذيانات او كوابيس .. واعتادت

كلما تخطئ اوتكذب تذهب في اول سانحة للاعتراف وبتكرار تجربتها اضمحلت اخطاؤها وانعدمت اكاذيبها .. هكذا اخبرته باهميه الاعتراف بالاخطاء والاكاذيب .. ومواجهه النفس .

يبدو ان الرب عظيم ياسيدي .. دائماً يغفر لي بعد ذلك دون ان اترجاه .

ضحك بشكل مهذب .. شدته فكرة الاعتراف باخطائه واكاذيبه .. شعر بانه يريد يوماً كاملاً ليفرغ ما بداخله من اكاذيب .. سألها عن تفاصيل الاعتراف امام القسيس وهل يمكن ان يستمع لاعترافات شخص من ديانه اخري غير المسيحية !!

انحنت للأمام كانها تريد ان تقول له سراً .. ولكنها اخرجت كلماتها بشكل قاطع ...

لا تكن ساذجاً فالرب لم يرسل احداً .. فهو قادر علي ان ياتي في اي لحظه

والملائكه ؟؟!

هم شعاع من نوره .. لا يراهم إلا عشاق الظل والصبر .

ذكرته ايام مراهقته والآراء التي كان يتزعمها بعد موت والده .. وينطق بها بكل جرأة امام رفاقه في الحي .. الذين كانوا يهرولون ويهرعون بمجرد سماعهم لهرطقته وتخريفه .. يتركونه لوحده تحت ظل شجره النيم ليسخطه ربه لوحده ودون ان تصيبهم شظايا الغضب الالهي ..

ابتسم عندما لاحت له تلك الشقاوه .. صب لنفسه كأس كونياك واشعل سيجاره ثم تأمل العجوز السبعينيه واخبرها ان لديه رغبه في ان يعترف باخطاءه واكاذيبه ولكن ليست لديه الجرأة لدخول الكنيسة والوقوف امام القسيس .. ومن الافضل له ان يقف امامها هي ويعترف مادام المقصد هو تطهير نفسه من اخطاءه .

جحظت عيناها وادهشتها فكرته واستعجبت كيف يبوح باسراره امام شخص يعرفه وتربطه به جيره وعلاقه اجتماعية وزهور وقهوة ..؟؟ وهى رغم حبات الرمل القليلة المتبقية فى عنق ساعتها التقليدية .. لا يمكن ان تبوح باسرار اكاذيبها لاحد

لقد قدما اجمل مشهد مسرحي واقعي في تلك الليله .. كانهما كانا يقومان باداء فصل من احدي مسرحيات " هنريك إبسن " ذات الاجواء المأساويه .. جلس هو علي احدي كراسي طاولة السفرة وامامه عدد من الشموع الكبيرة واضعا علي يمينه زجاجة الكونياك .. ويلاعب باصابعه حافه الكأس .. فتح بقجة مواثيقه العطنة وراح يجففها وينتف عنها الاكاذيب .. طابور من اخطائه ينتظره في ممشى سرمدي .

اما العجوز السبعينيه جلست علي كرسيها الهزاز مقابله دفايتها الطبيعيه .. ووضعت تحتها مسند صغير .. اعطته ظهرها وراحت تتأرجح بايقاع رتيب .. تتأمل بجدية احتراق الحطب ومصغية في ذات اللحظه لاعترافاته واكاذيبه .. دخان سيجارته يتصاعد من المنفضه كالروح حتي ديكور المشهد من الخارج كان مذهلاً واكد الحاله النفسيه للشخصيات الدراميه .. طقس مرعب وكئيب .. سحب سوداء متراكمه .. مطرٌ ثرٌ .. حتي الزجاج يدمع .. البرق يضئ امضاءات ضوئيه متتاليه كعدسات الصحفين .. تضئ صفحه وجهه اليمني وجزءاً من شعرها الابيض .. اصوات الرعد اعطت للحظه رهبتها وحبست انفاسها .. كان خالد عز الدين متقمصاً دوره حتي حافة الازدواجية .. الكلمات تخرج من حلقومه مرتجفه ويحسها صاعده نحو بوابة مضيئة . ظل يسرد لها في اخطائه .. وكأنه يحفظ الحوار عن ظهر قلب ويقوله لأول مره في حياته .

ساعده الكونياك علي ان يفتح صدره علي مصرعيه ويشيع اكاذيبه للابد .. احيانا كان يتوقف قليلاً ليصب لنفسه كاس او يشعل سيجارة ثم يواصل في غيّه المسموع .

راحت هي تصغي اليه بصبر الانبياء وفهمها العميق لواقعية النص المسرحي .. واصلت اهتزازها وتتأمل احتراق الخشب .. حتي في لحظات سكوته كانت تسمع المؤثر الموسيقي الحزين .. نغمه الكاس عندما يصطدم بعنق زجاجه الكونياك .. وتتوقع ان يكون مونولوجه القادم اكثر ألم وفجيعه .. تعاملت مع حكاويه السياسيه علي انها ليست بخطئية فمنطقها للذنب يختلف .

بعد ان افرغ كل ما عنده .. شعر بانه تائه في تحديد نوعية احساسه اللحظي .. راسه اصبح متقلاً بالكحول .. نهض من كرسيه بمشقة .. امامه تراقصت لهبات الشموع من نسيم حركته .. وتموجت الظلال على الحائط ايضاً .. اخبرها انه اكمل كل خطاياه حتي الان ثم استأذنها وخرج مدلدلاً يديه وجسده متهالك .. غادر منزلها دون ان تلتفت له ظلت مواصلة في اهتزازها علي الكرسي كانها تنتظر اسدال الستار او تصفيق الجمهور .

اعتكف بعد ذلك داخل منزله لمده يومين لم يبارحه .. اكل وجبة واحده .. قضي علي مخزون قهوته والسجائر .. ورجع يدخن اعقاب لفافاته من المنفضه ونبش حتي سلة الاوساخ .. لم تكن لديه اي رغبة في رؤية احد .. لقد ذبلت عيناه واصبح لونه شاحب .

وفي اللحظه التي قرر فيها ان يخرج .. شاهد العجوز السبعينيه منحنيه في حديقتها تلاعب احدي زهراتها .. لم تره دخل منزله بسرعه وانفاسه متصاعده اغلق الباب خلفه شعر بانها لو إلتفت اليه ستشاهده عارياً .. لقد ارتكب خطأ فادحاً باعترافاته لها ولن يستطيع ان ينظر لها او يواجهها ..

حتي تهجس من فكره تحيه الصباح نفسها وربما جاءت وتفقدته داخل منزله .. راح يلوم نفسه باعترافاته لها .. جلس علي كرسي وبدأ يتذكر اعترافاته .. كانت امامه مفكرته الحمراء المهتريه .. ففتحها ودون في صفحاتها .. وكلما يكمل صفحه يعيد قراءتها بصوت عال .. احس بانه بدأ ينتصر علي خوفه من مواجهة العجوز السبعينيه .. وشيئاً ما يخرج من صدره كالبلغم واصل كتابته في المفكره مدوناً اعترافاته بمرح وتلذذ .. يبحث عن تشبهات ومفردات جريئه تورط اعترافاته اكثر تذلها .. بدا يحس بلذه الكتابه والمتعه .. تذكر احد الذين يحبهم "رولان بارت " استمر في الكتابه بشغف .. لم يعد يتذكر التدخين والقهوه .. شعر بانه اكثر وناماً مع وحدته .. اصبح مندفعاً نحو السطور يحس بدوامه النهر تجذبه نحوها .. يتعمق ويدور نحو القاع .. ينسجم اكثر مع وحدته ويتعود عليها .

خرج في الصباح منتشياً يتامل ازهار حديقته وهي تتراقص مع نسائم الصباح .. استنشق هواء منعش .. خرجت جارته العجوز السبعينيه وحياها بابتسامه مشرقه .. وشكرها علي ازهارها التي انجبت له رائحة ذكية .. كان مندهشاً من نفسه اول مره يستنشق رائحه الورد بهذا العمق وايضاً أقلع غن التدخين والقهوة دون سابق اصرار .. بدا اكثر حيويه ونشاط .. طرأت عليه فكره انه سيموت خلال هذا الاسبوع .. وقبل ان يكمل اعترافاته .. هزّ رأسه ليبدد الفكرة .. وبدأ متشبثاً بالحياة فتح صندوق بريده وجلس علي عتبة بابه يتصفح الرسائل .. معظمها محولة من عنوانه السابق بامستردام .. وجد رسالتين مهمتين احداهم قرأها اولاً كانت من "سارا" .. رسالة قصيرة ومقتضبة .. تتهمه فيها بالخذلان واشياء اخرى لم يصرح بها .. لم يعد قراءتها كعادته بل دمجها مع رسائل البنوك والاعلانات ومزقها جملة وتفصيلاً .. اما الرساله الثانيه

كانت دعوة مقدّمة له من احدى الجامعات الامريكية للمشاركة في ذكري رحيل المفكر الاسلامي المهندس محمود محمد طه .. اندهش بهذه الدعوة وداهمه فرح اناني .. تذكر انه حكي لجارته العجوز قبل ايام عن الجمهورين .. راح يفكر في اسباب هذه الدعوة ؟!! وهو ليس بجمهوري ولم يؤمن بأفكارهم .. ولكن لماذا يخصونه بهذه الدعوه ؟؟ نعم هو معجب بشخصية هذاالمهندس المفكر ولكن هذا لا يكفي !! وربما تكون الرسالة جاءته بالخطأ راجعها ووجدها موجهه له شخصياً .. ازدادت سعادته وولي فخوراً بنفسه .. تذكر انه كتب مقال امتداحي عن هذا المفكر ونشره قبل فتره في احدي صفحات الانترنيت .. مرّ بذاكرته السطر الاول من المقال " المهندس محمود يشيد بافكاره ناطحة سحاب في عاصمة متخلفة عمرانياً فيجد حتفه من اعلاها" مدد خالد عز الدين اقدامه علي اعشاب الذاكرة وراح يتذكر يوم إعدامه صادف يوم لقاءنا .. وحتما راح يتخيلني في ركن النقاش تحت شجر اللبخ قرب كافيتريا النشاط .. امشق جسدي وارتكز علي امشاطي لكي اشاهد انفعالات ذلك الطالب الخطيب .. تذكر حتي ضفيرتي التي كانت تتمرجح وتتسلق ظهري كانها تشاركني الرؤية .

عاد وقرأ الرساله مره اخري وركز علي موعد الزيارة .. وعرف ان بعد موافقته سيتم الإتصال به لاكمال اجراءات وصوله الي الولايات المتحده .. ابتسم وشعر بعينه اليمنى ترف .

دخل غرفته يفتش عن مسودة المقال التي كتبها سابقاً .. فكر ان يرد علي الموافقة الان .. احس انه في حوجه الي سفر طويل .. فتح مفكرته الحمراء وراح يكتب عن احساسه اللحظي .

نكهه أخيرة
نكهة خارج نسق الرواية

بعد ان نشرتُ روايتي في طبعتها الأولي الخاصه .. كنتُ متوقعة انني سأشم رائحه النقد اللاذعه .. جاءتني اتصالات هاتفيه من بعض الصديقات والمعارف .. احياناً اسمع التهنئه وخلفها حزمة من العتاب وخاصة من الذين تعرفوا علي شخصيات الروايه .. صديقتي "منال الطيب" اتصلت بي من ابوظبي وكانت منزعجه ومضطربه من هذه الروايه وكعادتها وبختني ولامتني واتهمتني بانني شوهت صورتها ثم انتقدت اصراري علي كتابه الاسماء الحقيقية دون خجل واستحياء .. واعتبرتني اروج بالاسرار .

وصلتني ايضاً رسائل وفاكسات عديدة داخلها إساءات ألفاظ أشد وقاحة من روايتي نفسها .. لكنها لم تزعجني كثيراً او اصلاً انني لم اكن اعيرها اهتمام . حتي النقد والتحليلات الادبية التي كتبت عن الرواية في بعض الصحف .. طالعتها بسرعة وكأنني لم اكتب هذه الرواية .. طبعاً هذا جزءاً لا يتجزأ من نرجسيتي واناقتي الوقحة .

لم اكن اهتم وراعي إقتراحات وارشادات الذين هم حولي وبما فيهم زوجي نفسه الذي اختلف معي حدّ الانفصال التام .. وذهبتُ لاقيم لوحدي في الجزء الآخر المفصول من الشقه .. اسكن في ذات الغرفة التي استضفنا فيها خالد عزالدين وانام علي نفس السرير .

لم اكن اهتم بشئ سوى مكالمته التي انتظرها علي ممشى الاسلاك .. اعتبرها مكالمة مهمة من شريك روايتي الذي لم يبدي رأيه حتي الان .. وربما لم يقرأها !! أشياء سيئة تعشعش في ذهني امحوها بمشقة .

اليوم كنت في المطبخ وقد تذكرته كثيراً .. ملامحه اراها في لمعان الاواني .. اشاهد ايام تمرده .. اتمعن اثار المعتقل علي وجهه .. اشم

رانحه الخبز الحار من فمه .. اتخيلني امرر يدي علي لحيته الخشنه .. لحظتها رن جرس الهاتف بإلحاح .. لم اكن اتوقع سوى مدح وذم .. وابدو غبيه في ردودي علي الاسئلة .. رفعت السماعة وانا اهيئ صدفة اذني للألفاظ الوقحه .. صرخت بأعلي صوتي عندما جاءني صوت خالد عز الدين من هولندا ضاعت عني المفردات .. رحت اصرخ واجهش بالبكاء .. السماعة ترتعش في يدي .. قلـ كعهدي به يرفس داخل صدري .. كنت اريد ان اقول له انني انفصلت عن زوجي .. ولكني ترددت حتي في بلعة ريقي .. ظللت واقفة اسمعه مضطربه.. اخبرني انه اكمل قرأة روايتي اليوم .. ثم أشاد بأسلوبي الادبي ولم يتحدث عن قلة أدبي او سرقتي للمفكرة .

بعد صعوبة واجتهاد نطقت بعض الكلمات .. سألته عن صحته واحواله ..امهد للساني طريق الدروب الخصوصية .. وجدتني اقول دون خجل.....

- بتحبني !!!

انقطع خط الاتصال بيننا .. ظللت متمسكه بالسماعه ولا زلت ارتعش واناديه عليه باعلي صوتي .. واكاد اصرخ .. جعلني في حيص بيص .. هل هو الذي انهي الاتصال !! ولكن ربما يكون هناك خطأ .. وضعت السماعة في مكانها .. جلست انتظره متفائلة ان يتصل مره اخرى .. امرّغ ذهني في مسندة الزمن السالف . وجدتني اعود لأحلام اليقظة ثانية وأتلذذ بها .

اعتقد ان هذه النهاية   تناسبنى جدا رائحتها

عماد برّاكــة

٢٠٠٢ مارس

الهوامش

(١) محمود محمد طه – مفكر سودانى اسلامى اعدم بسبب افكاره .

(٢)

(٣) روايتين للكاتب المصرى صنع الله ابراهيم

(٤) مذهب شيوعى فرنسى خيالى

(٥) مصطفى سيد احمد- مطرب غنائى سودانى مثقف